البيان الموثّق

دراسة موثقة لمقالات الفرق الثلاث

لخادم علم الحديث الشريف
الشيخ عبد الله الهرريّ
المعروف بالحبشيّ غفر الله له ولوالديه
المتوفّى سنة ١٤٢٩هـ

توثيق قسم الأبحاث والدّراسات الإسلاميّة
في جمعيّة المشاريع الخيريّة الإسلاميّة



النويري - بيروت - لبنان تلفون: ٠١/٦٤٦٧٠٩

الطبعة الثانية

١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤ ر



بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ ٣١١(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ لبنان



ISBN 978-9953-20-251-8

9 789953 202518

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

نبذة مختصرة في ترجمة شيخنا الهرري

- اسمه ومولده:

هو العالِم الجليل قدوة المحقّقين وعمدة المدقّقين صدر العلماء العاملين الإمام المحدّث التقي الزاهد والفاضل العابد صاحب المواهب الجليلة الشيخ أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن محمَّد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الشَّيبي[1] العبدري[2] القرشي نسبًا الهرري[3] موطنًا المعروف بالحبشي.

- مولده ونشأته:

وُلِدَ في مدينة هرر حوالي سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠ر، ونشأ في بيتٍ متواضع محبًّا للعِلم ولأهله فحفظ القرءان الكريم استظهارًا وترتيلًا وإتقانًا وهو قريب العاشرة من عمره في أحد كتاتيب باب السلام في هرر، وأقرأه والده كتاب «المقدمة الحضرمية في فقه السادة الشافعية» وكتاب «المختصر الصغير فيما لا بد لكل مسلم من معرفته» وهو كتاب مشهور في بلاده وكلاهما للشيخ عبد الله بافضل الحضرمي الشافعي، ثم حُبِبَ إليه العلم فأخذ عن بعض علماء بلده وما جاورها، وعكف على الاغتراف من بحور العلم فحفظ عددًا من المتون في مختلف العلوم الشرعية.

- رحلاته:

لم يكتفِ رضي الله عنه بعلماء بلدته وما جاورها بل جال في أنحاء الحبشة ودخل أطراف الصومال مثل هرگيسا لطلب العِلم وسماعه من أهله وله في ذلك رحلات عديدة لاقى فيها المشاق والمصاعب، غير أنه كان لا يأبه لها بل كلما سمع بعالِم شدّ رحاله إليه ليستفيد منه

---

(١) بنو شيبة بطن من عبد الدار من قريش وهم حجبة الكعبة المعروفون ببني شيبة إلى الآن، انتهت إليهم من قبل جدهم عبد الدار حيث ابتاع أبوه قصيّ مفاتيح الكعبة من أبي غبشان الخزاعي، وقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم في عقبهم. انظر سبائك الذهب (ص/ ٦٨).

(٢) بنو عبد الدار بطن من قصي بن كلاب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم الرابع. انظر سبائك الذهب (ص/ ٦٨).

(٣) تقع مدينة هرر في المنطقة الداخلية الأفريقية، يحدها من الشرق جمهورية الصومال، ومن الغرب الحبشة، ومن الجنوب كينيا، ومن الشمال الشرقي جمهورية جيبوتي، وقد احتلت الحبشة إمارة (هرر) سنة ١٣٠٤هـ - ١٨٨٧ر.

وهذه عادة السلف الصالح، وساعده ذكاؤه وحافظته العجيبة على التعمّق في الفقه الشافعي وأصوله ومعرفة وجوه الخلاف فيه، وكذا الشأن في الفقه المالكي والحنفي والحنبلي، ثم أولى علم الحديث اهتمامه رواية ودِراية فحفظ الكتب الستة وغيرها بأسانيدها وأُجيز بالفتوى ورواية الحديث وهو دون الثامنة عشرة حتى صار يُشار إليه بالأيدي والبنان ويُقصد وتشدُّ الرحال إليه من أقطار الحبشة والصومال حتى صار على الحقيقة مفتيًا لبلده هرر وما جاورها.

ثم رحل إلى مكة المكرمة بعد أن كثر تقتيل العلماء وذلك حوالي سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩ فتعرّف على عدد من علمائها كالشيخ العالِم السيّد علوي المالكي والشيخ السيد أمين الكتبي والشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ حسن مشاط وغيرهم وربطته بهم صداقة وطيدة، وحضر على الشيخ محمّد العربي التبّان، واتصل بالشيخ عبد الغفور العباسي المدني النقشبندي فأخذ منه الطريقة النقشبنديّة.

ورحل بعدها إلى المدينة المنوّرة واتصل بعدد من علمائها منهم الشيخ المحدث محمّد علي أعظم الصديقي البكري الهندي الأصل ثم المدني الحنفي وأجازه، واجتمع بالشيخ المحدث إبراهيم الختني تلميذ المحدث عبد القادر شلبي وحصلت بينهما صداقة ومودة، ثم لازم مكتبة عارف حكمت والمكتبة المحمودية مطالعًا منقبًا بين الأسفار الخطيّة مغترفًا من مناهلها فبقي في المدينة مجاورًا مدة من الزمن.

ثم رحل إلى بيت المقدس حوالي سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠ر ومنه توجّه إلى دمشق فاستقبله أهلها بالترحاب لا سيما بعد وفاة محدّثها الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله، ثم سكن في جامع القطاط في محلة القيمرية وأخذ صيته في الانتشار فتردّد عليه مشايخ الشام وطلبتها وتعرَّف على علمائها واستفادوا منه وشهدوا له بالفضل وأقرّوا بعلمه واشتهر في الديار الشامية «بخليفة الشيخ بدر الدين الحسني» و«بمحدّث الديار الشاميّة»، ثم تنقل في بلاد الشام بين دمشق وبيروت وحمص وحماه وحلب وغيرها من المدن السورية واللبنانية إلى أن استقر ءاخرا في بيروت.

- مشايخه:

١ - هرر ونواحيها:

أخذ عن والده محمد بن يوسف كما تقدم، وعن كبير[1] علي شريف القرءان الكريم حفظًا وتجويدًا وترتيلاً وعلم التوحيد، وعن العالم النحرير الشيخ الولي محمد بن عبد السلام الهرري

(١) معناها في بلاد الحبشة «الشيخ العالم».

الفقه الشافعي والنحو، وقرأ على الشيخ محمد بن عمر جامع الهرري علم التوحيد والفقه الشافعي والنحو، وقرأ على الشيخ إبراهيم بن أبي الغيث الهرري كتاب «عمدة السالك وعدة الناسك» لأحمد بن النقيب الشافعي، وعلى الشيخ الصالح أحمد الضرير الملقب بالبصير النحو والصرف والبلاغة، والشيخ محمد بن علي البَلْبَليتي الشافعي علم الفلك والميقات. وقرأ على الشيخ يونس عفاره الهرري «فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب» للشيخ زكريا الأنصاري.

٢ - غربي الحبشة:

أخذ في جِمَّه عن الشيخ بشرى گاروكي علم العروض والقوافي، وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي المعروف بالمصري صحيح مسلم وسنن النسائي وبعضًا من صحيح ابن حبان والسنن الكبرى للبيهقي، و«تدريب الراوي شرح تقريب النووي» للحافظ السيوطي وسمع منه المسلسل بالأولية ثم أجازه بسائر مروياته.

وقرأ في ناحية جِمَّه على الشيخ يونس گوراكي كتابَ «فتح الجواد في شرح الإرشاد لابن المقري» للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي و«غاية الوصول شرح الأصول» للشيخ زكريا الأنصاري وغير ذلك.

وأخذ عن الشيخ محمد شريف الهديي الحبشي في ناحية جِمَّه في قرية شِيرو النحو والصرف وحضر عليه في التفسير.

وقرأ على الشيخ أحمد دگو في چرين «جمع الجوامع» للسبكي بشرح المحلي، وأدرك الشيخ إبراهيم القَتْبَاري في ءاخر عمره لما سكن جِمَّه وقرأ عليه «تحفة الطلاب بشرح متن تحرير تنقيح اللباب» للشيخ زكريا الأنصاري.

٣ - شمالي الحبشة:

ارتحل إلى رايَّه وهي تبعد عن هرر نحو ألف كيلومتر فقرأ على مفتي الحبشة الشيخ محمد سراج الجبرتي سنن أبي داود وابن ماجه وشرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر العسقلاني وسمع منه المسلسل بالأولية ثم أجازه بسائر مروياته، ودخل قرية كدو فقرأ على الشيخ الصالح القارئ أبي هدية الحاج كبير أحمد بن عبد الرحمـن إدريس الدَّوي الكدّي الحسني - وكان يسميه أحمد عبد المطلب - القرءان من طريق الشاطبية وصحيح البخاري وسنن الترمذي وأجازه، ثم دخل أديس أبابا فقرأ على الشيخ داود الجبرتي القارئ شرح الجزرية لزكريا الأنصاري وقراءة عاصم وأبي عمرو ونافع، و«الدرة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر» لابن الجزري.

٤ - المدينة المنورة:

اجتمع في المدينة بالشيخ محمد علي أعظم الصديقي البكري الهندي الأصل ثم المدني الحنفي فسمع منه المسلسل بالأولية وغيره من المسلسلات وقرأ عليه «الأربعون العجلونية» وأجازه، وحضر على الشيخ محمد العربي التبَّان المكي المالكي في المسجد الحرام عند باب الزيادة.

٥ - بلاد الشام:

قرأ على الشيخ المقرئ محمود فايز الديرعطاني نزيل دمشق وجامع القراءات السبع أقل من ختمة برواية حفص على وجه قصر المنفصل في المدرسة الكاملية وذلك لما سكن صاحب الترجمة دمشق، وأجازه الشيخ محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني نزيل دمشق بسائر مروياته، وقرأ على الشيخ محمد العربي العزوزي الفاسي نزيل بيروت الموطأ وسمع منه الأربعين العجلونية وبعضًا من مسند أحمد والمسلسل بالأولية وأجازه، وتردد على الشيخ محمد توفيق الهِبري البيروتي وسمع من لفظه بعضًا من الأربعين العجلونية وأجازه بها.

- تدريسه:

شرع رضي الله عنه يُلقي الدروس مبكرًا على الطلاب الذين ربما كانوا أكبر منه سنًا فجمع بين التعلُّم والتعليم في ءان واحد، وانفرد في أرجاء الحبشة والصومال بتفوّقه على أقرانه في معرفة تراجم رجال الحديث وطبقاتهم وحفظ المتون والتبحّر في علوم السنة واللغة والتفسير والفرائض وغير ذلك، حتى إنه لم يترك علمًا من العلوم الإسلامية المعروفة إلا درسه وله فيه باعٌ، وربما تكلّم في علم فيظن سامعه أنه اقتصر عليه في الإحكام وكذا سائر العلوم على أنه إذا حُدّث بما يعرف أنصت إنصات المستفيد، فهو كما قال الشاعر: [الكامل]

وتـــراهُ يُـصـغـي لـلـحـديـثِ بِـسَـمْـعِـهِ
وبـــقَـــلـــبِـــهِ ولـــعـــلـــهُ أدرَى بـــهِ

- الثناء عليه:

أثنى عليه العديد من علماء وفقهاء الشام منهم الشيخ عزّ الدين الخزنوي الشافعي النقشبندي من الجزيرة شمالي سوريا والشيخ عبد الرزّاق الحلبي إمام ومدير المسجد الأموي بدمشق والشيخ أبو سليمان سهيل الزَّبيبي والشيخ مُلاَّ رمضان البوطي والشيخ أبو اليُسر عابدين مفتي سوريا والشيخ عبد الكريم الرفاعي والشيخ سعيد طَنَاطِرَة الدمشقي والشيخ أحمد الحُصَري شيخ معرّة النعمان ومدير معهدها الشرعي والشيخ عبد الله سراج الحلبي والشيخ محمد مراد الحلبي والشيخ صُهيب الشامي مدير أوقاف حلب والشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قرّاء

حمص والشيخ أبو السعود الحمصي والشيخ فايز الدَّيرعطاني نزيل دمشق وجامع القراءات السبع فيها والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الدمشقي والدكتور الحلواني شيخ القرَّاء في سوريا والشيخ أحمد الحارون الدمشقي الولي الصالح والشيخ طاهر الكيالي الحمصي والشيخ صلاح كِيوَان الدمشقي والشيخ عباس الجويجاتي الدمشقي ومفتي محافظة إدلب الشيخ محمد ثابت الكيالي ومفتي الرقة الشيخ محمد السيد أحمد والشيخ نوح القضاه من الأردن وغيرهم خلق كثير.

وكذلك أثنى عليه الشيخ عثمان سراج الدين سليل الشيخ علاء الدين شيخ النقشبندية في وقته وقد حصلت بينهما مراسلات علمية وأخوية، والشيخ عبد الكريم البَيَّاري المدرّس في جامع الكيلانية ببغداد والشيخ محمد زاهد الإسلامبولي والشيخ محمود الحنفي من مشاهير مشايخ الأتراك العاملين الآن بتلك الديار والشيخان عبد الله وعبد العزيز الغماري محدّثا الديار المغربية والشيخ محمد ياسين الفاداني المكي شيخ الحديث والإسناد بدار العلوم الدينية بمكة المكرمة والشيخ محمود الطَّش مفتي إزمير والشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الهنديان والمحدث إبراهيم الخُتني وغيرهم خلق كثير.

أخذ الإجازة بالطريقة الرفاعيّة من الشيخ محمد علي الحريري الدمشقي، والخلافة من الشيخ عبد الرَّحمن السبسبي الحموي والشيخ طاهر الكيالي الحمصي، والإجازة بالطريقة القادريّة من الشيخ الطيب الدمشقي، والخلافة من الشيخ أحمد البدوي السوداني المُكاشفي والشيخ أحمد العِربيني والشيخ المُعمَّر علي مرتضى الديروي الباكستاني، وأخذ الطريقة الشاذلية من الشيخ أحمد البصير، والنقشبندية من الشيخ عبد الغفور العباسي المدني النقشبندي والخلافة من الشيخ المُعمَّر علي مرتضى الديروي الباكستاني رحمهم الله تعالى، كما أخذ الخلافة بالطريقة الچشتية والسهروردية من الأخير.

- دخوله بيروت:

دخل أول مرة بيروت حوالي سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠ر فاستضافه كبار مشايخها أمثال الشيخ القاضي محيي الدين العجوز والشيخ المستشار محمد الشريف، واجتمع في بيته بمفتي عكار الشيخ بهاء الدين الكيلاني وسأل الشيخ في علم الحديث واستفاد منه. واجتمع أيضًا بالشيخ عبد الوهاب البُوتَاري إمام جامع البسطا الفوقا والشيخ أحمد إسكندراني إمام ومؤذن جامع برج أبي حيدر، وبالشيخ توفيق الهِبري رحمه الله وعنده كان يجتمع بأعيان بيروت وبالشيخ عبد الرَّحمن المجذوب واستفادوا منه وبالشيخ مختار العلايلي رحمه الله أمين الفتوى السابق الذي أقرَّ بفضله وسعة علمه وهيَّأ له الإقامة على كفالة دار الفتوى في بيروت ليتنقّل بين مساجدها

مقيمًا الحلقات العلميّة وذلك بإذن خطّي منه.

وفي سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ر وبطلب من مدير الأزهر في لبنان ءانذاك ألقى محاضرة في التوحيد في طلاَّب الأزهر.

- تصانيفه وءاثاره:

شغله إصلاح عقائد الناس ومحاربة أهل الإلحاد وقمع فتن أهل البدع والأَهواء عن التفرّغ للتأليف والتصنيف، ورغم ذلك أعدَّ ءاثارًا ومؤلفات قيّمة كثيرة نذكر منها:

١ - القرءان وعلومه

١ - كتاب الدُّرّ النضيد في أحكام التجويد، طُبع.

٢ - علم التوحيد

٢ - نصيحة الطلاب، وهي منظومة رجزية في الاعتقاد مع ذكر بعض الفوائد العلمية والنصائح تقع في ستّين بيتًا تقريبًا، خ.

٣ - الصراط المستقيم في التوحيد، طُبع مرات عديدة.

٤ - الدليل القويم على الصّراط المستقيم في التوحيد، طبع.

٥ - المطالب الوفية شرح العقيدة النسفيّة، طبع.

٦ - إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية، طبع.

٧ - الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم، طُبع.

٨ - صريح البيان في الردّ على من خالف القرءان، طبع.

٩ - المقالات السنيّة في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، والكتاب في جزئين الأول في أشهر المسائل التي خالف فيها ابن تيمية إجماع الأمة في أصول الدين والثاني في المسائل التي خالف فيها إجماع الأمة في الفروع وقد طبع الجزء الأول والثاني قيد الطبع.

١٠ - شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله، طبع.

١١ - العقيدة المنجية وهي رسالة صغيرة أملاها في مجلس واحد، طبع.

١٢ - التحذير الشرعي الواجب، طبع.

١٣ - رسالة في بطلان دعوى أولية النور المحمدي، طبع.

١٤ - رسالة في الرد على قول البعض إن الرسول يعلم كل شىء يعلمه الله، طبع.

١٥ - الغارة الإيمانية في رد مفاسد التحريرية، طبع.
١٦ - الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية، طبع.
١٧ - صفوة الكلام في صفة الكلام، طبع.
١٨ - رسالة في تنزه كلام الله عن الحرف والصوت واللغة، خ.
١٩ - التعاون على النهي عن المنكر، طبع.
٢٠ - قواعد مهمة، طبع.
٢١- رسالة التحذير من الفرق الثلاث، طبع.

٣ - علم الحديث وتعلقاته

٢٢ - شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث، خ.
٢٣ - التعقُّب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع. ردّ فيه على الألباني وفنّد أقواله بالأدلة الحديثية الباهرة حتى قال عنه محدّث الديار المغربية الشيخ عبد الله الغماري رحمه الله «وهو ردّ جيّد متقن».
٢٤ - نصرة التعقب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث، طُبع.
٢٥ - الروائح الزكية في مولد خير البرية، طُبع.
٢٦ - شرح البيقونيّة في المصطلح، خ.
٢٧ - رسالة في التصحيح والتحسين والتضعيف، خ، وهي رسالة أملاها في مجلس واحد.
٢٨ - جزء في أحاديث نص الحفاظ على صحتها وحسنها، خ.
٢٩ - أسانيد الكتب السبعة في الحديث الشريف، طبع.
٣٠- أسانيد الكتب الحديثية العشرة، طبع.
٣١ - الأربعون الهررية، وهو أربعون حديثًا من أربعين كتابًا من كتب الحديث مشروحة، خ.
٣٢- مختصر شفاء الأسقام ومحو الآثام في الصلاة على خير الأنام لعبد الجليل القيرواني، طبع.

٤ - الفقه وتعلقاته

٣٣ - مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، طُبع.
٣٤ - بغية الطالب لمعرفة العِلم الديني الواجب، طُبع.
٣٥ - شرح ألفيّة الزّبد في الفقه الشافعي، خ.

٣٦ - شرح متن أبي شجاع في الفقه الشافعي، خ.
٣٧ - شرح متن العشماويّة في الفقه المالكي، خ.
٣٨ - شرح التنبيه للإمام الشيرازي في الفقه الشافعي، لم يكمل.
٣٩ - شرح منهج الطلاب للشيخ زكريا الأنصاري في الفقه الشافعي، لم يكمل.
٤٠ - شرح كتاب سُلَّم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق للشيخ عبد الله باعلوي، خ.
٤١ - مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، طبع.
٤٢ - مختصر عبد الله الهرري الكافل بعِلم الدين الضروري على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، طبع.
٥ - اللغة العربية
٤٣ - شرح متمّمة الآجرومية في النحو، لم يكمل، خ.
٤٤ - شرح منظومة الصبان في العروض، خ.

- سيرته وشمائله:

الشيخ عبد الله الهرري شديد الورع متواضع صاحب عبادة كثير الذّكر، يشتغل بالعلم والذّكر معًا، زاهد طيّب السريرة، شفوق على الفقراء والمساكين، كثير البر والإحسان، لا تكاد تجد له لحظة إلا وهو يشغلها بقراءة أو ذكر أو تدريس أو وعظ وإرشاد، عارف بالله، متمسّك بالكتاب والسُنّة، حاضر الذهن قوي الحجّة ساطع الدليل، حكيم يضع الأُمور في مواضعها، شديد النكير على من خالف الشرع، ذو همّة عالية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم حتى هابه أهل البدع والضلال وحسدوه ورموه بالأكاذيب والافتراءات بقصد تنفير الناس منه لكن الله يدافع عن الذين ءامنوا. -

وفاته:

اشتد عليه المرض فألزمه الفراش بضعة أشهر حتى توفاه الله تعالى فجر يوم الثلاثاء في الثاني من شهر رمضان سنة ١٤٢٩هـ الموافق الثاني من شهر أيلول سنة ٢٠٠٨ر.

وهذا ما كان من خلاصة ترجمته الجليلة، ولو أردنا بسطها لكلَّت الأقلام عنها وضاقت الصُّحف ولكن فيما ذكرناه كفاية يُستدل به كما يُستدلّ بالعنوان على ما هو في طيّ الكتاب.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله مكوّن الأكوان. الموجود أزلا وأبدًا بلا كيف ولا مكان، المنزه عن الأضداد والأنداد والجهات والأعضاء لا يجري عليه زمان. القائل في كتابه العزيز: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ١١٠﴾ [سورة ءال عمران]. وأوحى إلى نبيّه المكرّم فقال: «مر بالمعروف وانه عن المنكر». فصلى الله وسلم على حبيب الحق، وسيد الأكوان. الذي جاهد في الله حق جهاده وبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وعلم الهدى بأفصح لسان.

اعلم أيها المطالع لهذه الرسالة اللطيفة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الواجبات إذ في ذلك حفظ لهذا الدين، وحفظ لعقائد الناس من الانزلاق في أودية الهلاك، لذلك كان الرسول ﷺ ءامرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر وتبعه على ذلك أكابر أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا ذودًا عن حياض هذا الدين الحنيف وحفظًا للشريعة الغراء ونصرًا لدين محمد سيد الأنبياء.

وإن التحذير من أهل الضلال بتسميتهم وذكر ضلالاتهم وبيان مفاسدهم ومساوئهم لا يعد تفرقة لصف الأمة كما ظن بعض الأغرار لأن توحيد الصف يكون بتوحيد صفوف أهل الحق وبيان الحق حقًا والباطل باطلاً حتى يتميز الحق من الباطل ويعرف الناس الحق وأهله فيتبعوه والباطل وأهله فيجتنبوه وبذلك سعادتهم.

ومن هذا الباب كان القصد من تأليف هذه الرسالة اللطيفة الموثقة وفيها التحذير من فرق ثلاث ضالة وهي: الوهابية، وحزب الإخوان. المسمون الإخوان المسلمين أو الجماعة الإسلامية. وحزب التحرير. وقد انتشرت فرق ضلال كثيرة لا سيما في عصرنا هذا.

ـ ومن هذه الفرق التي انتشر شررها وعمّ ضررها فرق ثلاث هي:

*** الوهابيةُ أتباعُ محمدِ بنِ عبدِ الوهاب النجدي المتوفَّى سنة ١٢٠٦هـ، وحزبُ الإخوان أتباعُ سيد قطب المِصريّ المتوفى سنة ١٣٨٧هـ، وحزبُ التحرير أتباعُ تقيِّ الدينِ النبهانيِّ الفلسطينيِّ المتوفى سنة ١٤٠٠هـ.**

فأما محمدُ بنُ عبدِ الوهابِ فهو رجلٌ لم يشهدْ له أحدٌ من علماءِ عصرِه بالعلمِ بل إن أخاهُ سليمانَ بنَ عبدِ الوهابِ ردَّ عليهِ ردَّينِ لمُخالفتِه ما كان عليه المسلمونَ من أهلِ بلدِه وغيرِهم منَ الحنابلةِ وغيرِهم، أحدُ الردَّينِ يُسمى «**الصواعق الإلـهية**[1]» والردُّ الآخرُ يُسمى «**فصل الخطاب في الرد على محمدِ بنِ عبدِ الوهاب**» وكذلكَ العالمُ الشهيرُ الحنبلي مفتي مكةَ محمدُ بن عبد الله بنِ حميد لم يذكُر محمدَ ابنَ عبد الوهاب في عِدادِ أهلِ العلمِ من الحنابلةِ وقد ذكرَ نحوَ ثمانِمائَةِ عالم وعالمةٍ في المذهبِ الحنبليِّ بل ذكرَ أباهُ عبدَ الوهاب وأثنى عليهِ بالعلمِ وذكرَ أنَّ أباهُ كان غضبانَ[2] عليهِ وحذَّر منهُ وكان

---

(١) انظر صورة كتاب «الصواعق الإلـهية في الرد على الوهابية» (ص/١٩).

(٢) انظر صورة كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» (ص/٢١).

يقول: «يا ما ترون من محمدٍ من الشر» وكانَ الشيخُ محمدُ بن عبد الله بنِ حميد تُوفِّي بعدَ محمدِ بن عبدِ الوهاب بنحوِ ثمانينَ سنةً.

وقد أحدثَ محمدُ بنُ عبد الوهاب هذا دِينًا جديدًا علَّمَه لأتباعِه وأصلُ هذا الدينِ تشبيهُ اللهِ بخلقِه واعتقادُ أن اللهَ جسمٌ قاعدٌ على العرشِ وهذا تشبيهٌ للهِ بخلقِه لأن القعودَ من صفاتِ البشرِ، فقد خالفَ بذلك قولَ اللهِ تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴿١١﴾﴾[1] [سورة الشورى]، وقد اتَّفقَ السلفُ الصالحُ على أن من وصفَ اللهَ بصفةٍ من صفاتِ البشرِ فقد كفرَ كما قالَ الإمامُ المحدِّثُ السلفيُّ الطحاويُّ في عقيدتِه المشهورةِ باسمِ العقيدةِ الطحاويةِ[2]، ونص عبارته: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».

ومن عقيدةِ هذه الجماعةِ الوهابيةِ تكفيرُ من يقولُ يا محمد وتكفيرُ من يزورُ قبورَ الأنبياءِ والأولياءِ للتبركِ وتكفيرُ من يتمسَّحُ بالقبرِ للتبرُّكِ وتكفيرُ من يعلِّقُ على صدرِه حرزًا فيهِ قرءانٌ وذكرُ الله ويجعلونَ ذلك كعبادةِ الصنمِ والوثَنِ وقد خالفوا بذلك ما كان عليه الصحابةُ والسلفُ الصالحُ فقد ثبتَ جوازُ قولِ يا محمد عندَ الشدةِ[3] عنِ الصحابةِ ومن

---

(١) انظر صورة كتاب «تفسير الفخر الرازي» (ص/ ٢٤) وصورة كتاب تفسير الخازن المسمى «لباب التأويل في تأويل معاني التنزيل» (ص/ ٢٦) وصورة كتاب «جامع البيان عن تأويل ءاي القرءان» (ص/ ٢٨).

(٢) انظر صورة كتاب «متن العقيدة الطحاوية» (ص/ ٣١).

(٣) انظر صورة كتاب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (ص/ ٣٣) وصورة كتاب «المعجم الصغير» (ص/ ٣٦).

بعدَهم من السلفِ الصالحِ ومن بعدَهم في كلِّ العصورِ التي مضت على المسلمين، وقد نصَّ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل الذي هم ينتسبونَ إليه - زورًا - في بلادِهم على جوازِ مسِّ قبرِ النبيِّ ومسِّ مِنبرِه وتقبيلِهما إن كانَ تقرُّبًا إلى اللهِ بالتبرُّكِ وذلك في كتابِه المشهور «الجامع في العلل ومعرفة الرجال»[١]. وقد شذُّوا عن الأمةِ بتكفيرِ من يستغيثُ بالرسولِ ويتوسَّلُ به بعد موتِه قالوا التوسلُ بغيرِ الحيِّ الحاضرِ كُفرٌ فعملاً بهذه القاعدةِ التي وضعوها يستحِلُّونَ تكفيرَ من يخالِفُهم في هذا ويستحلُّونَ[٢] قتلَه، فإن زعيمَهم محمدَ بنَ عبد الوهاب قال: «من دخلَ في دعوتِنا فلهُ ما لنا وعليهِ ما علينا ومن لم يدخُل فهو كافرٌ مباحُ الدم». ومن أرادَ التوسُّعَ في معرفةِ الأدلةِ التي تنقُضُ كلامَهم هذا فليُطالِعْ كتبَ الردِّ عليهم ككتابِ «الردُّ المُحكمُ المَتين»[٣] لمحدث الديار المغربية الشيخ عبد الله الغماري وكتابِ «المقالاتُ السُّنِّيَّةُ في كشفِ ضلالاتِ أحمدَ ابنِ تيمية»[٤] لمحدث الديار الشامية الشيخ عبد الله الهرري، وهذا الكتابُ الثاني أُسْمِي بهذا الاسمِ لأنَّ محمدَ بنَ عبد الوهاب أخذَ تحريمَ التوسُّلِ إلا بالحيِّ الحاضرِ من كتبِ ابنِ تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ. مع أنَّ ابنَ تيميةَ استَحْسَنَ لمن أصابَهُ مرضُ الخدرِ في رجلِه أن يقولَ يا محمد وهذا صحيحٌ ثابتٌ عنِ ابنِ تيمية

(١) انظر صورة «كتاب العلل ومعرفة الرجال» (ص/ ٣٩) وصورة كتاب «الإنصاف» (ص/ ٤١).
(٢) انظر صورة كتاب «الدولة العثمانية من الكتاب الفتوحات الإسلامية» (ص/ ٤٥).
(٣) انظر صورة كتاب «الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين» (ص/ ٥٥).
(٤) انظر صورة كتاب «المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية» (ص/ ٦٧).

في كتابِه «الكلمُ الطيبُ»[١] طبعة المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥ر وهذا يخالِفُ فيهِ ما قالهُ في كتابِ «التوسُّلُ والوسيلةُ»[٢] فمحمدُ بنُ عبد الوهاب وافقهُ فيما في كتابِه «التوسلُ والوسيلةُ» وخالفَه فيما في كتابِه «الكلم الطيب». والخدرُ مرضٌ معروفٌ عند الأطباءِ يصيبُ الرِّجل. تتعطل منه حركة الرِّجل.

(١) انظر صورة كتاب «الكلم الطيب» (ص/ ٨٣).
(٢) انظر صورة كتاب «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص/ ٨٥).

* وأما حزبُ الإخوانِ فإنهم اتبعوا سيد قطب في قولِه[١]: من حكم بغيرِ القرءانِ ولو في حكمٍ واحدٍ فقد ردَّ أُلوهيةَ اللهِ وادَّعى الألوهيةَ لنفسِه مُحتجًّا بقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [سورة المائدة]. واستحَلَّ بذلك دماءَ الحكامِ الذين يحكُمونَ بالقانون ودماءَ الرعايا، وتفسيرُه هذا لهذهِ الآيةِ مُخالفٌ لما فَسَّرَ بهِ الآيةَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضي الله عنهما ابن عم الرسول ﷺ وهو المعروفُ بترجمان القرءان، والرسولُ ﷺ دعا له بفهم القرءان، ففي صحيح البخاريِّ المجلدِ الأولِ صحيفة ٢٥ باب قولِ[٢] النبيِّ ﷺ: «**اللهمَّ علِّمْهُ الكتاب**» أنَّ الرسولَ عليهِ السلامُ الْتَزَمَهُ وقالَ: «**اللهمَّ علِّمْهُ الكتابَ**». وقال أيضًا: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» أي تفسير القرءان وهذا أيضًا حديث صحيح رواه ابن حبان.

ومخالف لتفسير غيرِ ابنِ عباس من الصحابةِ ومن تبِعَهُم إلى يومِنا من علماءِ الإسلامِ، فإنهُ ثَبتَ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما ما ذكرهُ الحاكمُ في «المستدرك»[٣] وهذا نصُّهُ في صحيفة ٣١٣ من الجزءِ الثاني: «أخبرَنا أحمدُ بنُ سليمانَ الموصلي ثنا عليُّ بنُ حرب ثنا سفيانُ بنُ عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس قالَ قال ابنُ عباس

---

(١) انظر صورة كتاب «في ظلال القرءان» (ص/ ٩٠) وصورة كتاب «معالم في الطريق» (ص/ ١٠٦).

(٢) انظر صورة كتاب «صحيح أبي عبد الله البخاري» (ص/ ١١٦) وصورة كتاب «شرح صحيح البخاري» (ص/ ١١٨).

(٣) انظر صورة كتاب «المستدرك على الصحيحين» (ص/ ١٢١).

رضي الله عنهما: **إنهُ ليس بالكفر الذي يذهبونَ إليهِ إنهُ ليس كفرًا ينقُلُ عــنِ الــمــلَّةِ** ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾[1] **كفرٌ دونَ كفرٍ**». هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ اهـ.

وقولُ ابنِ عباس كفرٌ دون كفرٍ نظيرُه الرياءُ فإنَّ الرسولَ سماهُ الشرك الأصغر أي ليسَ الشرك الأكبر الذي ينقلُ عن الملةِ الذي هو نهايةُ التذلُّلِ لغيرِ اللهِ فإنَّ هذا الشركَ هو الذي ينقُلُ عنِ الملَّةِ، فقد روى الحاكمُ في «المستدرك» عن رسولِ اللهِ ﷺ أنهُ قال: «**اتَّقوا الرياءَ فإنهُ الشِّركُ الأصغر**»، فنقولُ كما أنَّ الرسولَ أثبت الشركَ الأصغرَ كذلك عبدُ اللهِ بنُ عباس فسَّرَ قولَ اللهِ تعالى[2]: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ كفرٌ دونَ كفرٍ أي ليسَ الكفر الذي ينقُلُ عنِ المِلَّةِ، فرضِيَ اللهُ عن حبرِ الأمةِ ترجمانِ القرءانِ عبدِ اللهِ بنِ عباس رضي اللهُ عنهُما وجزاهُ اللهُ عنِ المسلمينَ خيرًا.

وبيانُ ذلك أنَّ المعاصيَ الكبائرَ كقتلِ مسلم وتركِ الصلاةِ وردَ أنهُ كفرٌ في أحاديثَ صحيحةِ الإسنادِ وليسَ مرادُ الرسولِ بذلك الكفرَ الذي يُخرجُ من المِلَّةِ أي أن من فعلَ ذلكَ يخرُجُ مِنَ الدين، لا، إنما معناهُ تشبيهُ هذه المعصيةِ بالكفرِ، كالذي وردَ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قالَ فيمن يذهبُ إلى الكُهانِ فيصدِّقهم وهو قوله عليهِ السلامُ: «**منْ**

---

(١) انظر صورة كتاب «تفسير الفخر الرازي» (ص/١٢٣) وصورة كتاب «من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط» (ص/١٢٦) وصورة كتاب «جامع البيان عن تأويل ءاي القرءان» (ص/١٢٩).

(٢) انظر صورة كتاب «الجامع لأحكام القرءان» (ص/١٣٧).

أتى عرَّافًا أو كاهنًا فصدَّقَهُ بما يقولُ فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمد» وهو حديثٌ صحيحٌ. وليس مرادُ الرسولِ أن المسلمَ بمجردِ أن يذهبَ إلى هؤلاءِ الكُهَّانِ ويصدِّقَهم خرجَ منَ الإسلامِ إنما مرادُ الرَّسولِ أن هذا ذنبٌ كبيرٌ يُشبهُ الكفرَ. وقال أيضًا: «**سِبابُ المسلم فُسوقٌ وقتالُهُ كفرٌ**»[١]. فقولُه وقتالُه كفرٌ لا يريدُ بهِ أن قتالَ المسلمِ للمسلم كفرٌ يُخرجُ من الدينِ إنما المرادُ أنه ذنبٌ كبيرٌ يشبهُ الكفرَ لأنَّ القرءانَ الكريمَ سمَّى الفِئَتَيْنِ المتقاتِلتَيْنِ من المسلمينَ مؤمِنينَ قالَ تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحجرات].

ثم إنهُ وردَ في صحيح مسلم عنِ البراءِ بنِ عازبٍ الصحابيِّ المشهورِ أنهُ قالَ: إنَّ هذهِ الآيةَ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ والآيتينِ اللتين بعدَها في إحداهُما ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ وفي الأخرى ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ نزلتْ كلُّها في الكفارِ أي الذين يحكمونَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ وليسَ المسلمين الذين يحكُمونَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ إنما هي في اليهودِ ومن كان مثلَهم.

وفي كتابِ أحكامِ النساءِ[٢] للإمامِ أحمدَ بنِ حنبل مثلُ ما رواهُ الحاكمُ عنِ ابنِ عباسٍ، ففيهِ ما نصُّه في صحيفة ٤٤: أخبَرَني موسى بنُ سهل قالَ حدَّثنا موسى بنُ أحمد الأسديُّ وأخبرَنا إبراهيمُ بنُ يعقوبَ عن إسماعيلَ ابنِ سعيدٍ قالَ سألتُ أحمدَ عنِ المصِرِّ على الكبائرِ بجُهدِه إلا أنَّهُ لم يترُكِ

---

(١) انظر صورة كتاب «مسند الإمام أحمد» (ص/ ١٤٠).

(٢) انظر صورة كتاب «أحكام النساء» (ص/ ١٤٢).

الصلاةَ والصومَ والزكاةَ والحجَّ والجمعةَ هل يكونُ مُصِرًّا في مثلِ قولِه ﷺ : «**لا يزنِي الزانِي حينَ يزنِي وهو مؤمنٌ ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمِنٌ ولا يسرِقُ حين يسرِقُ وهو مؤمنٌ**»، ومن نحوِ قولِ ابنِ عباسٍ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ قلتُ: فما هذا الكفرُ، قالَ: كفرٌ لا يُخرجُ منَ المِلَّةِ فهو درجاتٌ بعضُهُ فوقَ بعضٍ حتى يجيءَ من ذلكَ أمرٌ لا يختلفُ الناسُ فيه، فقلتُ لهُ: أرأَيْتَ إن كانَ خائِفًا من إصرارِه ينوي التوبةَ ويسألُ ذلك ولا يدَعُ رُكوبًا ـ أي ولا يترك فعل المعاصي ـ قال الذي يخافُ أحسنُ حالًا. انتهى ما في كتابِ الإمامِ أحمدَ رضي الله عنه.

ولم يصحَّ بالإسناد الصحيح عنِ الصحابةِ في تفسيرِ هذهِ الآيةِ إلا هذانِ التفسيرانِ تفسيرُ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ وتفسيرُ البراءِ وعلى ذلك درَجَ علماءُ الإسلامِ إلى قريبٍ منْ منتصَفِ القرنِ الرابعَ عشرَ الهجريِّ، ثم ظهرَ هذا الرجل سيد قطب في مصرَ فعمِلَ تفسيرًا للقرءانِ يُكفِّرُ فيهِ من حكمَ بغيرِ القرءانِ ولو في مسئلةٍ واحدةٍ أي مع حكمِهِ بالشرعِ في سائرِ الأحكامِ ويُكفِّرُ رعيةَ ذلك الحاكم، واليومَ لا يوجدُ في البلادِ الإسلاميةِ حاكمٌ إلا ويحكُمُ بغير الشرعِ في قضايا كثيرةٍ مع حكمِهم في عِدةِ مسائلَ بالشرعِ في الطلاقِ والميراثِ والنكاحِ والوصيةِ يحكُمون بحُكمِ القرءانِ، ومع هذا سيد قطب وأتباعه يكفِّرونَهم ويكفِّرُون رعاياهم ويستحلون قتلهم بأي وسيلة استطاعوها بالسلاح والتفجير وغير ذلك إلا من قام معهم فثار على الحكام.

وليسَ لسيد قطب سلفٌ في ذلكَ إلا الخوارجَ فإنهم كانوا يُكفِّرونَ المسلمَ لارتِكابِ المعصيةِ كالزِّنى وشربِ الخمرِ والحكمِ بغيرِ الشرعِ للرِّشوةِ أو الصداقةِ أو القرابةِ، فسيد قطب كانَ عاش على الإلحادِ إحدى عشرةَ سنةً وذلك باعترافِه ثمَّ لجأَ إلى حزبِ الإخوانِ الذينَ كانَ جمَعَهُم الشيخُ حسن البنا رحمهُ الله، ثمَّ في حياة حسن البنا انحرفَ سيد قطب وءاخرونَ عن منهجِه الذي كان منهجًا سالمًا ليسَ فيهِ تكفيرُ المسلمِ إذا حكمَ بغيرِ الشرعِ، فعلِمَ الشيخ حسن بانحرافِهم فقالَ: هؤلاءِ ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين.

وقد ذكر الدكتور محمد الغزالي وكانَ من أتباعِ الشيخ حسن البنا في كتابِه «من معالم الحق»[١] في صحيفة ٢٦٤ ما نصه: «وكانَ الأستاذ حسن البنا نفسُهُ وهو يُؤَلِّفُ جماعتَه في العهدِ الأولِ يعلمُ أنَّ الأعيانَ والوُجهاءَ وطلابَ التسليةِ الاجتماعية الذينَ يكثرون في هذهِ التشكيلات لا يصلُحون لأوقاتِ الجِد. فألَّفَ ما يُسمَّى بالنظامِ الخاصِّ، وهو نظامٌ يضُم شبابًا مُدربينَ على القتالِ، كانَ المفروضُ من إعدادِهم مقاتلةَ المحتلينَ الغزاةِ. وقد كانَ هؤلاءِ الشبابُ الأخفياءُ شرًّا ووبالاً على الجماعةِ فيما بعدُ، فقد قتل بعضُهم بعضًا وتحوَّلُوا إلى أداةِ تخريبٍ وإرهابٍ في يدِ من لا فقهَ لهم في الإسلامِ ولا تعويلَ على إدراكِهم للصالحِ العام. وقد قال حسن البنا فيهم قبل أن يموتَ إنهم

---

(١) انظر صورة كتاب «من معالم الحق» (ص/ ١٤٥).

ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين» ا.هـ.

ثم كثيرٌ من الناسِ انْفتَنُوا بتفسيرِ سيد قطب هذا وعملوا على تنفيذِه حتى قتلُوا خَلقًا كثيرًا في مصرَ والجزائرِ وسوريا وغيرِها مُعتبِرين قتلَهم لمن يخالِفُهم قربةً إلى الله، ومن ذلك أنهم قتلوا في مدينةِ حلب في سوريا شيخًا كان مفتِيا على قريةٍ تابعةٍ لحلب تسمى عفرين كان يخالِفُهم فدخلوا عليهِ في المسجدِ بعدَ صلاةِ العشاءِ بعدما انصرفَ الناسُ من المسجدِ وبقيَ هو ورجلٌ ءاخرُ، ثم صوَّبُوا إليه الرصاصَ فرمى ذلك الشخصُ نفسَهُ على الشيخِ فقتلوهُ ثم قتلوا الشيخَ، وهذا الشيخُ يُسمى الشيخَ محمد الشامي رحمه الله. وقد كان يحصلُ من حكامِ المسلمينَ قديمًا وحديثًا الحكمُ بغيرِ القرءانِ إما لِرشوةٍ وإما لِقرابةٍ أو لإرضاءِ ذوي النفوذِ فلم يكفِّرْهُمُ المسلمونَ لِحُكمِهم بغيرِ القرءانِ إنما اعتبروهُم فاسقينَ.

ثم إن هؤلاءِ أتباعَ سيد قطب يتفنَّنُونَ في التعبيرِ عن جماعتِهم، قبلَ أربعينَ عامًا كانوا يُعرفونَ باسمَينِ حزب الإخوان المسلمون في مصرَ وغيرِها وفي لبنان باسم عباد الرحمٰن ثم استحدَثوا اسمًا ثالثًا عامًّا وهو الجماعةُ الإسلاميةُ لِيَظُنَّ الناسُ أنهم دعاةٌ إلى حقيقةِ الإسلامِ اعتقادًا وعملاً، وواقِعُ حالِهم خلافُ ذلك.

* أما حزبُ التحرير فمِما شذُّوا بهِ عنِ الأمةِ قولهُم بأنَّ من يموتُ دون أن يبايعَ الخليفة فميتَتُهُ مِيتةُ الجاهلية[١] أي عُبَّادِ الأوثانِ، فعلى قولهِم كلُّ مسلم يموتُ منذ أكثرَ من مائةِ سنةٍ مِيتتُه مِيتةٌ جاهليةٌ لأنهُ لا يوجدُ خليفةٌ منذُ ذلك الزمن، أما الخلافة العامة التي تدير شؤون المسلمين كلهم فقد انقطعت منذ زمان طويل. فالمسلمونَ في تركِ نصبِ الخليفةِ اليومَ لهم عذرٌ، أعني الرعايا، الرعايا لا يستطيعونَ اليومَ نَصبَ خليفةٍ فما ذنبُهم، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ۝٢٨٦﴾ [سورة البقرة].

وأعظمُ من هذا ضلالا قولهُم: العبدُ يخلُقُ أفعالَهُ الاختيارية ليسَ الاضطرارية، خالفوا قولَ اللهِ تعالى[٢]: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ۝٦٢﴾ [سورة الزمر]، لأن الشيء يَشملُ الجسمَ وعملَ الجسم، وقولَه[٣]: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ۝٣﴾ [سورة فاطر]، وقولَه[٤]: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ

---

(١) انظر صورة كتاب «الدولة الإسلامية» (ص/ ١٤٧) وصورة «الخلافة» (ص/ ١٤٩) وصورة كتاب «الشخصية الإسلامية» (ص/ ١٥٣) وصورة «مذكرة من حزب التحرير إلى المسلمين في لبنان» (ص/ ١٥٨).

(٢) انظر صورة كتاب «جامع البيان عن تأويل اءاي القرءان» (ص/ ١٦٠) وصورة كتاب «تفسير الفخر الرازي» (ص/ ١٦٣).

(٣) انظر صورة كتاب «التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط» (ص/ ١٧١) وصورة كتاب «تفسير الفخر الرازي» (ص/ ١٧٤) وصورة كتاب «جامع البيان» (ص/ ١٧٦).

(٤) انظر صورة كتاب «من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط» (ص/ ١٧٨) وصورة كتاب «جامع البيان عن تأويل اءاي القرءان» (ص/ ١٨٢) وصورة كتاب «تفسير الفخر الرازي» (ص/ ١٨٥).

﴿١٦٣﴾ [سورة الأنعام]، اللهُ جعلَ الصلاةَ والنُّسُكَ وهما من أفعالِ العبدِ الاختياريةِ، والمَحيا والمماتَ وهما ليسا من أفعالِ العبدِ الاختياريةِ كلاًّ خلقًا لهُ، لا يُشارِكُه أحدٌ في ذلكَ أي هو أبرزَ ذلك من العدمِ إلى الوجودِ. فدلت هذه الآيات على أن كلَّ ما يدخُلُ في الوجودِ من جسم وحركةٍ وسكونٍ ولونٍ وتفكيرٍ وألم ولَذةٍ وفهم وعجزٍ وضعفٍ كل ذلك بإيجادِ اللهِ تعالى لا غير وإنما العبادُ يَفْعلونَ ولا يخلُقون. وهذا إجماعُ المسلمينَ الذي كانَ عليهِ الصدرُ الأولُ والجمهورُ إلى يومِنا هذا على ذلك.

ومنَ الآياتِ الدالَّةِ على أنَّ العبدَ لا يخلُقُ أفعالَه مُطلقًا الاختياريةَ وغيرَها قولُ اللهِ تعالى[1]: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ١٧﴾ [سورة الأنفال]. مع أنَّ المسلمينَ قاتلوا فقَتَلوا، نفى اللهُ عنهم أنهم قتَلوا من حيثُ الحقيقةُ لأنَّ هذا القتلَ الذي قتلَه الصحابةُ حصلَ لكنَّ قتلَهم هذا ليسَ هم خلقوهُ بلِ اللهُ خلقَه هم فعلوا من حيثُ الكسبُ والظاهرُ واللهُ خلقَهُ أي أوجدَه من العدمِ إلى الوجودِ ثم قالَ اللهُ تعالى على إثرِ هذه الجُملة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ١٧﴾ [سورة الأنفال]. نفى الرَّميَ عن رسولِ اللهِ من حيثُ الحقيقةُ والإيجادُ وهو الإبرازُ من العدمِ إلى الوجودِ أي ما خلقتَ أنت ذلك الرَّميَ الذي حصلَ منك بلِ اللهُ خلقَه أي هو أوجدَ ذلك الرَّميَ الذي حصلَ منك أي اللهُ تعالى نفى الرَّميَ من وجهٍ وأثبتَهُ من وجهٍ نفى أن يكونَ ذلك

(١) انظر صورة كتاب «جامع البيان عن تأويل ءاي القرءان» (ص/ ١٨٨) وصورة كتاب «تفسير الفخر الرازي» (ص/ ١٩١).

الرميُ مخلوقًا للرسولِ وأثبتَهُ من حيثُ إنهُ كسبَهُ أي هو فعلَهُ من غيرِ أن يكونَ خلقه. فمخالفةُ التحريريةِ لهاتينِ الآيتَينِ صريحةٌ وللآيةِ الأخرى أشدُّ تصريحًا. قالَ الإمامُ أبو حنيفةَ: «أعمالُ العبادِ فعلٌ منهم وخلقٌ للهِ» وعلى هذا سلفُ الأمةِ وخلفُهم، وما خالفَ هذا فهو خلافُ كتابِ اللهِ وخلافُ حديثِ رسولِ الله، فقد روى البخاريُّ وغيرُه أن الرسولَ عليه السلام كان يقولُ إذا قَفَلَ من حجٍّ أو عمرةٍ أو غزوٍ «**لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده**»، جعلَ رسولُ اللهِ ﷺ هزْمَ الأحزابِ خلقًا للهِ تعالى وحدَه لم يشارِكْه فيهِ غيرُه مع أنَّهم في الظاهرِ حصلَ منهم هزمُ العدوِّ وهذا أبينُ البَيانِ. وهناك ءاياتٌ أخرى تدلُّ على أن العبادَ لا يخلُقونَ أعمالَهم مُطلقا كقولِه[1]: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ١٢٧﴾ [سورة النحل]. وقولِه[2]: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ٨٨﴾. هذا إذا كانَ الخلقُ بمعنى الإبرازِ من العدمِ إلى الوجودِ، أما الخلق إذا أريدَ به تصويرُ صورةٍ أو افتراءُ الكذبِ أو التقديرُ فيصحُّ أن يُضافَ إلى العبادِ وقد قالَ اللهُ تعالى في حقِّ عيسى[3]: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ ١١٠﴾ [سورة المائدة]. فإنَّ معنى تخلُقُ هنا تعملُ صورةً ليس معناهُ تُبرِزُ

---

(١) انظر صورة كتاب «تفسير الفخر الرازي» (ص/ ١٩٤) وصورة كتاب «جامع البيان عن تأويل ءاي القرءان» (ص/ ١٩٨).

(٢) انظر صورة كتاب «جامع البيان عن تأويل ءاي القرءان» (ص/ ٢٠٠) وصورة كتاب «تفسير الفخر الرازي» (ص/ ٢٠٢).

(٣) انظر صورة كتاب «جامع البيان عن تأويل ءاي القرءان» (ص/ ٢٠٦) وصورة كتاب «من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط» (ص/ ٢٠٩).

الطيرَ من العدمِ إلى الوجودِ. وكذلك قولُهُ تعالى[١]: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [سورة المؤمنون]، معنى الخلقِ في هذه الآيةِ التقديرُ ليسَ الخلق بمعنى الإبرازِ من العدمِ إلى الوجودِ إنما معنى الآيةِ اللهُ أحسنُ المُقدِّرين، وقالَ تعالى[٢]: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ ١٧﴾ [سورة العنكبوت]. نَسبَ إلى المشركينَ خلْقَ الإفكِ أي افتراءَهُ ليس معناهُ أنهم يخلُقونَ الإفكَ بمعنى الإبرازِ من العدمِ إلى الوجودِ. ووُرود الخلقِ بِمَعنى التقديرِ معروفٌ عند العربِ القدماءِ قالَ بعضُ الشعراء:

ولأنــت تــفـرِي مــا خــلــقــتَ وبــعــ
ـضُ الــقــومِ يــخــلُــقُ ثــم لا يــفــري

يقولُ الشاعرُ لممدوحِه أنتَ تُقدِّرُ ثم تُنفِّذُ وبعضٌ غيرك يقدِّرُ ثم لا يُنفِّذ.

فمِنْ بابِ إنكارِ المنكرِ الذي فرضَهُ اللهُ على المسلمينَ يجبُ الإنكارُ على هؤلاءِ وتحذيرُ الناسِ منهم ومن كلِّ فرقةٍ خالفَتْ ما درَجَ عليه المسلمونَ من أيامِ الصحابةِ إلى هذا العصرِ وهم جمهورُ الأمة، وهؤلاء الشاذونَ شراذمُ قليلةٌ باعتبارِ كثرةِ أهلِ السنة، وقد أوصى رسولُ اللهِ ﷺ بِلُزومِ الجماعةِ وقد صحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنهُ قالَ: **«عليكم بالجماعةِ وإياكم والفُرقة فإنَّ الشيطانَ مع الواحِدِ وهو من**

(١) انظر صورة كتاب «تفسير الفخر الرازي» (ص/ ٢١٢) وصورة كتاب «جامع البيان عن تأويل اي القرءان» (ص/ ٢١٦).

(٢) انظر صورة كتاب «جامع البيان عن تأويل اي القرءان» (ص/ ٢١٩) وصورة كتاب «من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط» (ص/ ٢٢١).

الاثنينِ أبعدُ، فمن أرادَ بُحْبوحَةَ الجنةِ فليَلْزَمِ الجماعةَ». رواهُ الترمذيُّ في جامِعِهِ وقالَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وابن حبان وابن ماجه وغيرهم.

ثم نصيحتُنا لهؤلاءِ الفِرقِ الثلاث أن يتعلَّموا علمَ الدينِ من أَفواهِ أهلِ السنةِ ليس من مؤلفاتِ محمدِ بنِ عبدِ الوهاب ولا من مؤلفاتِ سيد قطب ولا من مؤلفاتِ تقيِّ الدينِ النبهاني بل أن يقرؤوا على أهلِ العلمِ كتبَ العلماءِ المعتبرة ككتابِ البخاريِّ المُسمَّى «خلقُ أفعالِ العبادِ» وكتابِ أبي جعفر الطحاوي المسمَّى بـ «العقيدة الطحاوية» وكتابِ «تفسير الأسماءِ والصفاتِ» للإمامِ أبي منصور عبدِ القاهرِ بنِ طاهر البغداديِّ. فإن تخلَّيْتم عن عقائدِكم وأخذتُم بهذهِ العقائدِ وتشهدتم اهْتديتُم، وإلى اللهِ ترجِعُ الأمورُ وإليهِ المآلُ والنُّشور.

والله سبحانه وتعالى أعلم

مصادر الفكر الجاهلي
التكفير والهجرة

الصّواعق الإلهيّة في الرّد على الوهّابيّة

للعلامة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب النجدي
شقيق الشيخ محمد بن عبد الوهاب

حققه وقدم له وعلق عليه
ابراهيم محمّد البطاوي



دار الإنسان
١٠٩ شارع التحرير - ميدان الدقي
٩٠٢٧٥٠ / ٧١٠٠٣٣ - القاهرة

مصادر الفكر الجانح
التكفير والهجرة

الصّواعق الإلهيّة في الرّد على الوهّابيّة

للعلامة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب النجدى
شقيق الشيخ محمد بن عبد الوهاب

حققه وقدم له وعلق عليه
إبرهيم محمّد البطاوى



١٠٩ شارع التحرير ـ ميدان الدقي
ت ٧١٠٠٣٣ ـ ٩٠٢٧٥٠ ـ القا

السُّحُبُ الوابلةُ
على ضرائحِ الحنابلةِ

للإمام العلّامة الشيخ محمّد بن عبد الله ابن حُميد النجْديّ الحنبليّ
مُفتي الحنابلةِ بمكّةَ المكرّمة
المتوفى سنة ١٢٩٥هـ

مكتبة الإمام أحمد

ابن ناصر/الدين وابن الطحان وابنة ابن الشرايحي وابن بردس والبرهان الحلبي [٣٤٠ ب] وشيخنا وما أظنه حدث/ مات في ربيع الأول سنة ٨٤٥ ودفن بتربة المعتمد [٢٦٣ أ] بالصالحية.

٤١٥ ـ عبدالوهاب بن سليمان بن علي[1] بن مشرف بوزن محمد التميمي النجدي.

قرأ في الفقه على أبيه صاحب المنسك المشهور وعلى غيره وحصل وتفقه ودرّس وكتب على بعض المسائل الفقهية كتابة حسنة توفي سنة ١١٥٣ وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق لكن بينهما تباين مع أن محمداً لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عن من عاصر الشيخ عبدالوهاب هذا أنه كان غضباناً على ولده[2] محمد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ويتفرس فيه أن يحدث منه أمر فكان يقول للناس ياما ترون من محمد [من الشر][3] فقدر الله أن صار ما صار وكذلك ابنه سليمان أخو الشيخ محمد كان منافياً له في دعوته ورد عليه رداً جيداً بالآيات والآثار لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ولا يلتفت إلى كلام عالم [متقدماً أو متأخراً][4] كائناً من كان غير الشيخ تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فإنه يرى كلامهما نصاً لا يقبل التأويل ويصول به على الناس وإن كان كلامهما على غير ما يفهم وسمى الشيخ سليمان رده على أخيه فصل الخطاب في الرد على محمد بن

---

(١) بهامش (أ) ما نصه [قال أبو الفيض: وجدت في بعض الأوراق عندي بخط ابن ابنه عبدالله ما نصه: محمد بن عبدالوهاب بن علي بن محمد بن أحمد بن بُريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن إدريس بن علي بن محمد بن علوي بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيع بن ساعدة بن ثعلبة بن ربيع بن ملكان بن عدي بن مناه بن تميم. اهـ].

(٢) قال الشيخ العلامة حسين بن غنام المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ في تاريخه (وكتب والده إلى بعض إخوانه نوّه فيها بشأن ابنه محمد، وأثنى فيها عليه وعلى حفظه وفهمه وإتقانه) انتهى ص ٧٥ فالشيخ ابن غنام من تلاميذ الشيخ محمد وهو أعلم برأي الشيخ عبدالوهاب بابنه محمد من صاحب السحب.

(٣) سقط من (ب).

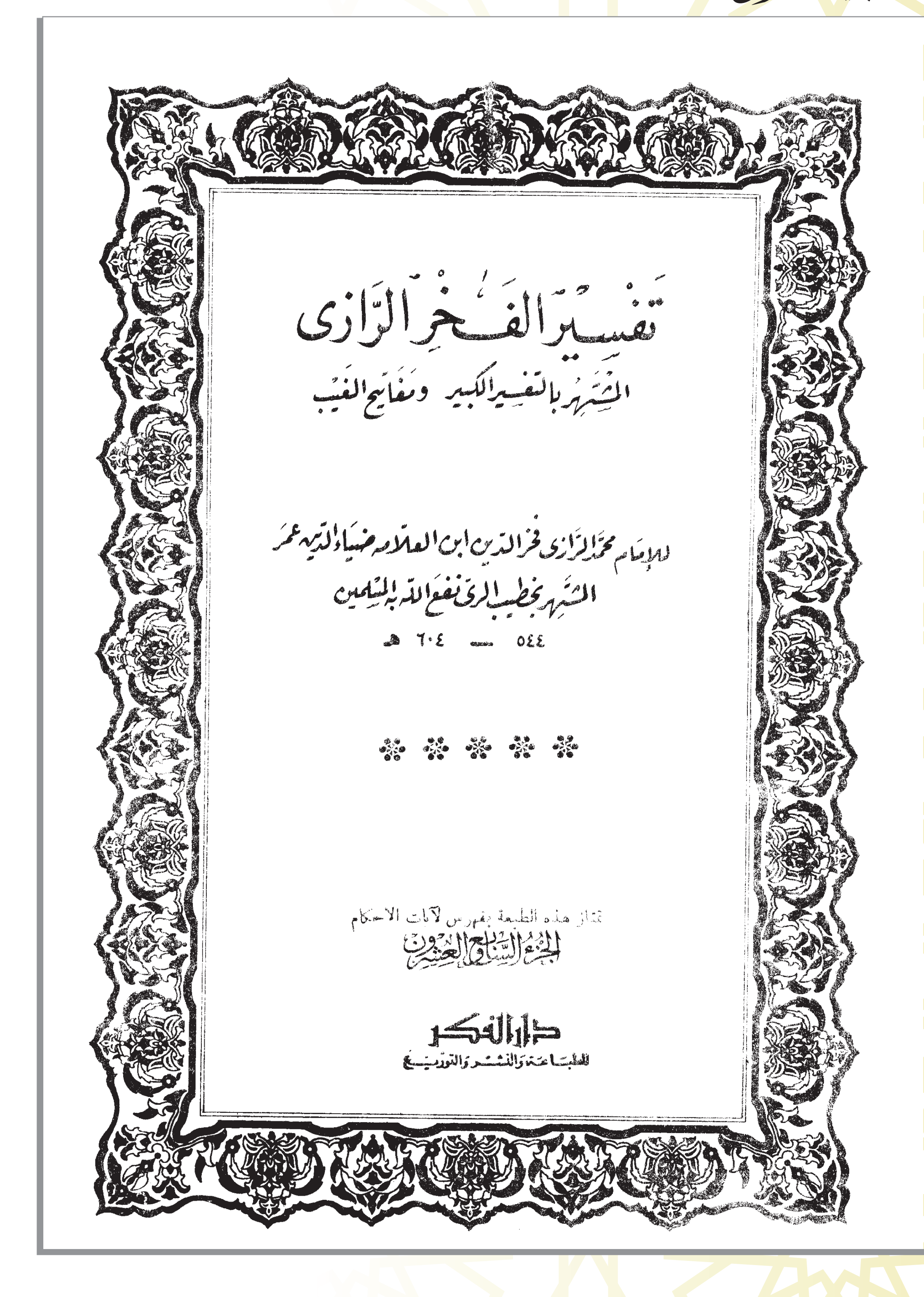
(٤) في (أ): متقدم ومتأخر.

[٣٤١ ب] عبدالوهاب وسلمه الله من شره ومكره/ مع تلك الصولة الهائلة التي أرعبت الأباعد فإنه كان إذا باينه أحداً ورد عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله وقيل أن
[٢٦٤ أ] مجنوناً كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسلاح فأمر/ محمد أن يعطى سيفاً ويدخل على أخيه[١] الشيخ سليمان وهو في المسجد وحده فأدخل عليه فلما رآه الشيخ سليمان خاف منه فرمى المجنون السيف من يده وصار يقول يا سليمان لا تخف إنك من الآمنين ويكررها مراراً ولا شك أن هذه من الكرامات وخلف سليمان المذكور عبدالعزيز من الفضلاء الأتقياء النجباء وأهل الورع البالغ في زمنه إلى الغاية بحيث صار يطلق عليه أنه أورع أهل العصر وأخبرني عمي عثمان وهو من طلبة العلم وله اعتقاد عظيم في الشيخ المذكور لعبادته وزهده وصلاحه وورعه وتقواه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم كأنه في مسجد الجوز غربي عنيزة وكان الشيخ عبدالعزيز المذكور يصلي قدامه فجئت إلى النبي ﷺ وسلمت عليه وجلست عنده [وقال][٢] هذا وأشار إلى عبدالعزيز أورع أهل وقته أو من أورع أهل وقته الشك من عمي ـ فقلت يا رسول الله كابن عمر في زمانه. قال: نعم.

فكتبت للشيخ أبشره بذلك فكتب إلي ما معناه أني لست من أهل هذا
[٣٤٢ ب] القبيل ولكن حسن ظنك في الفقير أراك/ هذا وإن كانت رؤيا النبي ﷺ حقاً فالرؤيا تسر المؤمن ولا تغره ونحواً من هذا الكلام وقد رأيت مكتوبه هذا عند عمي وخطه في غاية الحسن والنورانية وأصيب بولده النجيب الأديب الأريب الفاضل الذكي الشيخ محمد وكان قد قرأ وفهم وتميز وفاق أهل عصره بالحفظ فمن محفوظاته مختصر المقنع وألفية الآداب وأظن وألفية المفردات والشذور. وألفية ابن مالك ومنظومة حروف المعاني للبيتوشي وجمع الجوامع النحوي وغير ذلك ولا أعرف مقاربة في كثرة المحفوظات وتوفي سنة ١٢٦٣ في الإحساء وعمره نحو سبع وعشرين

---

(١) في هذا المكان من (ب): حفظ [محمد] وهو والله أعلم زائد.
(٢) في (أ): فقال.



تفسير الفخر الرازي

المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر

المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين

٥٤٤ ــ ٦٠٤ هـ

* * * * *

تمتاز هذه الطبعة بفهرس لآيات الأحكام

الجزء السابع والعشرون

دار الفكر

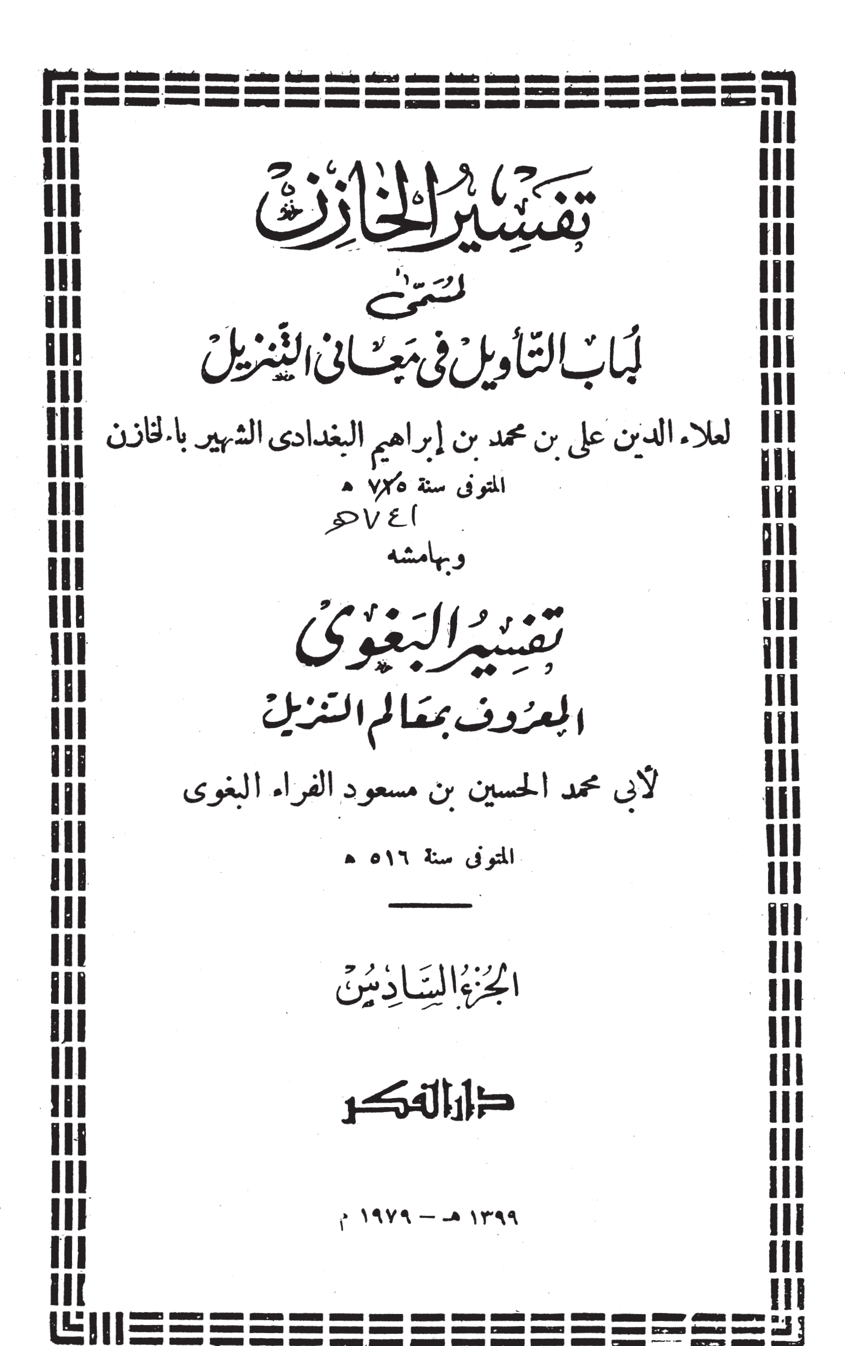
للطباعة والنشر والتوزيع

قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وهذه الآية فيها مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية فى نفى كونه تعالى جسما مركباً من الأعضاء والأجزاء وحاصلا فى المكان والجهة ، وقالوا لو كان جسما لكان مثلا لسائر الأجسام ، فيلزم حصول الأمثال والأشباه له ، وذلك باطل بصريح قوله تعالى (ليس كمثله شيء) ويمكن إيراد هذه الحجة على وجه آخر ، فيقال إما أن يكون المراد (ليس كمثله شيء) فى ماهيات الذات ، أو أن يكون المراد ليس كمثله فى الصفات شيء ، والثانى باطل ، لأن العباد يوصفون بكونهم عالمين قادرين ، كما أن الله تعالى يوصف بذلك ، وكذلك يوصفون بكونهم معلومين مذكورين ، مع أن الله تعالى يوصف بذلك ، فثبت أن المراد بالمماثلة المساواة فى حقيقة الذات ، فيكون المعنى أن شيئاً من الذوات لا يساوى الله تعالى فى الذاتية ، فلو كان الله تعالى جسما ، لكان كونه جسما ذاتاً لا صفة ، فإذا كان سائر الأجسام مساوية له فى الجسمية ، أعنى فى كونها متحيزة طويلة عريضة عميقة ، ، فحينئذ تكون سائر الأجسام مماثلة لذات الله تعالى فى كونه ذاتاً ، والنص ينفى ذلك فوجب أن لا يكون جسما .

واعلم أن محمد بن إسحق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية فى الكتاب الذى سماه بالتوحيد ، وهو فى الحقيقة كتاب الشرك ، واعترض عليها ، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات ، لأنه كان رجلا مضطرب الكلام ، قليل الفهم ، ناقص العقل ، فقال : « نحن نثبت لله وجهاً ونقول : إن لوجه ربنا من النور والضياء والبهاء ، مالو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره ، ووجه ربنا منفى عنه الهلاك والفناء ، ونقول إن لبنى آدم وجوهاً كتب الله عليها الهلاك والفناء ، ونفى عنها الجلال والإكرام ، غير موصوفة بالنور والضياء والبهاء ، ولو كان مجرد إثبات الوجه لله يقتضى التشبيه لكان من قال إن لبنى آدم وجوهاً وللخنازير والقردة والكلاب وجوهاً ، لكان قد شبه وجوه بنى آدم بوجوه الخنازير والقردة والكلاب . ثم قال : ولا شك أنه اعتقاد الجهمية لأنه لو قيل له : وجهك يشبه وجه الخنازير والقردة لغضب ولشافهه بالسوء ، فعلمنا أنه لا يلزم من إثبات الوجه واليدين لله إثبات التشبيه بين الله وبين خلقه » .

وذكر فى فصل آخر من هذا الكتاب « أن القرآن دل على وقوع التسوية بين ذات الله تعالى وبين خلقه فى صفات كثيرة ، ولم يلزم منها أن يكون القائل مشبهاً فكذا ههنا » ونحن نعد الصور التى ذكرها على الاستقصاء . (فالأول) أنه تعالى قال فى هذه الآية (وهو السميع البصير) وقال فى حق الإنسان (فجعلناه سميعاً بصيراً) ، (الثانى) قال (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) وقال فى حق المخلوقين (أولم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء) ، (الثالث) قال (واصنع الفلك بأعيننا ، واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) وقال فى حق المخلوقين (ترى أعينهم تفيض من الدمع) (الرابع) قال لإبليس (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وقال (بل يداه مبسوطتان) وقال



تفسير الخازن
المسمى
لباب التأويل في معاني التنزيل
لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن
المتوفى سنة ٧٢٥ هـ
٧٤١ هـ
وبهامشه
تفسير البغوي
المعروف بمعالم التنزيل
لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي
المتوفى سنة ٥١٦ هـ

الجزء السادس

دار الفكر

١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م

فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذى يزيل الريب (ذلكم الله) الذى يحكم بين المختلفين هو (ربي عليه توكلت وإليه أنيب
فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا) من مثل خلقكم حلائل قيل إنما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء
من ضلع آدم(ومن الأنعام أزواجا) (١١٨) أصنافا ذكورا وإناثا (يذرؤكم) يخلقكم (فيه) أى فى الرحم وقيل
فى البطن وقيل على هذا الوجه من الخلقة : قال مجاهدنسلا بعد نسل من الناس والأنعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به وقيل معناه يكثركم بالتزويج(ليس كمثله شىء) مثل صلة أى ليس هو كشىء فأدخل المثل للتوكيد كقوله «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به» وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شىء قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس له نظير (وهو السميع البصير له مقاليد السموات والأرض) مفاتيح الرزق فى السموات والأرض قال الكلبي المطر والنبات (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) لأن مفاتيح الرزق بيده (إنه بكل شىء عليم) قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) بين وسن لكم (ماوصى به نوحا) وهو أول أنبياء الشريعة . قال مجاهد أوصيناك وإياه يامحمد دينا واحدا
(والذى أوحينا إليك)من القرآن وشرائع الإسلام (وما وصينا به إبراهيم الدين
وموسى وعيسى) واختلفوا فى وجه الآية فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام : وقال الحكم تحريم الأمهات والبنات
والأخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبيا إلا أوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذى شرع
لهم وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك وقيل هو ماذكر من بعد وهو قوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) بعث الله

الريب وقيل علمه إلى الله وقيل تحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) يعنى الذى يحكم بين المختلفين هو الله (ربى عليه توكلت) يعنى فى جميع أمورى (وإليه أنيب) يعنى وإليه أرجع فى كل المهمات (فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم) يعنى من جنسكم (أزواجا)يعنى حلائل وإنما قال من أنفسكم لأن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم (ومن الأنعام أزواجا) يعنى أصنافا ذكرانا وإناثا (يذرؤكم) يعنى يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) يعنى فى الرحم وقيل فى البطن لأنه قد تقدم ذكر الأزواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير فى يذرؤكم يرجع إلى المخاطب من الناس والأنعام إلا أنه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الأنعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به أى يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شىء)المثل صلة أى ليس كهو شىء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شىء قال ابن عباس ليس له نظير. فان قلت هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى «وله المثل الأعلى فى السموات والأرض» يقتضى إثبات المثل فما الفرق . قلت المثل الذى يكون مساويا فى بعض الصفات الخارجية عن الماهية فقوله ليس كمثله شىء معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالي مثل وقوله وله المثل الأعلى معناه وله الوصف الأعلي الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) يعنى لسائر المسموعات (البصير) يعني المبصرات (له مقاليد السموات والأرض) يعنى مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الأرض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى أنه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لأن مفاتيح الرزق بيده (إنه بكل شىء عليم) أى من البسط والتضييق. قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) أى ما بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أى دينا تطابقت على صحته الأنبياء وهو قوله تعالى (ماوصى به نوحا) أى أنه أول الأنبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه وإياك يامحمد دينا واحدا (والذى أوحينا إليك) أى من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) إنما خص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والأتباع الكثيرة وأولوا العزم. ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الأعلام من رسله بقوله تعالي (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)والمراد باقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله فى أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التى هى مصالح الأمم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام والقيل تحريم الأمهات والبنات والأخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا إلا وصاه إقام صلاة وإيتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الأنبياء كلهم باقامة

فهارس الجزء الخامس والعشرون
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، أنه قال فى هذه الآية (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : يخلقكم .

وقال آخرون : بل معناه : يعيشكم فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجا ، وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) يقول : يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : يعيشكم فيه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) قال : عيش من الله يعيشكم فيه . وهذان القولان وإن اختلفا فى اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد وهو أن يكون القائل فى معناه يعيشكم فيه ، أراد بقوله ذلك : يحييكم بعيشكم به كما يحيى من لم يخلق بتكوينه إياه ، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا . وقد بيَّنت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادته .

وقوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فيه وجهان : أحدهما أن يكون معناه : ليس هو كشىء ، وأدخل المثل فى الكلام توكيدا للكلام إذا اختلف اللفظ به وبالكاف ، وهما بمعنى واحد ، كما قيل .

* ما إِنْ نَدِيتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ[١] *

فأدخل على « ما » وهى حرف جحد « إن » وهى أيضا حرف جحد ، لاختلاف اللفظ بهما ، وإن اتفق معناهما توكيدا للكلام ، وكما قال أوس بن حَجَر :

وَقَتْلَى كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلْ تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ[٢]

ومعنى ذلك : كجذوع النخيل ، وكما قال الآخر :

---

(١) هذا مصراع أول من بيت للنابغة الذبيانى . وعجزه :

* إِذَنْ فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِى إِلَىَّ يَدِى *

(انظر مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى) ورواية الشطر الأول فيه * ما قلت من سيىء مما أتيت به * قال شارحه : يقول : إذا كنت قلت هذا الذى بلغك ، فشلت يدى حتى لا أطيق رفع السوط على خفته . وروى فى اللسان والتاج كرواية المؤلف ، قال الزبيدى : يقال : ما نديني من فلان شىء أكرهه ، أى ما بلنى ولا أصابنى . وما نديت له كفى بشر وما نديت بشىء . ومحل الشاهد فى البيت عند المؤلف قوله « ما إن » حيث أدخل حرف النفى « ما » على حرف النفى « إن » لاختلاف لفظهما ، توكيدا للكلام . وهو نظير إدخال كاف التشبيه ، على كلمة « مثل » التى تفيد التشبيه ، فى قوله تعالى « ليس كمثله شىء » ، لتوكيد الكلام ، لاختلاف اللفظين .

(٢) وهذا الشاهد من كلام أوس بن حجر التميمى ، وهو شاعر جاهلى مشهور ، شاهد كالشاهد السابق ، أدخل فيه أداة التشبيه « الكاف » على أختها فى المعنى « مثل » لاختلاف لفظهما ، توكيدا للكلام ، وهو نظير « ما» فى قوله تعالى : « ليس كمثله شىء » .

سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ إِذَا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ ما إنْ كَمِثْلِهِمِ فِي النَّاسِ مِنْ أَحَدِ [1]

والآخر : أن يكون معناه : ليس مثله شيء ، وتكون الكاف هى المدخلة فى الكلام ، كقول الراجز :

* وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْثَفَيْنْ [2] *

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه ، وكما قال الآخر :

تَنْفِى الغَيَادِيقُ عَلَى الطَّرِيقِ قَلَّصَ عَنْ كَبَيْضَةٍ فِي نِيقِ [3]

فأدخل الكاف مع « عن » ، وقد بيّنّا هذا فى موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح ، فلذلك تجوّزنا فى البيان عنه فى هذا الموضع .

وقوله (وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) يقول جلّ ثناؤه واصفا نفسه بما هو به ، وهو يعنى نفسه ، السميع لما تنطق به خلقه من قول ، البصير لأعمالهم ، لايخفى عليه من ذلك شيء ، ولا يعزب عنه علم شيء منه ، وهومحيط بجميعه ، محصٍ صغيره وكبيره (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من خير أو شرّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ١٢

يعنى تعالى ذكره بقوله : (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) : له مفاتيح خزائن السموات والأرض وبيده مغاليق الخير والشرّ ومفاتيحها ، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) قال : مفاتيح بالفارسية .

---

(١) لم أقف على قائل هذا البيت . وقد استشهد به المؤلف على إدخال أداتى التشبيه (الكاف ، ومثل) معا على شيء واحد ، فهو فى معنى الشاهدين قبله .

(٢) هذا بيت من عدة أبيات من مشطور الرجز ، ينسبان إلى خطام المجاشعى ، ونسبهما الجوهرى فى الصحاح ، والصقلى فى شرحه لأبيات الإيضاح للفارسى ، إلى هميان بن قحافة . وبيت الشاهد آخرها بيتا . (انظر الأبيات فى هامش صفحة ٢٨٢ من الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جنى طبعة شركة مصطفى البابى الحلبى وأولاده) وفيه : الصاليات : الأثافى التى توضع عليها القدور وقد صليت النار حتى اسودت . ويؤثفين : يجعلن أثافى للقدر ، وهى جمع أثفية ، يقال أثنى القدر يثفيها : جعل لها أثافى . ومحل الشاهد قوله « ككما » فإن الكاف الأولى حرف ، والثانية اسم بمعنى مثل . والمعنى : لم يبق إلا حجارة منصوبة كمثل الأثافى . واستشهد به المؤلف على دخول الكاف على الكاف لتوكيد الكلام .

(٣) لم أقف على قائل البيت . ولم يتضح لى معناه تماما ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ . وموضع الشاهد فيه واضح ، وهو دخول « عن » على الكاف فى قوله « كبيضة » فإما أن تكون الكاف زائدة ، أى عن بيضة ؛ وإما أن تكون الكاف اسما بمعنى مثل فى محل جر .

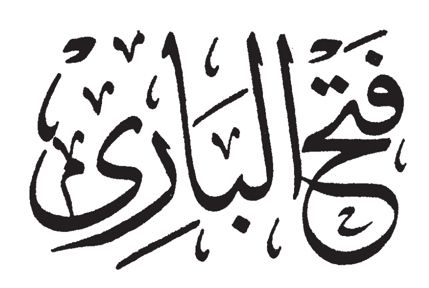
متن العقيدة الطحاوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال العلاّمة حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي بمصر رحمه الله:

هذا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَة أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقهاءِ المِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الكُوفِيّ، وأَبِي يوسُف يَعْقُوبَ بْنِ إبْرَاهِيمَ الأنْصَارِيّ، وَأَبِي عَبْدِ الله مُحمدِ بْنِ الحَسَنِ الشَّيبَانيّ، رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمعينَ وَما يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدّينِ، وَيدِينُون بِهِ لِرَبّ العَالَمِينَ. نَقُولُ في تَوْحِيدِ الله مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ الله: إنَّ الله وَاحِدٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ. وَلاَ شَيْءَ مِثْلُهُ، وَلاَ شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ. قَدِيمٌ بِلاَ ابْتِداءٍ، دَائِمٌ بِلاَ انْتِهَاءٍ، لا يَفْنَىٰ وَلاَ يَبِيدُ، وَلاَ يَكونُ إلاَّ مَا يُرِيدُ، لاَ تَبْلُغُهُ الأوْهَامُ وَلا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ، وَلاَ يُشْبِهُ الأنَامَ، حيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلاَ حَاجةٍ، رَازِقٌ بِلا مؤنَةٍ، مُمِيتٌ بِلاَ مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ. مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيئًا لَمْ يَكن قَبلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ. وَكَما كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كذَلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْها أَبدِيًّا، لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الخَالِقِ، وَلاَ بِإحْدَاثِهِ البريَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ البَارِىءِ. لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلاَ مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الخَالِقِ وَلاَ مَخْلُوقَ. وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي المَوْتَى بَعْدَمَا أَحيا، اسْتَحَقَّ هٰذا الاسْمَ قَبْلَ إحْيَائِهِم كَذٰلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الخَالِقِ قَبْلَ إنْشَائِهِمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلّ شيْءٍ قَدِيرٌ،

وَكُلُّ شَيْءٍ إلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لاَ يَحْتَاجُ إلٰى شيْءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا، وضَرَبَ لَهُم ءاجالاً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشيئَتُهُ تَنْفُذُ لا مشيئةَ للعبادِ إلا ما شاءَ لَهُمْ فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ ويُعَافِي فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يشاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلاً. وَكُلُّهُمْ يتقلبونَ في مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، وَهُوَ مُتَعَالٍ عن الأضْدَادِ وَالأنْدادِ، لاَ رَادَّ لِقَضَائِهِ، ولاَ مُعَقبَ لِحُكْمِهِ، وَلاَ غَالِبَ لأمْرِهِ. ءامَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلاًّ مِنْ عِنْدِهِ. وإنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ المُصْطَفىٰ، وَنَبِيُّهُ المُجْتَبىٰ، وَرسُولُهُ المُرْتَضىٰ، وَإنَّه خَاتَمُ الأنبيَاءِ، وإمامُ الأتقياءِ، وسيّدُ المُرْسَلين، وَحَبِيبُ ربِّ العَالَمينَ، وَكُلُّ دَعْوَةِ نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَغَيٌّ وَهَوًى. وَهُوَ المَبْعُوثُ إلى عَامَّةِ الجِن وَكَافَّةِ الوَرَىٰ بِالحَق وَالهُدَى وَبِالنُّورِ والضّيَاءِ. وإنَّ القُرءانَ كلامُ الله، مِنْهُ بَدَا بلا كَيْفِيةٍ قوْلاً، وَأَنزَلَهُ عَلٰى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ المُؤْمِنُونَ عَلٰى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلاَمُ الله تَعَالٰى بالحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلامِ البَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّه كلامُ البَشَرِ فَقَد كَفرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ الله وَعَابَهُ وأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حيثُ قالَ تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾، فلمَّا أَوْعَدَ الله بسَقَرَ لِمَن قَالَ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾، عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّه قَوْلُ خَالِقِ البَشَرِ، ولا يشْبِهُ قَوْلَ البَشَرِ. وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنًى مِنْ مَعاني البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّار انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ بِصِفَاتِهِ لَيْس كَالبَشَرِ. والرؤْيةُ حَقٌّ لأَهْلِ الجَنَّةِ،



بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسمعيل البخاري

للإمام الحافظ

أحمد بن عليّ بن حجر

العسقلاني

٧٧٣ — ٨٥٢

قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا

وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض

رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه

واستقصى أطرافه، ونبه على أرقامها في كل حديث

محمد فؤاد عبد الباقي

قام بإخراجه، وتصحيح تجاربه

وأشرف على طبعه

محب الدين الخطيب

الجزء الثاني

الناشر

دار المعرفة

للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

أن يستسقى لهم كما فى الترجمة ، وكذا ليس فى قول عمر أنهم كانوا يتوسلون به دلالة على أنهم سألوه أن يستسقى لهم ، إذ يحتمل أن يكونوا فى الحالين طلبوا السقيا من الله مستشفعين به ﷺ . وقال ابن رشيد : يحتمل أن يكون أراد بالترجمة الاستدلال بطريق الأولى لأنهم إذا كانوا يسألون الله به فيسقيهم فأحرى أن يقدموه للسؤال انتهى . وهو حسن ويمكن أن يكون أراد من حديث ابن عمر سياق الطريق الثانية عنه ، وأن يبين أن الطريق الأولى مختصرة منها ، وذلك أن لفظ الثانية « ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقى » فدل ذلك على أنه هو الذى باشر الطلب ﷺ ، وأن ابن عمر أشار إلى قصة وقعت فى الإسلام حضرها هو لا بمجرد ما دل عليه شعر أبي طالب . وقد علم من بقية الأحاديث أنه ﷺ إنما استسقى إجابة لسؤال من سأله فى ذلك كما فى حديث ابن مسعود الماضى وفى حديث أنس الآتى وغيرهما من الأحاديث ، وأوضح من ذلك ما أخرجه البيهقى فى « الدلائل » من رواية مسلم الملائى عن أنس قال « جاء رجل أعرابى إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أتيناك وما لنا بعير يئط ، ولا صبي يغط . ثم أنشده شعرا يقول فيه :

وليس لنا إلا اليـــك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال « اللهم اسقنا » الحديث وفيه « ثم قال ﷺ : لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه . من ينشدنا قوله ؟ فقام على فقال : يا رسول الله ، كأنك أردت قوله « وأبيض يستسقى الغمام بوجهه » الأبيات ، فظهرت بذلك مناسبة حديث ابن عمر للترجمة ، وإسناد حديث أنس وان كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة ، وقد ذكره ابن هشام فى زوائده فى السيرة تعليقا عمن يثق به . وقوله « يئط » بفتح أوله وكسر الهمزة وكذا « يغط » بالمعجمة ، والأطيط صوت البعير المثقل ، والغطيط صوت النائم كذلك ، وكنى بذلك عن شدة الجوع ، لأنهما إنما يقعان غالبا عند الشبع . وأما حديث أنس عن عمر فأشار به أيضا إلى ما ورد فى بعض طرقه ، وهو عند الاسماعيلى من رواية محمد بن المثنى عن الانصارى باسناد البخارى إلى أنس قال « كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به ، فيستسقى لهم فيسقون فلما كان فى إمارة عمر » فذكر الحديث . وقد أشار إلى ذلك الإسماعيلى فقال : هذا الذى رويته يحتمل المعنى الذى ترجمه ، بخلاف ما أورده هو . قلت : وليس ذلك بمبتدع ، لما عرف بالاستقراء من عادته من الاكتفاء بالاشارة إلى ما ورد فى بعض طرق الحديث الذى يورده . وقد روى عبد الرزاق من حديث ابن عباس « ان عمر استسقى بالمصلى ، فقال للعباس : قم فاستسق ، فقام العباس » فذكر الحديث ، فتبين بهذا أن فى القصة المذكورة أن العباس كان مسئولا وأنه ينزل منزلة الإمام إذا أمره الإمام بذلك . وروى ابن أبي شيبة باسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدارى - وكان خازن عمر - قال « أصاب الناس قحط فى زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ (١) فقال : يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا ، فأتى الرجل فى المنام فقيل

له : أنت عمر ، الحديث . وقد روى سيف فى الفتوح أن الذى رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزنى أحد الصحابة ، وظهر بهذا كله مناسبة الترجمة لأصل هذه القصة أيضا والله الموفق . **قوله** (يتمثل) أى ينشد شعر غيره . **قوله** (وأبيض) بفتح الضاد وهو مجرور برب مقدرة أو منصوب باضمار أعنى أو أخص ، والراجح أنه بالنصب عطفا على قوله « سيدا » فى البيت الذى قبله . **قوله** (ثمال) بكسر المثلثة وتخفيف الميم هو العماد والملجأ والمطعم والمغيث والمعين والكافى ، قد أطلق على كل من ذلك . وقوله « عصمة للارامل » أى يمنعهم مما يضرهم ، والأرامل جمع أرملة وهى الفقيرة التى لا زوج لها ، وقد يستعمل فى الرجل أيضا مجازا ، ومن ثم لو أوصى للارامل خص النساء دون الرجال . وهذا البيت من أبيات فى قصيدة لأبى طالب ذكرها ابن إسحق فى السيرة بطولها ، وهى أكثر من ثمانين بيتا ، قالها لما تمالأت قريش على النبى ﷺ ونفروا عنه من يريد الاسلام ، أولها :

ولما رأيت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرا والوسائل

وقد جاهرونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

يقول فيها :

أعبد مناف أنتم خير قومكم ... فلا تشركوا فى أمركم كل واغل

فقد خفت إن لم يصلح الله أمركم ... تكونوا كما كانت أحاديث وائل

يقول فيها :

أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملح بباطل

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق لبر فى حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة ... وبالله ان الله ليس بغافل

يقول فيها :

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن حوله ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

يقول فيها :

وما ترك قوم لا أبالك سيدا ... يحوط الذمار بين بكر بن وائل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل

قال السهيلى : فان قيل كيف قال أبو طالب « يستسقى الغمام بوجهه » ولم يره قط استسقى ، إنما كان ذلك منه بعد الهجرة ؟ وأجاب بما حاصله : ان أبا طالب أشار إلى ما وقع فى زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبى ﷺ معه غلام انتهى . ويحتمل أن يكون أبو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وإن لم يشاهد وقوعه ، وسيأتى فى الكلام على حديث ابن مسعود ما يشعر بأن سؤال أبى سفيان للنبى ﷺ فى الاستسقاء وقع بمكة . وذكر ابن التين أن فى شعر أبى طالب هذا دلالة على أنه كان يعرف نبوة النبى ﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا أو غيره من شأنه ، وفيه نظر لما تقدم عن ابن إسحق أن إنشاء أبى طالب لهذا الشعر كان بعد المبعث ، ومعرفة أبى طالب بنبوة رسول الله ﷺ جاءت فى كثير من الأخبار ، وتمسك بها الشيعة فى أنه كان مسلما . ورأيت لعلى بن حمزة البصرى جزءا جمع فيه شعر أبى طالب وزعم فى أوله أنه كان مسلما وأنه مات على الإسلام وأن الحشوية تزعم أنه مات على الكفر وأنهم لذلك يستجيزون لعنه ، ثم بالغ فى سبهم والرد عليهم ، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه .



للحافظ

أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني

المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

تقديم وضبط

كمال يوسف الحوت

مركز الخدمات والابحاث الثقافية

مؤسسة الكتب الثقافية

[٤٩٧] **حدّثنا** طاهر بن عبد الرحمن بن إسحاق القاضي البغدادي حدثنا علي بن المديني حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدثني أبي عن محمد بن إسحاق عن حمزة بن موسى بن أنس بن مالك عن ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصراً من ذهب في الجنة ».

لم يروه عن ثمامة إلا حمزة بن موسى. تفرد به محمد بن إسحاق.

[٤٩٨] **حدّثنا** طاهر بن عبد الله البابستري حدثنا علي بن موسى بن مروان الرازي حدثنا عبد الله بن عاصم الحماني حدثنا عثمان بن مقسم البرسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه ».

لم يروه عن المقبري إلا عثمان البرسي.

[٤٩٩] **حدّثنا** طاهر بن عيسى بن قيرس المقري المصري التميمي حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف: « أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف أئت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي عز وجل ليقضي لي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح إليَّ حتى أروح معك. فانطلق الرجل فصنع ما قال عثمان له ثم أتى عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطِّنفِسة وقال ما حاجتك؟

[٤٩٩] رواه في الكبير ١٧/٩ .

فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال له ما كان لك من حاجةفأتنا ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت حتى كلمته فيّ. فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا عليه ذهاب بصره ؟ فقال له النبي ﷺ أوتصبر فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ. فقال له النبي ﷺ : إيت الميضاة فتوضأ ثم صلِ ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط ».

لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة وهو الذي يحدث عنه ابنه أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة.

والحديث صحيح وروى هذا الحديث عون بن عمارة عن روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر وهم فيه عون بن عمارة والصواب حديث شبيب بن سعيد.

[٥٠٠] **حدّثنا** طاهر بن علي الطبراني حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة الطبراني حدثنا أبي حدثنا النضر بن محمد عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : « إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤ ها الاستغفار ».

لم يروه عن محمد بن المنكدر إلا النضر بن محمد تفرد به إبراهيم بن الوليد.

من اسمه طيّ

[٥٠١] **حدّثنا** طي بن إسماعيل بن الحسن بن قحطبة بن خالد بن معدان الطائي ببغداد حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي حدثنا يحيى بن يعلى الأسلمي عن يونس بن خباب عن مجاهد قال: « جاء رجل إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما

كتاب العلل ومعرفة الرجال

للامام احمد بن حنبل

١٦٤ ـ ٢٤١ هـ.

الجزء الثاني

نشرة من النسخة الفريدة الموجودة بمكتبة آياصوفيا (تحت رقم ٣٣٨٠) التي عرضت على أبي علي بن الصواف (٣٥٩ / ٩٧٠) في سنة ٣٤٣ هـ وقوبلت بنسخة عبدالله ابن الامام أحمد بن محمد بن حنبل، مع تعليقات وحواشي

الاستاذ الدكتور طلعت قوج ييكيت

الاستاذ الدكتور اسماعيل جراح اوغلي



استانبول ١٩٨٧

هاشم بن البريد ما أرى به بأسا. على بن هاشم ما به بأس. أبو اسماعيل المؤدب[٢١] ليس به بأس. رشدين بن كريب كأنه ضعفه. امىّ الصيرفى[٢٢] ثقة. شعبة مولى ابن عباس[٢٣] ما أرى به بأسا. قال مالك: لم يكن يشبه القراء. مخرمة بن بكير ثقة الا أنه لم يسمع من أبيه شيئا. ابراهيم بن عقبة ثقة. يزيد بن خصيفة ما أعلم الا خيرا. عدى بن ثابت ثقة الا أنه كان يتشيع. صالح مولى التوأمة صالح الحديث. سلم بن أبى الذيال ما أصح حديثه.

٢٤٩ــ سمعت أبى يقول: عبدالله بن مسلم بن هرمز ليس بشيء ضعيف الحديث يحدث عنه الثورى وعبدالله بن نمير. سئل عن دهشم بن قران قال: كان شيخا ليس به بأس حدث عنه أبو بكر بن عياش ثم اخرج كتابا عن يحيى بن أبى كثير فترك حديثه متروك الحديث. عمر بن الوليد الشنّي ليس به بأس. أبو مكين[٢٤] ثقة. السرى بن يحيى ليس به اختلاف هو من الثقات، الربيع بن حبيب ما أرى به بأسا. صالح بن مسلم البكرى ليس به بأس ثم قال: صالح بن مسلم ثقة.

٢٥٠ــ سألته عن الرجل يمس منبر النبى صلى الله عليه وسلم ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك او نحو هذا يريد بذلك التقرب الى الله جل وعز فقال: لابأس بذلك.

٢٥١ــ سألت أبى عن سالم أبى النضر[٢٥] (١٠٦ ــ ا) وسمى فقال: كلاهما ثقة.

---

(٢١) أبو اسماعيل المؤدب وهو إبراهيم بن سليمان بن رزين. قال ابن أبي حاتم عن عبدالله بن أحمد فيما كتب اليه قال: قال أبي: أبو اسماعيل المؤدب ليس به بأس.

(٢٢) امىّ الصيرفي وهو ابن ربيعة أبو عبدالرحمن كوفي. قال ابن أبي حاتم عن عبدالله بن أحمد فيما كتب اليه قال: قال أبي: امىّ الصيرفي ثقة.

(٢٣) شعبة مولى عبدالله بن عباس ويكنى بأبي عبدالله. قال ابن أبي حاتم عن عبدالله بن أحمد فيما كتب اليه قال قال أبي: شعبة مولى ابن عباس ما ارى به بأس. قال: قال مالك: لم يكن يشبه القراء.

(٢٤) أبو مكين وهو [illegible] بن ربيعة مولى الانصار بصري. قال ابن أبي حاتم عن عبدالله بن أحمد فيما كتب اليه قال قال أبي: أبو [illegible] ثقة.

(٢٥) سالم أبو النضر وهو مولى عمر بن عبيدالله بن معمر القرشي التيمي.

الإنصاف

في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل

تأليف شيخ الإسلام العلامة الفقيه المحقق

علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي

الحنبلي تغمده الله برحمته

صححه وحققه

محمد حامد الفقي

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

أعاد طبعه دار احياء التراث العربي

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

— ٤٥٦ —

وقال فى مجمع البحرين : لو قال قائل : إنه لا يجوز خروجهم فى وقت مفرد لم يبعد ، لأنهم قد يسقون فتخشى الفتنة على ضعفة المسلمين .

فوائد

منها : يكره إخراج أهل الذمة ، على الصحيح من المذهب . وعليه جماهير الأصحاب وغيرهم من العلماء . وظاهر كلام أبى بكر فى التنبيه : أنه لا يكره . وهو قول فى الفروع . وأطلقهما فى الرعاية . ونقل الميمونى : يخرجون معهم . فأما خروجهم من تلقاء أنفسهم فلا يكره قولا واحداً .

ومنها : حكم نسائهم ورقيقهم وصبيانهم : حكمهم . ذكره الآمدى . وقال فى الفروع : وفى خروج عجائزهم الخلاف . وقال : ولا تخرج شابة منهم . بلا خلاف فى المذهب . ذكره فى الفصول . وجعل كأهل الذمة كل من خالف دين الإسلام فى الجملة .

ومنها : يجوز التوسل بالرجل الصالح ، على الصحيح من المذهب . وقيل : يستحب[1] .

قال الإمام أحمد للمروذى : يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه . وجزم به فى المستوعب وغيره . وجعله الشيخ تقى الدين كمسألة اليمين به . قال : والتوسل بالإيمان به وطاعته ومحبته والصلاة والسلام عليه ، وبدعائه وشفاعته . ونحوه مماهو من فعله أو أفعال العباد المأمور بها فى حقه : مشروع إجماعاً . وهو من الوسيلة المأمور بها فى قوله تعالى (٥ : ٣٥ اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) وقال الإمام أحمد وغيره من العلماء : فى قوله عليه أفضل الصلاة والسلام « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق » الاستعاذة لاتكون بمخلوق .

---

(١) فى البخارى : توسل عمر رضى الله عنه بالعباس فى عام الرمادة . فى حضور الصحابة . وكان العباس يدعو والصحابة يؤمنون فهو كالإجماع على أنه إنما يكون بدعاء الأحياء . لا بجاه الموتى .

والرواية الثانية : لا يكره فيباح .

وعنه رواية ثالثة : يحرم ، كما لو علمت أنه يقع منها محرم . ذكره المجد . واختار هذه الرواية بعض الأصحاب . وحكاها ابن تميم وجها .

قال فى جامع الاختيارات : وظاهر كلام الشيخ تقى الدين : ترجيح التحريم . لاحتجاجه بلعنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ زوارات القبور ، وتصحيحه إياه . وأطلقهن فى الحاويين . وتقدم فى فصل الحمل : أنه يكره لهن اتباع الجنائز ، على الصحيح من المذهب .

فوائد

إحداها : يجوز للمسلم زيارة قبر الكافر . قاله المجد وغيره . وقال الشيخ تقى الدين : يجوز زيارته للاعتبار . وقال أيضاً : لا يمنع الكافر من زيارة قبر أبيه المسلم .

الثانية : الأولى للزائر أن يقف أمام القبر ، على الصحيح من المذهب . وعنه يقف حيث شاء . والأولى : أن يكون حال الزيارة قائما ، على الصحيح من المذهب . وعنه قعوده كقيامه . ذكره أبو المعالى . وينبغى أن يقرب منه ، كزيارته حال حياته . ذكره فى الوسيلة والتلخيص .

الثالثة : ظاهر كلام الأصحاب : استحباب كثرة زيارة القبور . وهو ظاهر كلام الإمام أحمد . قال فى رواية أبى طالب ـ وقال له رجل : كيف يرقُّ قلبى ـ ؟ قال : أُدخل المقبرة . وهو ظاهر الحديث « زوروا القبور . فإنها تذكر الآخرة » وقدمه فى الفروع . وقال فى الرعاية الكبرى : ويكره الإكثار من زيارة الموتى . قلت : وهو ضعيف جداً ولم يعرف له سلف .

الرابعة : يجوز لمس القبر من غير كراهة . قدمه فى الرعايتين ، والفروع . وعنه يكره . وأطلقهما فى الحاويين ، والفائق ، وابن تميم . وعنه يستحب . قال

— ٥٦٣ —

أبو الحسين فى تمامه : وهى أصح . وقال فى الوسيلة : هل يستحب عند فراغ دفنه وضع يده عليه ، وجلوسه على جانبيه ؟ فيه روايتان .

قوله ﴿ وَيَقُولُ إِذَا زَارَهَا ، أَوْ مَرَّ بِهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ـ إِلَى آخِرِهِ ﴾

نكر المصنف ــ رحمه الله ــ لفظ «السلام» وقاله جماعة من الأصحاب . ونص عليه الإمام أحمد . وورد الحديث فيه من طريق أحمد من رواية أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما . وجزم به فى الرعاية الصغرى . وذكر جماعة من الأصحاب أنه يقول معرفاً ، فيقول « السلام عليكم » ونص عليه الإمام أحمد . قال فى الفروع : وهو الأشهر فى الأخبار رواه مسلم من رواية أبى هريرة ، وبريدة رضى الله عنهما. وجزم به فى الهداية ، والمذهب ، ومسبوك الذهب ، والمستوعب ، والخلاصة ، والكافى ، وغيرهم . وقدمه فى الفروع ، وخيره المجد وغيره بينهما منهم صاحب مجمع البحرين . وقدمه ابن تميم ، والرعايتين ، والحاويين . وقالوا : نص عليه . وقدمه فى الفائق . وقال ابن ناصر : يقول الموتى « عليكم السلام » .

فائدة

إذا سلم على الحى ، فالصحيح من المذهب : أنه يخير بين التعريف والتنكير . قدمه فى الفروع . وقال : ذكره غير واحد .

قلت : منهم المجد ، وصاحب مجمع البحرين .

وعنه تعريفه أفضل . قال الناظم : كالرد . وقيل : تنكيره أفضل . اختاره ابن عقيل ، ورده المجد . وقال ابن البنا : سلام التحية منكر ، وسلام الوداع معرف .

قوله ﴿ وَيُسْتَحَبُّ تَعْزِيَةُ أَهْلِ الْمَيِّتِ ﴾

يعنى سواء كان قبل الدفن أو بعده . وهذا المذهب . وعليه أكثر الأصحاب وقال القاضى ــ فى الخلاف ، فى التعزية بعد الدفن ــ أولى ، للإياس التام منه .

الدَّولَةُ العُثمَانِيَّة

من الكتاب

الفُتُوحَاتُ الأِسْلامِيَّة

بعد مضي الفتوحات النبوية

تأليف

السيد احمد بن زيني دحلان

مفتي مكة

الجزء الثاني

ويليه

المسلمون المعاصرون

محمد سيد كيلاني

ماجستير من كلية آداب جامعة القاهرة

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست

وقف الاخلاص



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول ـ تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤١٣	١٣٧١	١٩٩٢

باشا حاكم مصر ، وكان من الأسباب فى حضور الانكليز لأخذ الإسكندرية أن الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر كان بينهم وبين محمد على باشا محاربات وشتتهم فى الأرياف . فأرسل كبيرهم محمد بك الألفى للانكليز يستنجد بهم فحضرت مراكبهم فى ثغر الاسكندرية فى أول محرم سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف وعدتها اثنان وأربعون مركباً مشحونة بالعساكر ، وضربو على الاسكندرية بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانبا من البرج الكبير ، وكذلك الأبراج الصغار والسور فعند ذلك طلب أهل الاسكندرية الأمان فرفعوا عنهم الضرب ، ودخلوا البلد ثم سيروا جيشاً منه إلى رشيد فدخلوها ثم ثار عليهم أهل رشيد وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فرجع الباقون إلى الاسكندرية منهزمين ، واستعد محمد على باشا لمحاربتهم وإخراجهم من الاسكندرية وشرع فى تعمير القلاع واستنفر كافة الناس لقتالهم واستمر الحال إلى أواخر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وتوجه محمد على باشا لعساكره إلى جهة البحيرة والاسكندرية وحصل بينه وبين الإنكليز الذين فى الاسكندرية مكاتبات ثم انعقد بينه وبينهم صلح على شروط فخرجو من الاسكندرية وأخلوها فى أوائل رجب من السنة المذكورة أعنى سنة اثنتين وعشرين وتفصيل القصة طويل وهذا حاصلها بالاختصار وكان محمد بك الألفى الذى استنجد بهم قد مات قبل مجيئهم إلى الإسكندرية وفى هذه السنة أيضا كانت فتن كثيرة بدار السلطنة وخلعوا السلطان سليما وقصة ذلك سنذكر ملخصها لكن ينبغى أن يقدم قبل ذلك ذكر أشياء كانت فى مدة السلطان سليم المذكورمنها فتنة الوهابية بالحجاز وفتنة الفرنسيس عند دخوله مصر ولنبدأ بذكر فتنة الوهابية لأن مبدأها متقدم على فتنة الفرنسيس وإن كان منتهاها متأخرا .

ذكر فتنة الوهابية وتملك الفرنسيس مصر

اعلم أن السلطان سليما الثالث حدث فى مدة سلطنته فتن كثيرة منها ما تقدم ذكره ومنها فتنة الوهابية التى كانت فى الحجاز حتى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحج

الشامى والمصرى ومنها فتنة الفرنسيس لما استولوا على مصر من سنة ثلاث عشرة سنة ست عشرة ولنذكر ما يتعلق بهاتين الفتنتين على سبيل الاختصار لأن كلا منهما مذكور تفصيلا فى التواريخ وأفرد كل منهما بتأليف رسائل مخصوصة ، أما فتنة الوهابية فكان ابتداء القتال فيها بينهم وبين أمير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد وهو نائب من جهة السلطنة العلية على الأقطار الحجازية وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والألف وكان ذلك فى مدة سلطنة مولانا السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث ابن أحمد (وأما ابتداء أول ظهور الوهابية) فكان قبل ذلك بسنين كثيرة وكانت قوتهم وشوكتهم فى بلادهم أولا ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا من الخلائق ما لا يحصون واستباحوا أموالهم وسبوا نساءهم وكان مؤسس مذهبهم الخبيث محمد بن عبد الوهاب وأصله من المشرق من بنى تميم وكان من المعمرين فكاد يعد من المنظرين لأنه عاش قريب مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم ، كانت ولادته سنة ألف ومائة وإحدى عشرة وهلك سنة ألف ومائتين وأرخه بعضهم بقوله :

(بدا هلاك الخبيث) ١٢٠٦

وكان فى ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان أبوه رجلا صالحا من أهل العلم وكذا أخوه الشيخ سليمان وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرسون فيه أنه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزعاته فى كثير من المسائل ، وكانوا يوبخونه ويحذرون الناس منه فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذى أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين فزعم أن زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم والتوسل به وبالأنبياء والأولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك وأن نداء النبى صلى الله عليه وسلم عند التوسل به شرك وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك وأن من أسند شيئا لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلى يكون مشركا نحو نفعنى هذا الدواء وهذا الولى الفلانى عند التوسل به فى شىء وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئا من مرامه وأتى

بعبارات مزورة زخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه وألف لهم فى ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد، واتصل بأمراء المشرق أهل الدرعية ومكث عندهم حتى نصروه وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة إلى تقوية ملكهم واتساعه وتسلطوا على الأعراب وأهل البوادى حتى تبعوهم وصاروا جنداً لهم بلا عوض وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال، وكان ابتداء ظهور أمره سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين وابتداء انتشاره من بعد الخمسين ومائة وألف. وألف العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان وبقية مشايخه وكان ممن قام بنصرته وانتشار دعوته من أمراء المشرق محمد بن سعود أمير الدرعية وكان من بنى حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، ولما مات محمد بن سعود قام بها ولده عبدالعزيز ابن محمد بن سعود، وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون سيضل هذا أو يضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الأمر كذلك وزعم محمد بن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذى ابتدعه إخلاص التوحيد والتبرى من الشرك وأن الناس كانوا على شرك منذ ستمائة سنة وأنه جدد للناس دينهم وحمل الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلى يَوْمِ القِيَامَة وهُم عنْ دُعائِهم غافِلُون﴾ وكقوله تعالى ﴿ ولاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَالاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ﴾ وكقوله تعالى ﴿ والذينَ يَدْعُونَ مَن لاَيَسْتَجِيبُ لهم إلى يوم القِيامة ﴾ وأمثال هذه الآيات فى القرآن كثيرة: فقال محمد بن عبد الوهاب من استغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه مثل هؤلاء المشركين ويدخل فى عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك وقال فى قوله تعالى حكاية عن المشركين فى عبادة الأصنام ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى قال: فإن المشركين ما اعتقدوا فى الأصنام أنها تخلق شيئا بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى

بدليل قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ مما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ليقربونا إلى الله زلفى فهؤلاء مثلهم ، ومما ردوا به عليه فى الوسائل المؤلفة للرد عليه أن هذا استدلال باطل فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل أنهم يعتقدون أنهم عبيد الله مخلوقون ولا يعتقدون أنهم مستحقون العبادة وأما المشركون الذين نزلت فيهم هذه الآيات فكانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الألوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وإن كانوا يعتقدون أنها لاتخلق شيئاً وأما المؤمنون فلايعتقدون فى الأنبياء والأولياء استحقاق العبادة والألوهية ولايعظمونهم تعظيم الربوبية بل يعتقدون أنهم عباد الله وأحباؤه الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم عباده فيقصدون بالتبرك بهم رحمة الله تعالى ، ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة فاعتقاد المسلمين أن الخالق الضار النافع المستحق العبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه وأن الأنبياء والأولياء لايخلقون شيئاً ولا يملكون ضراً ولا نفعا وإنما يرحم الله العباد ببركتهم فاعتقاد المشركين استحقاق أصنامهم العبادة والألوهية هو الذى أوقعهم فى الشرك لامجرد قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله لأنهم لما أقيمت عليهم الحجة بأنهم لاتستحق العبادة وهم يعتقدون استحقاقها العبادة قالوا معتذرين مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فكيف يجوز لابن عبد الوهاب ومن تبعه أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون ألوهية الأصنام لجميع الآيات المتقدمة وما كان مثلها خاص بالكفار والمشركين ولايدخل فيه أحد من المؤمنين روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت فى الكفار فحملوها على المؤمنين وفى رواية عن بن عمر أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل يتأول القرآن يضعه فى غير موضعه فهو وما قبله صادق على هذه الطائفة ولو كان شىء مما صنعه المؤمنون من التوسل وغيره شركا ما كان يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها

فى الاحاديث الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه « اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك » وهذا توسل لاشك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه. ويأمرهم بالإتيان به وبسط ذلك طويل مذكور فى الكتب وفى الرسائل التى فى الرد على ابن عبد الوهاب وصح عنه أنه صلى الله عليه وسلم لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنهما ألحدها صلى الله عليه وسلم فى القبر بيده الشريفة وقال « اللهم اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى إنك أرحم الراحمين » وصح أنه صلى الله عليه وسلم سأله أعمى أن يرد الله بصره بدعائه فأمر بالطهارة وصلاة ركعتين ثم يقول « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى اللهم شفعه فى » ففعل فرد الله عليه بصره وصح أن آدم عليه السلام توسل بنبينا صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة لأنه لما رأى اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وعلى غرف الجنة وعلى جباه الملائكة سأل عنه فقال الله له هذا ولد من أولادك لولاه ما خلقتك ، فقال اللهم بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد فى أهل السماء والأرض لشفعناك وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس رضى الله عنه لما استسقى الناس ، وغير ذلك مما هو مشهور فلا حاجة إلى الإطاله بذكره والتوسل الذى فى حديث الأعمى قد استعمله الصحابة والسلف بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفيه لفظ يا محمد وذلك نداء عند التوسل ومن تتبع كلام الصحابة والتابعين يجد شيئاً كثيراً من ذلك كقول بلال بن الحارث الصحابى رضى الله عنه عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله استسق لأمتك كالنداء الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور وممن ألف فى الرد على ابن عبد الوهاب أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردى مؤلف حواشى شرح ابن حجر على متن بافضل فقال من جملة كلامه يا ابن عبد الوهاب إنى أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله فعرفه الصواب وأبن له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين ، وأنت

شاذ عن السواد الأعظم فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية اهـ وأما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم من السلف والخلف وجاء من فضلها أحاديث أفردت بالتآليف ومما جاء فى النداء لغير الله تعالى من غائب وميت وجماد قوله صلى الله عليه وسلم «إذا أفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد ياعباد الله أحبسوا فإن لله عباداً يجيبونه» وفى حديث آخر «إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى فإن لله عباداً لا ترونهم» وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال ياأرض ربى وربك الله وكان صلى الله عليه وسلم إذا زار قال السلام عليكم ياأهل القبور وفى التشهد الذى يأتى به كل مسلم فى كل صلاة صورة النداء فى قوله السلام عليك أيها النبى والحاصل أن النداء والتوسل ليس فى شىء منهما ضرر إلا إذا اعتقد التأثير لمن ناداه أو توسل به ومتى كان معتقداً أن التأثير لله لا لغير الله فلا ضرر فى ذلك وكذلك إسناد فعل من الأفعال لغير الله لا يضر إلا إذا اعتقد التأثير ومتى لم يعتقد التأثير فإنه يحمل على المجاز العقلى كقوله نفعنى هذا الدواء أوفلان الولى فهومثل قوله : أشبعنى هذا الطعام ، وأروانى هذا الماء ، وشفانى هذا الدواء فمتى صدر ذلك من مسلم فإنه يحمل على الإسناد المجازى والإسلام قرينة كافية فى ذلك فلا سبيل إلى تكفير أحد بشىء من ذلك ويكفى هذا الذى ذكرناه إجمالا فى الرد على ابن عبد الوهاب ومن أراد بسط الكلام فليرجع إلى الرسائل المؤلفة فى ذلك وقد لخصت ما فيها فى رسالة مختصرة فلينظرها من أرادها ، ولما قام ابن عبدالوهاب ومن أعانه بدعوتهم الخبيثة التى كفروا بسببها المسلمين ملكوا قبائل الشرق قبيلة بعدقبيلة ، ثم اتسع ملكهم فملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز وبلغ ملكهم قريبا من الشام فإن ملكهم وصل إلى المزيريب وكانوا فى ابتداء أمرهم أوسلوا جماعة من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الشبهة بالكذب

والمين ،فلما وصلوا إلى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تملكوا به رد عليهم علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم ووجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا إلى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا البرهان عليهم كتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع بمكة تتضمن الحكم بكفرهم بتلك العقائد ليشتهر بين الناس أمرهم ، فيعلم بذلك الأول والآخر، وكان ذلك في مدة إمارة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد المتوفى سنة خمس وستين ومائة وألف، وأمر بحبس أولئك الملحدة فحبسوا وفر بعضهم إلى الدرعية فأخبرهم بما شاهدوا فازدادوا عتواً واستكباراً وصار أمراء مكة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحج فصاروا يغيرون على بعض القبائل الداخلين تحت طاعة أمير مكة ثم انتشب القتال بينهم وبين أمير مكة مولانا الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وكان ابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والألف ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة قتل فيها خلائق كثيرون ولم يزل أمرهم يقوى وبدعتهم تنتشر إلى أن دخل تحت طاعتهم أكثر القبائل والعربان الذين كانوا تحت طاعة أمير مكة . وفي سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف ساروا بجيوش كثيرة حتى نازلوا الطائف وحاصروا أهله في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ، ثم تملكوه وقتلوا أهله رجالا ونساء وأطفالا ولا نجا منهم إلى القليل ونهبوا جميع أموالهم ثم أرادوا المسير إلى مكة فعلموا أن مكة في ذلك الوقت فيها كثير من الحجاج ويقدم إليها الحاج الشامي والمصري فيخرج الجميع لقتالهم فمكثوا في الطائف إلى أن انقضى شهر الحج وتوجه الحجاج إلى بلادهم وساروا بجيوشهم يريدون مكة ولم يكن للشريف غالب قدرة على قتال جيوشهم فنزل إلى جدة فخاف أهل مكة أن يفعل الوهابية معهم مثل ما فعلوا مع أهل الطائف فأرسلوا إليهم وطلبوا منهم الأمان لأهل مكة فأعطوهم الأمان ودخلوا مكة ثامن محرم من السنة الثامنة عشر بعد المائتين والألف ومكثوا أربعة عشر يوما يستتيبون الناس ويجددون لهم الإسلام على زعمهم ويمنعونهم من فعل ما يعتقدون أنه شرك كالتوسل وزيارة القبور، ثم ساروا بجيوشهم إلى

جدة لقتال الشريف غالب فلما أحاطوا بجدة رمى عليهم بالمدافع والقلل فقتل كثيراً منهم ولم يقدروا على تملك جده فارتحلوا بعد ثمانية أيام ورجعوا إلى بلادهم وجعلوا لهم عسكراً بمكة وأقاموا لهم أميراً فيها وهو الشريف عبد المعين أخو الشريف غالب وإنما قبل أمرهم ليرفق بأهل مكة ويدفع ضرر أولئك الأشرار عنهم ، وفى شهر ربيع الأول من السنة المذكورة سار الشريف غالب من جدة ومعه والى جدة من طرف السلطنة العلية وهو شريف باشا ومعهما العساكر فوصلوا إلى مكة وأخرجوا من كان بها من عساكر الوهابية ورجعت أمارة مكة للشريف غالب ثم بعد ذلك تركوا مكة واشتغلوا بقتال كثير من القبائل وصار الطائف بأيديهم وجعلوا عليه أميراً عثمان المضايفي فصار هو وبعض جنودهم يقاتلون القبائل التى فى أطراف مكة والمدينة ويدخلونهم فى طاعتهم حتى استولوا عليهم وعلى جميع الممالك التى كانت تحت طاعة أمير مكة فتوجه قصدهم بعد ذلك للاستيلاء على مكة فساروا بجيوشهم سنة عشرين وحاصروا مكة وأحاطوا بها من جميع الجهات وشددوا الحصار عليها وقطعوا الطرق ومنعوا الميرة عن مكة فاشتد الحصار على أهل مكة حتى أكلوا الكلاب لشدة الغلاء وعدم وجود القوت فاضطر الشريف غالب إلى الصلح معهم وتأمين أهل مكة فوسط أناساً بينه وبينهم فعقدوا الصلح على شروط فيها رفق بأهل مكة فمن تلك الشروط أن إمارة مكة تكون له فتم الصلح ودخلوا مكة فى أواخر ذى القعدة سنة عشرين وتملكوا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وانتهبوا الحجرة وأخذوا ما فيها من الأموال وفعلوا أفعالا شنيعة وجعلوا على المدينة أميراً منهم مبارك ابن مضيان واستمر حكمهم فى الحرمين سبع سنين ومنعوا دخول الحج الشامى والمصرى مع المحامل مكة وصاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوبا من العباء القيلان الأسود وأكرهوا الناس على الدخول فى دينهم ومنعوهم من شرب التنباك ومن فعل ذلك وأطاعوا عليه عزروه بأقبح التعزير وهدموا القبب التى على قبور الأولياء وكانت الدولة العثمانية فى تلك السنين فى ارتباك كثير وشدة قتال مع النصارى وفى اختلاف فى خلع السلاطين وقتلهم كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ، ثم صدر الأمر السلطانى لصاحب مصر محمد على باشا

ومكة فر من الطائف أميرها عثمان المضايفي وفر من كان بها من عساكر الوهابية وأمرائهم وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وعشرين أرسل محمد على باشا مبشرين إلى دار السلطنة ومعهم المفاتيح وكتبوا إليهم أنها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف فدخلوا بها دار السلطنة بموكب حافل ووضعوا المفاتيح على صفائح الذهب والفضة وأمامهم البخورات في مجامر الذهب والفضة وخلفهم الطبول والزمور وعملوا لذلك زينة وشنكا ومدافع وخلعوا على من جاء بالمفاتيح وزادوا في رتبة محمد على باشا وبعثوا له أطواخاً وعدة أطواخ بولايات لمن يختار تقليده . وفي شهر شوال سنة ثمان وعشرين توجه محمد على باشا بنفسه إلى الحجاز وقيل توجهه من مصر قبض الشريف غالب على عثمان المضايفي الذى كان أميراً على الطائف للوهابية ، وكان من أهل أكبر أعوانهم وأمرائهم فزنجره بالحديد وبعثه إلى مصر فوصل في ذى القعدة بعد توجه الباشا إلى الحجاز ثم أرسل إلى دار السلطنة فقتلوه ووصل محمد على باشا في ذى القعدة إلى مكة وقبض على الشريف غالب ابن مساعد وبعثه إلى دار السلطنة وأقام لشرافة مكة ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور ابن مساعد ، وفي شهر محرم من سنة ٢٩ بعثوا إلى السلطنة مبارك بن مضيان الذى كان أميراً على المدينة المنورة للوهابية فطافوا به في القسطنطينية في موكب ايراه الناس ثم قتلوه وعلقوا رأسه على باب السرايا وفعل مثل ذلك بعثمان المضايفي وأمّا الشريف غالب فأرسلوه إلى سلانيك وبقى بها مكرما إلى أن توفى سنة إحدى وثلاثين ودفن بها وبنى عليه قبة تزار ومدة إمارته على مكة ست وعشرون سنة ثم أن محمد على باشا وجه كثيراً من العساكر إلى تربة وبيشة وبلاد غامد وزهران وبلاد عسير لقتال طوائف الوهابية وقطع دابرهم ثم سار بنفسه في أثرهم في شعبان سنة تسع وعشرين ووصل إلى تلك الديار وقتل كثيراً منهم وأسر كثيراً وخرب ديارهم ، وفي شهر جمادى الأولى سنة تسع وعشرين هلك سعود أمير الوهابية وقام بالملك بعده ولده عبد الله ورجع محمد على باشا من تلك الديار التي وصلها من ديار الوهابية عند إقبال الحج وحج ومكث بمكة إلى رجب سنة ثلاثين ثم توجه إلى مصر وترك بمكة حسن باشا ووصل الباشا إلى مصر في منتصف رجب

الرّد المحكم المتين على كتاب القول المبين

تأليف

أبى الفضل

عبد الله محمد الصديق

الطبعة الثالثة

مزيدة ومنقحة

١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

يطلب من

مكتبة القاهرة

على يوسف سليمان

ص.ب ٩٤٦ ت ٩٠٥٩٠٩٠

١١ شارع الصنادقية ـ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أطأنا ، ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال ، حمدا يوافى نعمه ويكافى مزيده ، لا اله الا هو . خلق الخلق وجعلهم على مراتب فمنهم شقى وسعيد ، ومقرب وبعيد وولى وعصى ، وفاجر وتقى ، وفضل بعضهم على بعض فى الرزق فكان منهم الغنى والفقير ، والمامور والامير ، والمرؤوس والرئيس والمحظوظ والبئيس . كل منهم فى ذلك على ما قسم له فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء . له مقاليد السموات والارض ، وبيده ميزان الرفع والخفض ، يرفع ويخفض ويبسط ويقبض ، يهدى ويضل ، ويشقى ويسعد ، يضر وينفع ، ويعطى ويمنع . لا ملجا منه الا اليه ، ولا اعتماد الا عليه فالحمد لله الذى تواضع كل شيء لعظمته ، والحمد لله الذى ذل كل شيء لعزته ، والحمد لله الذى خضع كل شىء لملكه ، والحمد لله الذى استسلم كل شيء لقدرته . والصلاة والسلام على نبيه الطاهر المطهر ، والشفيع المشفع فى المحشر ، سيدنا محمد أفضل العرب والعجم ، ورسول الله الى جميع الامم ، واسطة عقد الوجود ، والوسيلة العظمى فى وصول الخير الى كل موجود ، فما من خير وصلنا أو يصلنا فى ديننا ودنيانا ، فى معاشنا ومعادنا ، الا وهو الواسطة فيه والدال عليه ، والمرشد اليه .

- ٤ -

فصلى الله وسلم وبارك عليه ، وجازاه عنا أفضل وأكمل ماجازى نبيا عن أمته ، ورضى الله عن آل بيته الطيبين الطاهرين وخيار صحابته من الانصار والمهاجرين ·

أما بعد : فان طائفة من المتنطعين ، ومن حذا حذوهم من المتهوسين والمتهوكين ، قد أكثروا الصراخ والضجيج وبالغوا فى الصياح والنئيج ، ونادوا بالويل والثبور ، وفاهوا بعظائم الامور ، وزعموا - زورا وبهتانا - أن من زار قبرا من قبور الانبياء أو الاولياء ، وتوسل بصاحبه الى الله أو استشفع به لديه خرج من زمرة الموحدين ، ودخل فى عديد المشركين ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ، فرقوا بذلك بين جماعة المسلمين ، واتخذوا من ضعفاء العقول أنصارا لنحلتهم يروجونها باساليب تشبه الحق وليست بحق ، فلبسوا على العامة أمر دينهم بما ألقوا اليهم من دعاوى كاذبة منمقة وأقاويل باطلة مزوقة ، فعظمت بهم الفتنة ، وجسمت المحنة ، شغلوا الناس عن الواجب بالمندوب ، وألهوهم عن الاهم بما ليس بمهم ، أينما ذهبت وجدتهم يكفرون أصحاب التوسل والزيارة ، بايات نزعوا بها فى غير منزعها ، وحرفوها عن موضعها ، لا يفقهون ما يقولون ان هى الا أشياء تلقفوها ، ثم ألقوها كما تلقنوها ، ذلك مبلغهم من العلم فان باحثهم باحث فيما يذكرونه من الآيات ، أو أراد أن ينتقل بهم عن التوسل والزيارة الى مواضع أخرى من الدين هامة مهمة ، ومسائل من أبواب العلم مفيدة جيدة ، رأيتهم ينظرون اليه شزرا ويوسعونه فحشا من القول وهجرا ، ويودون لو استطاعوا أن يفتكوا به ، فرقا على بضاعتهم المزجاة أن تصاب بالافلاس ويظهر بهرجها لكل أحد من الناس ، وفى افلاسها قضاء عليهم بالمرة اذ لا يعرفون من الدين غيرها ، ولا يحسنون من العلم سواها ، فهم

ـ ٥ ـ

لذلك لا يستطيعون أن يتنقلوا فى أبواب العلم ، ولا يقدرون أن يهجموا على عويص المسائل لاحتياجه الى دقة البحث وجودة الفهم ، يدعون الى الاجتهاد وهم عوام · وكلمتهم فى دينه عندهم أمام هذا مع ما هم عليه من شراسة فى الخلق واقذاع فى القول ، وتعصب للجهل ، وغباوة فى التقليد كل هذا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا ساء ما يظنون ·

(فصل) ولهؤلاء المتنطعين كتب كثيرة على غرار ماينتحلونه من تبديع عوام المسلمين ، واكفار عموم الموحدين من المؤمنين ، الا من سار سيرهم المعوج على طريقهم المشـوك ، وفى كتبهم ضروب من الجهل ، وصنوف من التكاذيب ، لان من دأبهم اذا صدمتهم الحجة ، وأعوزهم الدليل ـ أن يدفعوا بالصـدر ، ويتترسوا بالكذب ، ويختلقوا ألوانا من الاستدلال لا تؤيدها الاصول ولا يوافقها المعقول ، ولكنها توافق هواهم وميولهم ، فطورا يقصرون الاحتجاج بالحديث على ما كان موجودا فى الكتب الستة · وذلك اذا علموا من خصمهم القوة وأن فى استطاعته أن يلزمهم باحاديث منكتب السنة المشهورة كالمستدرك وغيره لا قبل لهم بها الا من طريق ردها وعدم قبولها ، وحينا يجعلون الاحتجاج خاصا بما فى الصحيحين فقط ، وذلك اذا وجدوا أن السنن الاربعة التى فروا اليها أولا قد اتسع أمرها عليهم وأتتهم من الاحاديث بما لا يطيقون ، وتارة يزعمون أن تصحيح الترمذى والحاكم غير مقبول عند المحدثين ، فى حين أنهم يستدلون به اذا وافق مرادهم ، الى غير ذلك من تقلباتهم التى يريدون بها مراوغة الحق ، ومدافعة الحجة بما هو بعيد عن المحجة ، على أن تخصيصهم الاحتجاج بالكتب الستة دون غيرها باطل لعدة وجوه ·

ـ ٦ ـ

(أولها) أنهم ليسوا من أهل الحديث حتى يقبل كلامهم فيما يحتج به من كتبه وما لا يحتج به ٠

(ثانيها) أن الكتب الستة لم تجمع كل الاحاديث ولا نصفها ففى الاقتصار عليها والحالة هذه قضاء على كثير من السنة ورد لجمهرة من الاحاديث بدون مسوغ يسوغ ذلك اللهم الا الهوى والتعصب ٠

(ثالثها) أنه لا معنى لهذا التخصيص لانه ان كان المراد به أن هذه الكتب اشتهرت وصحت نسبتها الى أصحابها حتى وثق بما فيها ، فسائر كتب السنة كذلك كالموطأ والمسند وسنن الدارمى وسنن الدارقطنى والمستدرك وسنن البيهقى ومعاجم الطبرانى وغيرها ٠

(رابعتها) اجماع علماء الحديث وغيرهم على أن الحديث اذا استوفى شروط القبول وجب العمل به سواء كان فى الكتب الستة أو غيرها ولو كان فى سيرة البكرى مثلا ، وعلى هذا عمل المحدثين قاطبة فى كتبهم واستدلالهم ومناظراتهم وبالجملة فالقول بتخصيص بعض كتب الحديث بالاحتجاج دون بعض من البدع التى أحدثها هؤلاء المتنطعون ليتوصلوا بذلك الى رد الاحاديث التى ترد نحلتهم وتقضى عليها وهيهات أن يصلوا الى ذلك ما دام لهذا العلم فى كل خلف حملة عدول ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ٠

(فصل) وقد وقع بيدى أخيرا كتاب من هذا القبيل يسمى « القول المبين فى حكم دعاء ونداء الموتى من الانبياء والاولياء والصالحين » طالعته فاذا هو على ما وصفت من حال كتبهم وأشد ، فمن ركة فى العبارة ٠ الى جهل مطبق ، ومن تحريف فى

ـ ٧ ـ

تأويل النصوص لتوافق الغرض ، الى رد للاحاديث الصحيحة التى لا تلائم المزاج ، الى ٠٠ الى ٠٠ مما يكل عنه لسانى ويعجز عن وصفه بيانى ، وماذا عسى أن أقول فى كتاب أملاه الهوى ودفع اليه التعصب وخطته يد أثيمة عن فكر سقيم ؟؟ ولقد عجبت حين قرأته كيف وجد هذا الكتاب على هذه الكيفية المزرية ولم تقلم أظفار صاحبه على ما جنته يداه على العلم وأهله !!؟ ثم رأيت أننا فى زمان غلب شره على خيره ، وزاد جهله على علمه ، وأصبحت مائدة العلم يجلس عليها كل وارش ، وذهب الورع وخشية الله من قلوب الناس ، فذهب عجبى ولم يبق له عندى محل وتذكرت قول القائل :

الا انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

وقد علمت أن هذا الكتاب لقى ـ على مافيه ـ رواجا فى بعض الاحياء وأثر على أهلها تاثيرا كبيرا ظهر عليهم حاله فأساؤوا ظنهم بالمسلمين واعتقدوا أنهم ليسوا على شىء ، وصار عندهم الطعن بالسفاهة فى الاحاديث الصحيحة الثابتة أمرا هينا وما دروا أنه عند الله عظيم ، وذهب من قلوبهم تعظيم النبىصلى الله عليه وسلم حتى لقد سمعت مرة أحد السوقة منهم فى دكانه وهو يقول ـ قطع الله لسانه ـ قال محمد كذا وفعل محمد كذا من غير سيادة ولا صلاة ، ولا يدرى المسكين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كما فى الصحيح « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » ٠ وأن الصحابة كانوا لا يذكرونه باسمه المجرد امتثالا لقوله تعالى « ولا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » ومنهم من كان يسوده مبالغة فى تعظيمه كما جاء فى المستدرك من طريق عبد الواحد بن زياد حدثنى عثمان بن حكيم حدثتنى جدتى الرباب قالت سمعت سهل بن حنيف يقول مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت فيه فخرجت محموما فنمى ذلك الىرسول

ـ ٨ ـ

الله صلى الله عليه وسلم فقال « مروا أبا ثابت يتعوذ » قال فقلت ياسيدى والرقى صالحة ؟ فقال « لا رقى الا فى نفس أو حمة أو لدغة ، قال الحاكم صحيح وأقره الذهبى ورواه أحمد وأبو داود والنسائى فى الكبرى ٠ وصح أن جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له من حديث « ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم آمين » ورأيت أنهم ان استمروا علىحالتهم تلك هلكوا لا محالة ، لانها حالة ابتداع وضلال فاردت أن أنقذهم مما وقعوا فيه غيرة عليهم أن يضلوا أو يزلوا فيجعلوا للشيطان عليهم سبيلا فيتخذهم بابا للفتنة ، وذريعة للفرقة ، والمسلمون أحوج الى التوافق والتآلف ، منهم الى التنافر والتخالف فألفت هذه الورقات بينت بها عوار ذلك الكتاب وما حواه من أباطيل وأوهام ، دفعنى الى تأليفها الغيرة الاسلامية ، وحب الدفاع عن الاحاديث النبوية ، وسميتها :

(الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين)

والله أسال متوجها اليه بنبيه سيدنا محمد نبى الرحمة ـ أن يرزقنى سدادا فى القول ، وتوفيقا فى العمل ، وأن ينفعنى بما علمنى ويعلمنى ما ينفعنى ويزيدنى علما والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار ٠

قال المتنطع صاحب الكتاب ـ بعد أن نزع بآيات ليست من الموضوع فى شىء كما سيتبين ذلك فيما بعد بحول الله ـ فهذه رسالتى الى أهل الاسلام ووصيتى وعهدى بين الله وبين الناس انى بلغت ما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الامة من الحق فيما اختلفوا فيه الى أن قال : ولعلها تكون معذرة لى عند

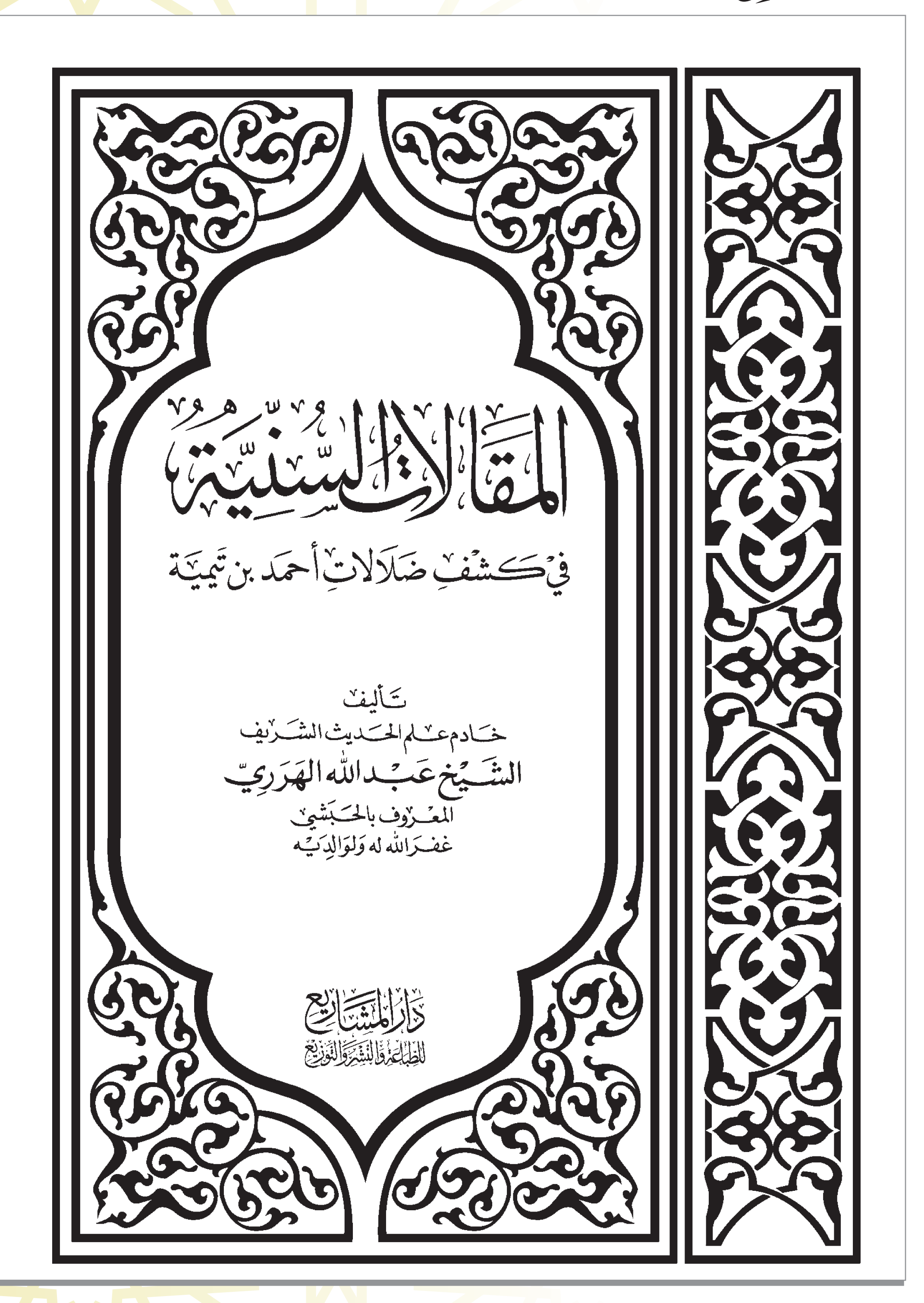
فهرس الرد المحكم المبين

- ٢٧٦ -

- ٢٧٧ -

ـ ٢٧٨ ـ

- ٢٧٩ -


المقالات السنية
في كشف ضلالات أحمد بن تيمية
تأليف
خادم علم الحديث الشريف
الشيخ عبد الله الهرري
المعروف بالحبشي
غفر الله له ولوالديه
دار المشاريع
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

قال المحدث الفقيه الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله:

الحمد لله وصلّى الله على رسول الله، وعلى ءاله وصحبه وسلّم.

وبعد:

اعلم أن سبب تأليف هذه الرسالة أن كثيرًا من الناس ظنوا أن القول بأن نوع العالم أزلي ليس مخلوقًا لله وإثبات الحدّ لله والجسميةِ وتحريمَ التوسل بالأنبياء والأولياء بعد موتهم والتبرّكِ بزيارة قبورهم هو عقيدة السلف وما كانوا عليه عملاً. فلما كان الأمر كذلك دعت الضرورة إلى بيان أن الأمر على خلاف هذا أي أن السلف كانوا على تنزيه الله تعالى عن الحدّ، بمعنى أن الله تعالى ليس له حدّ أصلاً، أي ليس له حدّ في علم الله ولا فيما وصل إليه علم الخلق، وأن التوسّل بالأنبياء والأولياء بعد موتهم، والتبرّك بزيارة قبورهم رجاء إجابة الدعاء عند قبورهم هو الأمر الذي كان عليه السلف، وبيان أن الإمام أحمد كان على خلاف ما أحدثه ابن تيمية وأتباعه. فرأينا من الواجب كشف هذا التلبيس ببيان أنّ الإجماع كان على جواز التوسّل بالأنبياء والأولياء بعد وفاتهم، وأن قصد قبورهم للتبرّك ليس شركًا، وأن مسّ القبر إن كان للتبرّك جائز ليس في ذلك شيء من الشرك، بل ليس حرامًا.

وهذه الرسالة وافية ببيان المستند الشرعي، وسيرى مطالع هذه الرسالة ذلك تفصيلاً إن شاء الله.

فهرست الكتاب

الموضوع **صحيفة**



الكلم الطيب

تأليف

تقي الدين احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي

(٦٦١ - ٧٢٨)

تحقيق

محمد ناصر الدين الألباني

هذه الطبعة محققة تحقيقاً علمياً دقيقاً مع تخريج جميع أحاديثها

المكتب الاسلامي

٥٤ ـ فصل

في الرّجل إذا خدرت

٢٣٥ ـ عن الهيثَم بن حَنَشٍ قال : كُنَّا عنْدَ عَبْد الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، فَخَدِرَتْ رجْلُهُ فَقَالَ لَهُ رجُلٌ : اذكُر أَحَبَّ النَّاس إليكَ ، فَقَالَ : يامُحَمَّد ، فكأنَّما نَشِط منْ عقَال(١٧٧) .

٢٣٦ ـ وعن مجاهد قال : خَدرت رجْلُ رَجُلٍ عنْدَ ابن عَبَّاس رضي الله عنهما ، فَقَالَ لهُ ابن عَبَّاسٍ : اذْكُر أَحَبَّ النَّاس إلَيْك ، فقالَ :مُحَمَّد ﷺ ،فَذَهبَ خَدَرهُ(١٧٨) .

---

(١٧٧) ضعيف أخرجه ابن السني (١٦٦) بإسناد ضعيف فيه علتان : الأولى : الهيثم هذا مجهول كما في « الكفاية » للخطيب البغدادي (ص ٨٨) ، الثانية : أنه من رواية أبي اسحاق عنه ، وهو السبيعي ، وهو مدلس وقد عنعنه ، ثم انه كان قد اختلط ، وهذا من تخاليطه ، فإنه اضطرب في سنده ، فتارة رواه عن الهيثم هذا ، وتارة عن أبي شعبة « وفي نسخة أبي سعيد » . رواه ابن السني (١٦٤) . وتارة قال : عن عبد الرحمن بن سعد قال : كنت عند ابن عمر فذكره أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٩٦٤) وابن السني (١٦٨) وعبد الرحمن بن سعد هذا وثقه النسائي فالعلة من أبي اسحاق من اختلاطه وتدليسه وقد عنعنه في كل الروايات عنه ، وقد سبق له مثال : غريب من تدليسه تبين فيه أنه أسقط واسطتين فانظر التعليق (رقم١٢٦)

(تنبيه) ان حرف ياء النداء في هذا الحديث غير موجود في بعض الطبقات بينما هو ثابت في طبعات أخرى ؛ وقد آثرنا اثباته لموافقته لبعض الأصول المحطوطة التي وقفنا عليها ؛ مع بيان حال سند الحديث .

(١٧٨) موضوع ، أخرجه ابن السني (١٦٥) فيه غياث بن ابراهيم ، قال ابن معين : كذاب خبيث ، ولذلك فإني استقبحت ايراد المؤلف إياه ، ولكنه جرى على سنن من قبله من المؤلفين في الأوراد كالإمام النووي رحمه الله تعالى ، ثم تتابع المؤلفون على ذلك كابن القيم وابن الجزري=

قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة

تأليف

تقي الدين أحمد بن تيمية

٦٦١ - ٧٢٨ هـ

وهو ممّا اشتمل عليه كتاب

الكواكب الدّراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري

لصاحبه

ابن زكنون

٧٥٨ - ٨٣٧ هـ

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

— ١٨ —

مريم أو يا سيدى الخليل أو موسى بن عمران أو غير ذلك ، استغفر لى إلى ربك . وقد يخاطبون الميت عند قبره : سل لى ربك . أو يخاطبون الحى وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضرا حيا وينشدون قصائد يقول أحدهم فيها : يا سيدى فلانا ! أنا فى حسبك ، أنا فى جوارك ، اشفع لى إلى الله ، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا ، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة ، أشكو إليك كذا وكذا فسل الله أن يكشف هذه الكربة . أو يقول أحدهم : سل الله أن يغفر لى . ومنهم من يتأول قوله تعالى (٤ : ٦٤) : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ ويقولون : إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة ، ويخالفون بذلك إجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين ، فإن أحدا منهم لم يطلب من النبى ﷺ بعد موته أن يشفع له ولا سأله شيئا ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين فى كتبهم ، وإنما ذكر ذلك من ذكر من متأخرى الفقهاء وحكوا حكاية مكذوبة على مالك رضى الله عنه سيأتى ذكرها وبسط الكلام عليها ان شاء الله تعالى .

فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفى مغيبهم ، وخطاب تماثيلهم ، هو أعظم أنواع الشرك الموجود فى المشركين من غير أهل الكتاب ، وفى مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى . قال الله تعالى (٤٢ : ٢١) : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ ؟ ﴾ فان دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفى مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم فى هذه الحال — و [نصب] تماثيلهم بمعنى طلب الشفاعة منهم — هو من الدين الذى لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولا ولا أنزل به كتابا ، وليس هو واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين ، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين ، وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد ، ويذكرون فيه حكايات ومنامات ، فهذا كله من الشيطان . وفيهم من ينظم

— ٢٠ —

فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر وباجماع المسلمين أن النبى ﷺ لم يشرع هذا لأمته . وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئا من ذلك ، بل أهل الكتاب ليس عندهم عن الأنبياء نقل بذلك[1] كما أن المسلمين ليس عندهم عن نبيهم نقل بذلك ، ولا فعل هذا أحد من أصحاب نبيهم والتابعين لهم باحسان ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، ولا ذكر أحد من الأئمة لا فى مناسك الحج ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبى ﷺ عند قبره أن يشفع له أو يدعو لأمته أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدين . وكان أصحابه يُبتلون بأنواع البلاء بعد موته ، فتارة بالجدب ، وتارة بنقص الرزق ، وتارة بالخوف وقوة العدو ، وتارة بالذنوب والمعاصى ، ولم يكن أحد منهم يأتى إلى قبر الرسول ﷺ ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول : نشكو إليك جدب الزمان أو قوة العدو أو كثرة الذنوب ، ولا يقول : سل الله لنا أو لأمتك أن يرزقهم أو ينصرهم أو يغفر لهم ، بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة التى لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين ، فليست واجبة ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين . وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهى بدعة سيئة وهى ضلالة باتفاق المسلمين ومن قال فى بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك اذا قام دليل شرعى أنها مستحبة ، فاما ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين إنها من الحسنات التى يتقرب بها الى الله ، ومن تقرب الى الله بما ليس من الحسنات المأمور بها أمرَ إيجاب ولا استحباب فهو ضال متبع للشيطان وسبيله من سبيل الشيطان ، كما قال عبد الله بن مسعود[2] : خط

---

(١) كما أن الله عز وجل أعطى شيخ الاسلام ابن تيمية موهبة حفظ نصوص الاسلام واستحضارها دائماً فى ذهنه من كتاب الله وسنة رسول الله وأقوال الائمة ، كذلك هو تام الوقوف على نصوص التوراة والاناجيل التى فى أيدى أهلها ، وان كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) وهو فى أربعة أجزاء دليل على إحاطته بنصوص كتب اليهود والنصارى وبصيرته الكاملة فيها . وهذه مزية لا يضارعه فيها إلا ابن حزم وأمثاله من أعلام المسلمين

(٢) الحديث رواه أحمد وعبد بن حميد والبزار والنسائى وغيرهم وصححه الحاكم

— ٢٤ —

وأما الزيارة البدعية فهى التى يقصد بها أن يطلب من الميت الحوائج ، أو يطلب منه الدعاء والشفاعة ، أو يقصد الدعاء عند قبره لظن القاصد أن ذلك أجْوَبُ للدعاء . فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ﷺ ولا فعلها الصحابة لا عند قبر النبي ﷺ ولا عند غيره ، وهى من جنس الشرك وأسباب الشرك ، ولو قصد الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين من غير أن يقصد دعاءهم والدعاء عندهم مثل أن يتخذ قبورهم مساجد لكان ذلك محرما منهياً عنه ولكان صاحبه متعرضا لغضب الله ولعنته كما قال النبي ﷺ « اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقال « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذّر ما صنعوا . وقال « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك » . فاذا كان هذا محرما وهو سبب لسخط الرب ولعنته فكيف بمن يقصد دعاء الميت والدعاء عنده وبه واعتقد أن ذلك من أسباب إجابة الدعوات ونيل الطَّلِبات وقضاء الحاجات ! ؟ وهذا كان أول أسباب الشرك فى قوم نوح وعبادة الأوثان فى الناس ، قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ، ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحيهم .

وقد استفاض عن ابن عباس وغيره فى صحيح البخارى وفى كتب التفسير وقصص الأنبياء فى قوله تعالى (٧١ : ٢٣) : ﴿ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً * وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾ ان هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم ، قال ابن عباس : ثم صارت هذه الأوثان فى قبائل العرب .

وقد أحدث قوم من ملاحدة الفلاسفة الدهرية للشرك شيئاً آخر[1] ذكروه فى زيارة القبور كما ذكر ذلك ابن سينا ومن أخذ عنه كصاحب النسر[2] المضنون بها وغيرها ،

---

(١) لعله « سببا آخر »

(٢) الصواب : « كصاحب الكتاب »

— ٧٢ —

ما فى الحكاية المنقطعة من قوله « استقبله واستشفع به » كذب على مالك ، مخالف لأقواله وأقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم التى يفعلها مالك وأصحابه ونقلها سائر العلماء ، إذ كان أحد منهم لم يستقبل القبر للدعاء لنفسه فضلا عن أن يستقبله ويستشفع به يقول له يا رسول الله اشفع لى أو ادع لى ، أو يشتكى إليه المصائب [فى] الدين والدنيا ، أو يطلب منه أو من غيره من الموتى من الأنبياء والصالحين أو من الملائكة الذين لا يراهم أن يشفعوا له ، أو يشتكى إليهم المصائب ، فان هذا كله من فعل النصارى وغيرهم من المشركين ومن ضاهاهم من مبتدعة هذه الأمة ، ليس هذا من فعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ولا مما أمر به أحد من أئمة المسلمين ، وإن كانوا يسلمون عليه إذ كان يسمع السلام عليه من القريب ، ويبلَّغ سلام البعيد . وقد احتج أحمد وغيره بالحديث الذى رواه أحمد وأبو داود بإسناد جيد من حديث حَيْوَة بن شريح المصرى حدثنا أبو صخر عن يزيد بن قسيط عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام » .

وعلى هذا الحديث اعتمد الأئمة فى السلام عليه عند قبره صلوات الله وسلامه عليه ، فان أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة لا يعتمد على شىء منها فى الدين . ولهذا لم يرو أهل الصحاح والسنن شيئا منها ، وإنما يرويها من يروى الضعاف كالدارقطنى والبزار وغيرهما . وأجود حديث فيها ما رواه عبد الله بن عمر العمرى ــ وهو ضعيف والكذب ظاهر عليه ــ مثل قوله « من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى » فان هذا كذبه ظاهر مخالف لدين المسلمين ، فان من زاره فى حياته وكان مؤمنا به كان من أصحابه لا سيما إن كان من المهاجرين اليه المجاهدين معه ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال « لا تسبُّوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحَدُكم مثل أُحُد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه[1] » اخرجاه فى الصحيحين . والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة

---

(١) المد : مكيال للحبوب وأمثالها . ونصيفه : نصفه

في ظلال القرآن

بقلم

سيّد قطب

المجلّد الثاني
الأجزاء: ٥ - ٧

طبعة جديدة مشروعة

تتضمّن إضافات وتنقيحات تركها المؤلّف
وتُنشر للمرّة الأولى

مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق
لما كان في الطبعة الأصليّة - التي صوّرت عنها الطبعات غير المشروعة -
من أخطاء في الآيات القرآنيّة والتفسير

دار الشروق

سورة المائدة

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ..

بهذا الحسم الصارم الجازم . وبهذا التعميم الذي تحمله « من » الشرطية وجملة الجواب . بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان ، وينطلق حكماً عاماً ، على كل من لم يحكم بما أنزل الله ، في أي جيل ، ومن أي قبيل ..

والعلة هي التي أسلفنا .. هي أن الذي لا يحكم بما أنزل الله ، إنما يرفض ألوهية الله . فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية . ومن يحكم بغير ما أنزل الله ، يرفض ألوهية الله وخصائصها في جانب ، ويدعي لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها في جانب آخر .. وماذا يكون الكفر إن لم يكن هو هذا وذاك ؟ وما قيمة دعوى الإيمان أو الإسلام باللسان ، والعمل ـ وهو أقوى تعبيراً من الكلام ـ ينطق بالكفر أفصح من اللسان ؟!

إن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل ، لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة . والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه .. وليس لهذه المماحكة من قيمة ولا أثر في صرف حكم الله عمن ينطبق عليهم بالنص الصريح الواضح الأكيد .

وبعد بيان هذا الأصل القاعدي في دين الله كله ، يعود السياق ، لعرض نماذج من شريعة التوراة التي أنزلها الله ليحكم بها النبيون والربانيون والأحبار للذين هادوا ـ بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء :

« وكتبنا عليهم فيها : أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص » ..

وقد استبقيت هذه الأحكام التي نزلت بها التوراة في شريعة الإسلام ، وأصبحت جزءاً من شريعة المسلمين ، التي جاءت لتكون شريعة البشرية كلها إلى آخر الزمان . وإن كانت لا تطبق إلا في دار الإسلام ، لاعتبارات عملية بحتة ؛ حيث لا تملك السلطة المسلمة أن تطبقها فيما وراء حدود دار الإسلام . وحيثما كان ذلك في استطاعتها فهي مكلفة تنفيذها وتطبيقها ، بحكم أن هذه الشريعة عامة للناس كافة ، للأزمان كافة ، كما أرادها الله .

وقد أضيف إليها في الإسلام حكم آخر في قوله تعالى :

« فمن تصدق به فهو كفارة له » ..

ولم يكن ذلك في شريعة التوراة . إذ كان القصاص حتماً ؛ لا تنازل فيه ، ولا تصدق به ، ومن ثم فلا كفارة ..

ويحسن أن نقول كلمة عن عقوبات القصاص هذه على قدر السياق في الظلال .

أول ما تقرره شريعة الله في القصاص ، هو مبدأ المساواة .. المساواة في الدماء والمساواة في العقوبة .. ولم تكن شريعة أخرى ـ غير شريعة الله ـ تعترف بالمساواة بين النفوس ، فتقتص للنفس بالنفس ، وتقتص للجوارح بمثلها ، على اختلاف المقامات والطبقات والأنساب والدماء والأجناس ..

النفس بالنفس . والعين بالعين . والأنف بالأنف . والأذن بالأذن . والسن بالسن . والجروح قصاص .. لا تمييز . ولا عنصرية . ولا طبقية . ولا حاكم . ولا محكوم .. كلهم سواء أمام شريعة الله . فكلهم من نفس واحدة في خلقة الله .

نجد أن الله ــ سبحانه ــ يقرر أن أهل الكتاب ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم .. وحتى يدخلوا في الدين الأخير تبعاً لهذه الإقامة كما هو بديهي من دعوتهم إلى الإيمان بالله والنبي . في المواضع الأخرى المتعددة .. فهم إذن لم يعودوا على « دين الله » ولم يعودوا أهل « دين » يقبله الله .

ونجد أن مواجهتهم بهذه الحقيقة قد علم الله أنها ستزيد الكثيرين منهم طغياناً وكفراً .. ومع هذا فقد أمر رسوله أن يواجههم بها دون مواربة . ودون أسى على ما سيصيب الكثيرين منها !

فإذا نحن اعتبرنا كلمة الله في هذه القضية هي كلمة الفصل ــ كما هو الحق والواقع ــ لم يبق هنالك موضع لاعتبار أهل الكتاب .. أهل دين .. يستطيع « المسلم » أن يتناصر معهم فيه للوقوف في وجه الإلحاد والملحدين ، كما ينادي بعض المخدوعين وبعض الخادعين ! فأهل الكتاب لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ؛ حتى يعتبرهم المسلم « على شيء » وليس للمسلم أن يقرر غير ما قرره الله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .. وكلمة الله باقية لا تغيرها الملابسات والظروف !

وإذا نحن اعتبرنا كلمة الله هي كلمة الفصل ــ كما هو الحق والواقع ــ لم يكن لنا أن نحسب حساباً لأثر المواجهة لأهل الكتاب بهذه الحقيقة ، في هياجهم علينا ، وفي اشتداد حربهم لنا ، ولم يكن لنا أن نحاول كسب مودتهم بالاعتراف لهم بأنهم على دين نرضاه منهم ونقرهم عليه ، ونتناصر نحن وإياهم لدفع الإلحاد عنه ــ كما ندفع الإلحاد عن ديننا الذي هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من الناس ..

إن الله ــ سبحانه ــ لا يوجهنا هذا التوجيه . ولا يقبل منا هذا الاعتراف . ولا يغفر لنا هذا التناصر . ولا التصور الذي ينبعث التناصر منه . لأننا حينئذ نقرر لأنفسنا غير ما يقرر ؛ ونختار في أمرنا غير ما يختار ؛ ونعترف بعقائد محرفة أنها « دين » إلهي ، يجتمع معنا في آصرة الدين الإلهي .. والله يقول : إنهم ليسوا على شيء ، حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم .. وهم لا يفعلون !

والذين يقولون : إنهم مسلمون ــ ولا يقيمون ما أنزل إليهم من ربهم ــ هم كأهل الكتاب هؤلاء ، ليسوا على شيء كذلك . فهذه كلمة الله عن أهل أي كتاب لا يقيمونه في نفوسهم وفي حياتهم سواء . والذي يريد أن يكون مسلماً يجب عليه ــ بعد إقامة كتاب الله في نفسه وفي حياته ــ أن يواجه الذين لا يقيمونه بأنهم ليسوا على شيء حتى يقيموه . وأن دعواهم أنهم على دين ، يردها عليهم رب الدين . فالمفاصلة في هذا الأمر واجبة ؛ ودعوتهم إلى « الإسلام » من جديد هي واجب « المسلم » الذي أقام كتاب الله في نفسه وفي حياته . فدعوى الإسلام باللسان أو بالوراثة دعوى لا تفيد إسلاماً ، ولا تحقق إيماناً ، ولا تعطي صاحبها صفة التدين بدين الله ، في اي ملة ، وفي أي زمان !

وبعد أن يستجيب هؤلاء أو أولئك ؛ ويقيموا كتاب الله في حياتهم ؛ يملك « المسلم » أن يتناصر معهم في دفع غائلة الإلحاد والملحدين ، عن « الدين » وعن « المتدينين » .. فأما قبل ذلك فهو عبث ؛ وهو تمييع ، يقوم به خادع أو مخدوع !

إن دين الله ليس راية ولا شعاراً ولا وراثة ! إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء . تتمثل في عقيدة تعمر القلب ، وشعائر تقام للتعبد ، ونظام يصرف الحياة .. ولا يقوم دين الله إلا في هذا الكل المتكامل ؛ ولا يكون الناس على دين الله إلا وهذا الكل المتكامل متمثل في نفوسهم وفي حياتهم .. وكل اعتبار

من حقه كالتحريم والتحليل ، نقضها وعليه التكفير .

ونعود بعد ذلك إلى الموضوع الأصيل الذي نزلت الآيات بسببه . . فأما من ناحية « خصوص السبب » فإن الله يبين أن ما أحله الله فهو الطيب ، وما حرمه فهو الخبيث . وأن ليس للإنسان أن يختار لنفسه غير ما اختاره الله له . من وجهين : الوجه الأول أن التحريم والتحليل من خصائص الله الرازق بما يجري فيه التحليل والتحريم من الرزق ، وإلا فهو الاعتداء الذي لا يحبه الله ، ولا يستقيم معه إيمان . . والوجه الثاني أن الله يحل الطيبات ، فلا يحرِّم أحد على نفسه تلك الطيبات ، التي بها صلاحه وصلاح الحياة ؛ فإن بصره بنفسه وبالحياة لن يبلغ بصر الحكيم الخبير الذي أحل هذه الطيبات . ولو كان الله يعلم فيها شراً أو أذى لوقاه عباده . ولو كان يعلم في الحرمان منها خيراً ما جعلها حلالاً . . ولقد جاء هذا الدين ليحقق الخير والصلاح ، والتوازن المطلق ، والتناسق الكامل ، بين طاقات الحياة البشرية جميعاً ، فهو لا يغفل حاجة من حاجات الفطرة البشرية ؛ ولا يكبت كذلك طاقة بناءة من طاقات الإنسان ، تعمل عملاً سوياً ، ولا تخرج عن الجادة . ومن ثم حارب الرهبانية ، لأنها كبت للفطرة ، وتعطيل للطاقة وتعويق عن إنماء الحياة التي أراد الله لها النماء ، كما نهى عن تحريم الطيبات كلها لأنها من عوامل بناء الحياة ونموها وتجددها . . لقد خلق الله هذه الحياة لتنمو وتتجدد ، وترتقي عن طريق النمو والتجدد المحكومين بمنهج الله . والرهبانية وتحريم الطيبات الأخرى تصطدم مع منهج الله للحياة . لأنها تقف بها عند نقطة معينة بحجة التسامي والارتفاع . والتسامي والارتفاع داخلان في منهج الله للحياة ، وفق المنهج الميسر المطابق للفطرة كما يعلمها الله .

وخصوص السبب ـ بعد هذا ـ لا يقيد عموم النص . وهذا العموم يتعلق بقضية الألوهية والتشريع ـ كما أسلفنا ـ وهي قضية لا تقتصر على الحلال والحرام في المآكل والمشارب والمناكح . إنما هو أمرحق التشريع لأي شأن من شئون الحياة . .

ونحن نكرر هذا المعنى ونؤكده ؛ لأن طول عزلة الإسلام عن أن يحكم الحياة ـ كما هو شأنه وحقيقته ـ قد جعل معاني العبارة تتقلص ظلالها عن مدى الحقيقة التي تعنيها في القرآن الكريم وفي هذا الدين . ولقد جعلت كلمة « الحلال » وكلمة « الحرام » يتقلص ظلهما في حس الناس ، حتى عاد لا يتجاوز ذبيحة تذبح ، أو طعاماً يؤكل ، أو شراباً يشرب ، أو لباساً يلبس ، أو نكاحاً يعقد . . فهذه هي الشئون التي عاد الناس يستفتون فيها الإسلام ليروا : حلال هي أم حرام ! فأما الأمور العامة والشئون الكبيرة فهم يستفتون في شأنها النظريات والدساتير والقوانين التي استبدلت بشريعة الله ! فالنظام الاجتماعي بجملته ، والنظام السياسي بجملته ، والنظام الدولي بجملته ؛ وكافة اختصاصات الله في الأرض وفي حياة الناس ، لم تعد مما يستفتى فيه الإسلام !

والإسلام منهج للحياة كلها . من اتبعه كله فهو مؤمن وفي دين الله . ومن اتبع غيره ولو في حكم واحد فقد رفض الإيمان واعتدى على ألوهية الله ، وخرج من دين الله . مهما أعلن أنه يحترم العقيدة وأنه مسلم . فاتباعه شريعة غير شريعة الله ، يكذب زعمه ويدمغه بالخروج من دين الله .

وهذه هي القضية الكلية التي تعنيها هذه النصوص القرآنية ، وتجعلها قضية الإيمان بالله ، أو الاعتداء على الله . . وهذا هو مدى النصوص القرآنية . وهو المدى اللائق بجدية هذا الدين وجدية هذا القرآن ، وجدية معنى الألوهية ومعنى الإيمان . .

* * *

وفي سياق قضية التشريع بالتحريم والتحليل ، وفي خط التربية للأمة المسلمة في المدينة ، وتخليصها من جو

سورة الأنعام

وسياق السورة يسوق على هذه القضية أدلته في تلك المشاهد والمواقف والإيقاعات البالغة حد الروعة الباهرة ؛ والتي تواجه القلب بالحشود الحاشدة من المؤثرات الموحية ، من كل درب ومن كل باب !

والقضية الكبيرة التي تعالجها السورة هي قضية الألوهية والعبودية في السماوات والأرض . في محيطها الواسع ، وفي مجالها الشامل . . ولكن المناسبة الحاضرة في حياة الجماعة المسلمة حينذاك ، المناسبة التطبيقية لهذه القاعدة الكبيرة الشاملة ، هي ما تزاوله الجاهلية من حق التحليل والتحريم في الذبائح والمطاعم ، ومن حق تقرير بعض الشعائر في النذور من الذبائح والثمار والأولاد . . وهي المناسبة التي تتحدث عنها هذه الآيات في أواخر السورة :

« فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، إن كنتم بآياته مؤمنين . وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ، إن ربك هو أعلم بالمعتدين . وذروا ظاهر الإثم وباطنه ، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون . ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » . . (١١٨ – ١٢١) .

« وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله – بزعمهم – وهذا لشركائنا . فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكمون ! وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليرْدوهم وليلبسوا عليهم دينهم ، ولو شاء الله ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون . وقالوا : هذه أنعام وحرث حجر ، لا يطعمها إلا من نشاء – بزعمهم – وأنعام حرّمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها – افتراء عليه – سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء . سيجزيهم وصفهم ، إنه حكيم عليم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ؛ وحرموا ما رزقهم الله – افتراء على الله – قد ضلوا وما كانوا مهتدين » . . (١٣٦ – ١٤٠)

هذه هي المناسبة الحاضرة في حياة الأمة المسلمة – والجاهلية حولها – التي تتمثل فيها تلك القضية الكبيرة . . قضية التشريع . . ومن ورائها القضية الكبرى . . قضية الألوهية والعبودية التي تعالجها السورة كلها ، ويعالجها القرآن المكي كله ، كما يعالجها القرآن المدني أيضاً كلما جاء ذكر النظام فيه وذكر التشريع .

والحشد الذي يتدفق به سياق السورة من التقريرات والمؤثرات ، وهو يواجه الجاهلية وأهلها في أمر هذه الأنعام والذبائح والنذور – وهي المناسبة التي تتمثل فيها قضية حق التشريع – وربطها بقضية العقيدة كلها – قضية الألوهية والعبودية – وجعلها مسألة إيمان أو كفر ، ومسألة إسلام أو جاهلية . . هذا الحشد – على النحو الذي سنحاول أن نستعرض نماذج منه في هذا التعريف المختصر بالسورة ، والذي سيتجلى على حقيقته في المواجهة التفصيلية للنصوص في السياق بعد ذلك – يوقع في النفس تلك الحقيقة الأصيلة في طبيعة هذا الدين . وهي أن كل جزئية صغيرة في الحياة الإنسانية يجب أن تخضع خضوعاً مطلقاً لحاكمية الله المباشرة ، الممثلة في شريعته . وإلا فهو الخروج من هذا الدين جملة من أجل الخروج على حاكمية الله المطلقة في تلك الجزئية الصغيرة .

كذلك يدل ذلك الحشد على مدى الأهمية التي ينوطها هذا الدين بتخليص مظهر الحياة كله من ظلال حاكمية البشر في أي شأن من شؤون البشر – جل أم حقر ، كبر أم صغر – وربط أي شأن من هذه الشؤون

في ظلال القرآن

بقلم

سيد قطب

المجلد الثالث

الأجزاء: ٨ - ١١

طبعة جديدة مشروعة

تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف
وتنشر للمرة الأولى

مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق
لما كان في الطبعة الأصلية - التي صورت عنها الطبعات غير المشروعة -
من أخطاء في الآيات القرآنية والتفسير

دار الشروق

إلهاً واحداً » أي الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام ، وما حلله فهو الحلال ، وما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ) ..

فهذا قول السدي وذاك قول ابن كثير .. وكلاهما يقرر في حسم وصرامة ووضوح ـ مستمدة من حسم النص القرآني وصرامته ووضوحه ، ومن حسم التفسير النبوي للقرآن وصرامته ووضوحه كذلك ـ أن من أطاع بشراً في شريعة من عند نفسه ، ولو في جزئية صغيرة ، فإنما هو مشرك . وإن كان في الأصل مسلما ثم فعلها فإنما خرج بها من الإسلام إلى الشرك أيضاً .. مهما بقي بعد ذلك يقول : أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه . بينما هو يتلقى من غير الله ، ويطيع غير الله .

وحين ننظر إلى وجه الأرض اليوم ـ في ضوء هذه التقريرات الحاسمة ـ فإننا نرى الجاهلية والشرك ـ ولا شيء غير الجاهلية والشرك ـ إلا من عصم الله ، فأنكر على الأرباب الأرضية ما تدعيه من خصائص الألوهية ؛ ولم يقبل منها شرعا ولا حكما ... إلا في حدود الإكراه ..

فأما الحكم الفقهي المستفاد من قوله تعالى : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق .. » فيما يتعلق بحل الذبائح وحرمتها عند التسمية وعدم التسمية فقد لخصها ابن كثير في التفسير في هذه الفقرات قال :

« استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب إلى أن الذبيحة لا تحل إذا لم يذكر اسم الله عليها ، وإن كان الذابح مسلماً » ..

« وقد اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

« فمنهم من قال : لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة . وسواء متروك التسمية عمدا أو سهوا . وهو مروي عن ابن عمر ، ونافع مولاه ، وعامر الشعبي ، ومحمد بن سيرين . وهو رواية عن الإمام مالك ، ورواية عن أحمد بن حنبل ، نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين . وهو اختيار أبي ثور ، وداود الظاهري . واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية في كتابه الأربعين ، واحتجوا لمذهبهم بهذه الآية ، وبقوله في آية الصيد : « فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه » .. ثم قد أكد ذلك بقوله : « وإنه لفسق » والضمير قيل : عائد على الأكل ، وقيل : عائد على الذبح لغير الله . وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد ، كحديثي عدي بن حاتم وأبي ثعلبة : « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك » . وهما في الصحيحين . وحديث رافع بن خديج : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه » . وهو في الصحيحين أيضاً ...

« والمذهب الثاني في المسألة : أنه لا يشترط التسمية ، بل هي مستحبة ، فإن تركها عمدا أو نسياناً لا يضر . وهذا مذهب الإمام الشافعي ، رحمه الله ، وجميع أصحابه . ورواية عن الإمام أحمد نقلها عنه حنبل . وهو رواية عن الإمام مالك ، ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه . وحكي عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وعطاء بن أبي رباح . والله أعلم . وحمل الشافعي الآية الكريمة : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » على ما ذبح لغير الله كقوله تعالى : « أو فسقا أهل لغير الله به » . وقال ابن جريج عن عطاء : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .. قال : ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش للأوثان ، وينهى عن ذبائح المجوس .. وهذا المسلك الذي طرقه الإمام الشافعي قوي ...

« وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، أنبأنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » قال : هي الميتة . وقد استدل لهذا المذهب بما رواه

إلا أن تكون الحاكمية العليا لله في حياة البشر ، كما أن له الحاكمية العليا في نظام الكون سواء . فهو المتحكم في الكون والعباد بقضائه وقدره ، وهو المتحكم في حياة العباد بمنهجه وشريعته .. وبناء على هذه القاعدة لا يعتقد المسلم أن لله شريكاً في خلق الكون وتدبيره وتصريفه ؛ ولا يتقدم المسلم بالشعائر التعبدية إلا لله وحده . ولا يتلقى الشرائع والقوانين ، والقيم والموازين ، والعقائد والتصورات إلا من الله ، ولا يسمح لطاغوت من العبيد أن يدعي حق الحاكمية في شيء من هذا كله مع الله .

هذه هي قاعدة هذا الدين من ناحية الاعتقاد .. فأين منها البشرية كلها اليوم ؟

إن البشرية تنقسم شيعاً كلها جاهلية .

شيعة ملحدة تنكر وجود الله أصلاً وهم الملحدون .. فأمرهم ظاهر لا يحتاج إلى بيان !

وشيعة وثنية تعترف بوجود إله ، ولكنها تشرك من دونه آلهة أخرى وأرباباً كثيرة . كما في الهند ، وفي أواسط إفريقية ، وفي أجزاء متفرقة من العالم .

وشيعة « أهل كتاب » من اليهود والنصارى . وهؤلاء أشركوا قديماً بنسبة الولد إلى الله . كما أشركوا باتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ــ لأنهم قبلوا منهم ادعاء حق الحاكمية وقبلوا منهم الشرائع . وإن كانوا لم يصلوا لهم ولم يسجدوا ولم يركعوا أصلاً ! .. ثم هم اليوم يقصون حاكمية الله بجملتها من حياتهم ويقيمون لأنفسهم أنظمة يسمونها « الرأسمالية » و« الاشتراكية » .. وما إليها.ويقيمون لأنفسهم أوضاعاً للحكم يسمونها « الديمقراطية » و« الديكتاتورية » ... وما إليها . ويخرجون بذلك عن قاعدة دين الله كله ، إلى مثل جاهلية الإغريق والرومان وغيرهم ، في اصطناع أنظمة وأوضاع للحياة من عند أنفسهم .

وشيعة تسمي نفسها « مسلمة » ! وهي تتبع مناهج أهل الكتاب هذه ــ حذوك النعل بالنعل ! ــ خارجة من دين الله إلى دين العباد . فدين الله هو منهجه وشرعه ونظامه الذي يضعه للحياة وقانونه . ودين العباد هو منهجهم للحياة وشرعهم ونظامهم الذي يضعونه للحياة وقوانينهم !

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين للبشرية ؛ وانتكست البشرية بجملتها إلى الجاهلية .. شيعها جميعاً لا تتبع دين الله أصلاً .. وعاد هذا القرآن يواجه البشرية كما واجهها أول مرة ، يستهدف منها نفس ما استهدفه في المرة الأولى من إدخالها في الإسلام ابتداء من ناحية العقيدة والتصور. ثم إدخالها في دين الله بعد ذلك من ناحية النظام والواقع .. وعاد حامل هذا الكتاب يواجه الحرج الذي كان يواجهه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يواجه البشرية الغارقة في مستنقع الجاهلية ، المستنيمة للمستنقع الآسن ، الضالة في تيه الجاهلية ، المستسلمة لاستهواء الشيطان في التيه ! .. وهو يستهدف ابتداء إنشاء عقيدة وتصور في قلوب الناس وعقولهم تقوم على قاعدة : أشهد أن لا إله إلا الله . وإنشاء واقع في الأرض آخر يعبد فيه الله وحده ، ولا يعبد معه سواه . وتحقيق ميلاد للإنسان جديد ، يتحرر فيه الإنسان من عبادة العبيد ، ومن عبادة هواه !

إن الإسلام ليس حادثاً تاريخياً ، وقع مرة ، ثم مضى التاريخ وخلفه وراءه .. إنه اليوم مدعو لأداء دوره الذي أداه مرة ؛ في مثل الظروف والملابسات والأوضاع والأنظمة والتصورات والعقائد والقيم والموازين والتقاليد ... التي واجهها أول مرة .

إن الجاهلية حالة ووضع ؛ وليست فترة تاريخية زمنية .. والجاهلية اليوم ضاربة أطنابها في كل أرجاء الأرض ، وفي كل شيع المعتقدات والمذاهب والأنظمة والأوضاع .. إنها تقوم ابتداء على قاعدة : « حاكمية العباد للعباد » ، ورفض حاكمية الله المطلقة للعباد .. تقوم على أساس أن يكون « هوى الإنسان » في أية

صورة من صوره هو الإله المتحكم ، ورفض أن تكون « شريعة الله » هي القانون المحكم .. ثم تختلف أشكالها ومظاهرها ، وراياتها وشاراتها ، وأسماؤها وأوصافها ، وشيعها ومذاهبها .. غير أنها كلها تعود إلى هذه القاعدة المميزة المحددة لطبيعتها وحقيقتها ..

وبهذا المقياس الأساسي يتضح أن وجه الأرض اليوم تغمره الجاهلية . وأن حياة البشرية اليوم تحكمها الجاهلية . وأن الإسلام اليوم متوقف عن « الوجود » مجرد الوجود ! وأن الدعاة إليه اليوم يستهدفون ما كان يستهدفه محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تماماً ؛ ويواجهون ما كان يواجهه – صلى الله عليه وسلم – تماماً ، وأنهم مدعوون إلى التأسي به في قول الله – سبحانه – له :

« كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ، لتنذر به وذكرى للمؤمنين » ..

ولتوكيد هذه الحقيقة وجلائها نستطرد إلى شيء قليل من التفصيل :

إن المجتمعات البشرية اليوم – بجملتها – مجتمعات جاهلية . وهي من ثم مجتمعات « متخلفة » أو « رجعية » ! بمعنى أنها « رجعت » إلى الجاهلية ، بعد أن أخذ الإسلام بيدها فاستنقذها منها . والإسلام اليوم مدعو لاستنقاذها من التخلف والرجعية الجاهلية ، وقيادتها في طريق التقدم و« الحضارة » بقيمها وموازينها الربانية .

إنه حين تكون الحاكمية العليا لله وحده في مجتمع – متمثلة في سيادة شريعته الربانية – تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً حقيقياً كاملاً من العبودية للهوى البشري ومن العبودية للعبيد . وتكون هذه هي الصورة الوحيدة للإسلام أو للحضارة – كما هي في ميزان الله – لأن الحضارة التي يريدها الله للناس تقوم على قاعدة أساسية من الكرامة والتحرر لكل فرد . ولا كرامة ولا تحرر مع العبودية لعبد .. لا كرامة ولا تحرر في مجتمع بعضه أرباب يشرعون ويزاولون حق الحاكمية العليا ؛ وبعضهم عبيد يخضعون ويتبعون هؤلاء الأرباب ! والتشريع لا ينحصر في الأحكام القانونية . فالقيم والموازين والأخلاق والتقاليد .. كلها تشريع يخضع الأفراد لضغطه شاعرين أو غير شاعرين ! .. ومجتمع هذه صفته هو مجتمع رجعي متخلف .. أو بالاصطلاح الإسلامي : « مجتمع جاهلي مشرك » !

وحين تكون آصرة التجمع في مجتمع هي العقيدة والتصور والفكر ومنهج الحياة . ويكون هذا كله صادراً من الله ، لا من هوى فرد ، ولا من إرادة عبد . فإن هذا المجتمع يكون مجتمعاً متحضراً متقدماً . أو بالاصطلاح الإسلامي : مجتمعاً ربانياً مسلماً .. لأن التجمع حينئذ يكون ممثلاً لأعلى ما في « الإنسان » من خصائص – خصائص الروح والفكر – فأما حين تكون آصرة التجمع هي الجنس واللون والقوم والأرض ... وما إلى ذلك من الروابط .. فإنه يكون مجتمعاً رجعيا متخلفا .. أو بالاصطلاح الإسلامي : مجتمعاً جاهلياً مشركاً .. ذلك أن الجنس واللون والقوم والأرض ... وما إلى ذلك من الروابط لا تمثل الحقيقة العليا في « الإنسان » . فالإنسان يبقى إنساناً بعد الجنس واللون والقوم والأرض . ولكنه لا يبقى إنساناً بعد الروح والفكر !

ثم هو يملك بإرادته الإنسانية الحرة – وهي أسمى ما أكرمه الله به – أن يغير عقيدته وتصوره وفكره ومنهج حياته من ضلال إلى هدى عن طريق الإدراك والفهم والاقتناع والاتجاه . ولكنه لا يملك أبداً أن يغير جنسه ، ولا لونه ، ولا قومه . لا يملك أن يحدد سلفاً مولده في جنس ولا لون ؛ كما لا يمكنه أن يحدد سلفا مولده في قوم أو أرض .. فالمجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة هو بدون شك أرقى وأمثل وأقوم من المجتمع الذي يتجمع فيه الناس على أمور خارجة عن إرادتهم ولا يد لهم فيها !

وحين تكون « إنسانية الإنسان » هي القيمة العليا في مجتمع ؛ وتكون « الخصائص الإنسانية » فيه موضع

الجزء التاسع

أداء مظاهر العبودية أمام هذه التماثيل والهياكل متوارين بأنفسهم من ورائها ، يلعبون بعقول الناس ، ويستعبدونهم لأغراضهم وشهواتهم وهم لا يشعرون[1] ! فيتبين من ذلك أن دعوة الإسلام إلى التوحيد ، وإخلاص العبادة لله الواحد الأحد ، وتنديده بالكفر والشرك بالله ، واجتناب الأوثان والطواغيت .. كل ذلك يتنافى ويتعارض مع الحكومة والعاملين عليها المتصرفين في أمورها ، والذين يجدون فيها سنداً لهم ، وعوناً على قضاء حاجاتهم وأغراضهم .. ومن ثم ترى أنه كلما قام نبي من الأنبياء يجاهر الناس بالدعوة ، وخاطبهم قائلاً : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » .. قامت في وجهه الحكومات المتمكنة في عصره ، وثار عليه جميع من كانوا يستغلون خيرات البلاد ويستثمرونها ظلماً وعدواناً .. خرجت تقاومه ، وتضع في سبيل الدعوة العقبات . وذلك أن هذه الدعوة لم تكن مجرد بيان لعقيدة كلامية ، أو شرح لمسألة من مسائل الإلهيات (Metaphysical Proposition) وإنما كانت نداء لانقلاب اجتماعي عالمي ، ما كانت بوادره لتخفى على المستأثرين بمناصب العز والجاه ، المستبدين بمنابع الثراء ، ممن يشمون رائحة الاضطراب السياسي قبل حدوثه بأعوام !

* * *

« إن الإسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية ، وجملة من المناسك والشعائر ، كما يفهم من معنى الدين في هذه الأيام . بل الحق أنه نظام شامل ، يريد أن يقضي على سائر النظم الباطلة الجائرة الجارية في العالم ، ويقطع دابرها ، ويستبدل بها نظاماً صالحاً ، ومنهاجاً معتدلاً ، يرى أنه خير للإنسانية من النظم الأخرى ، وأن فيه نجاة للجنس البشري من أدواء الشر والطغيان ، وسعادة له وفلاحاً في العاجلة والآجلة معاً .

« ودعوته في هذه السبيل ، سبيل الإصلاح والتجديد والهدم والبناء ، عامة للجنس البشري كافة ، لا تختص بأمة دون أمة ، أو طائفة دون طائفة . فهو يدعو بني آدم جميعاً إلى كلمته ؛ حتى إنه يهيب بالطبقات الجائرة نفسها ممن اعتدوا حدود الله في أرضه ، واستأثروا بخيرات الأرض دون سائر الناس .. يهيب بالملوك والأمراء أنفسهم ويناديهم قائلاً : لا تطغوا في الأرض ، وادخلوا في كنف حدود الله التي حدها لكم ، وكفوا أيديكم عما نهاكم الله عنه وحذركم إياه . فإن أسلمتم لأمر الله ، ودنتم لنظام الحق والعدل الذي أقامه للناس خيراً وبركة ، فلكم الأمن والدعة والسلامة فإن الحق لا يعادي أحداً ؛ وإنما يعادي الحق الجور ، والفساد والفحشاء ، وأن يتعدى الرجل حدوده الفطرية ، ويبتغي ما وراء ذلك ، مما لا حظ له فيه حسب سنن الكون ، وفطرة الله التي فطر الناس عليها .

« فكل من آمن بهذه الدعوة وتقبلها بقبول حسن ، يصير عضواً في « الجماعة الإسلامية » أو « الحزب الإسلامي » لا فرق في ذلك بين الأحمر منهم والأسود ، أو بين الغني منهم والفقير . كلهم سواسية كأسنان المشط . لا فضل لأمة على أمة . أو لطبقة على أخرى . وبذلك يتكون ذلك الحزب العالمي أو الأممي ، الذي سمي « حزب الله » بلسان الوحي .

« وما إن يتكون هذا الحزب حتى يبدأ بالجهاد في سبيل الغاية التي أنشئ لأجلها . فمن طبيعته ، وما يستدعيه وجوده ، أن لا يألو جهداً في القضاء على نظم الحكم التي أسس بنيانها على غير قواعد الإسلام ، واستئصال شأفتها ، وأن يستنفد مجهوده في أن يستبدل بها نظاماً للعمران والاجتماع معتدلاً ، مؤسساً على قواعد ذلك القانون الوسط العدل الذي يسميه القرآن الكريم : « كلمة الله » . فإن لم يبذل هذا الحزب الجهد المستطاع ،

(١) أما في الجاهليات الحاضرة فإن شكل الأصنام والهياكل فقط هو الذي تغير . وهي تقيم للمغفلين من الناس والمستخفين أصناما وهياكل معنوية من نوع آخر ينطق سدنتها باسمها ويقولون : إنها تريد كذا وكذا ، فيستجيب المغفلون والمستخفون ! ! !

ولم يسع سعيه وراء تغيير نظم الحكم وإقامة نظام الحق .. نظام الحكم المؤسس على قواعد الإسلام .. ولم يجاهد حق جهاده في هذه السبيل ، فاتته غايته . وقصر عن تحقيق البغية التي أنشئ لأجلها . فإنه ما أنشئ إلا لإدراك هذه الغاية ، وتحقيق هذه البغية .. بغية إقامة نظام الحق والعدل .. ولا غاية له ولا عمل إلا الجهاد في هذه السبيل . وهذه الغاية الوحيدة التي بينها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .. (آل عمران : ١١٠)

— « ولا يظن أحد أن هذا الحزب .. « حزب الله » بلسان الوحي .. مجرد جماعة من الوعاظ المبشرين ، يعظون الناس في المساجد ، ويدعونهم إلى مذاهبهم ومسالكهم بالخطب والمقالات ليس إلا ! ليس الأمر كذلك ! وإنما هو حزب أنشأه الله ليحمل لواء الحق والعدل بيده ، ويكون شهيداً على الناس ؛ ومن مهمته التي ألقيت على كاهله من أول يوم أن يقضي على منابع الشر والعداون ، ويقطع دابر الجور والفساد في الأرض والاستغلال الممقوت ؛ وأن يكبح جماح الآلهة الكاذبة ، الذين تكبروا في أرض الله بغير الحق ؛ وجعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله ؛ ويستأصل شأفة ألوهيتهم . ويقيم نظاماً للحكم والعمران صالحاً يتفيأ ظلاله القاصي والداني والغني والفقير .. وإلى هذا المعنى أشار الله تعالى في غير واحدة من آي الذكر الحكيم :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » .. (الأنفال : ٣٨) .

« إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » .. (الأنفال : ٧٣) .

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .. (التوبة : ٣٣)

« فتبين من كل ذلك أن هذا الحزب لا بد له من امتلاك ناصية الأمر ؛ ولا مندوحة له من القبض على زمام الحكم ؛ لأن نظام العمران الفاسد لا يقوم إلا على أساس حكومة مؤسسة على قواعد العدوان والفساد في الأرض ؛ وكذلك ليس من الممكن أن يقوم نظام للحكم صالح ، ويؤتي أكله ، إلا بعدما ينتزع زمام الأمر من أيدي الطغاة المفسدين . ويأخذه بأيديهم رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ؛ ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

« وأضف إلى ذلك أن هذا الحزب ؛ بصرف النظر عما يرمي إليه من إصلاح العالم ؛ وبث الخير والفضيلة في أنحاء الأرض كافة ، لا يقدر أن يبقى ثابتاً على خطته ، متمسكاً بمنهاجه ، عاملاً وفق مقتضياته ما دام نظام الحكم قائماً على أساس آخر ، سائراً على منهاج غير منهاجه . وذلك أن حزباً مؤمناً بمبدأ ونظام للحياة والحكم خاص ، لا يمكن أن يعيش متمسكاً بمبدئه عاملاً حسب مقتضاه في ظل نظام للحكم مؤسس على مبادىء وغايات غير المبادىء والغايات التي يؤمن بها ؛ ويريد السير على منهاجها . فإن رجلاً يؤمن بمبادىء الشيوعية ، إن أراد أن يعيش في بريطانيا أو ألمانيا ، متمسكاً بمبدئه ، سائراً في حياته على البرنامج الذي تقرره الشيوعية ، فلن يتمكن من ذلك أبداً ، لأن النظم التي تقررها الرأسمالية أو الناتسية [١] تكون مهيمنة عليه ، قاهرة بما أوتيت من سلطان ، فلا يمكنه أن يتخلص من براثنها أصلاً ..وكذلك إن أراد المسلم أن يقضي حياته مستظلاً بنظام للحكم مناقض لمبادىء الإسلام الخالدة [٢] وبوده أن يبقى مستمسكاً بمبادىء الإسلام ، سائراً وفق مقتضاه في أعماله اليومية ، فلن يتسنى له ذلك ، ولا يمكنه أن ينجح في بغيته هذه أبداً . لأن القوانين التي يراها باطلة ، والضرائب

(١) كتب هذا البحث سنة ١٩٣٨ والنظام النازي قائم في ألمانيا .

(٢) وكل حكم لا تتمحض فيه العبودية لله ، بسيطرة شريعة الله كلها على الحياة كلها هو حكم مناقض للإسلام .

الجزء التاسع

التي يعتقدها غرماً ونهباً لأموال الناس ، والقضايا التي يحسبها جائرة عن الحق وافتئاتاً على العدل ، والنظم التي يعرف أنها مبعث الفساد في الأرض ، ومناهج التعليم التي يجزم بوخامة عاقبتها وسوء نتائجها ، ويرى فيها هلاكاً للأمة .. يجد كل هذه مهيمنة عليه ، ومسيطرة على بيئته وأهله وأولاده ، بحيث لا يمكنه أن يتخلص من قيودها وينجو بنفسه وأهله من أثرها ونفوذها فالذي يؤمن بعقيدة ونظام ـ فرداً كان أو جماعة ـ مضطر بطبيعة عقيدته وإيمانه بها أن يسعى سعيه في القضاء على نظم الحكم القائمة على فكرة غير فكرته ، ويبذل الجهد المستطاع في إقامة نظام للحكم مستند إلى الفكرة التي يؤمن بها ؛ ويعتقد أن فيها سعادة للبشر . لأنه لا يتسنى له العمل بموجب عقيدته والسير على منهاجه إلا بهذا الطريق . وإذا رأيت رجلاً لا يسعى وراء غايته ، أو يغفل عن هذا الواجب ، فاعلم أنه كاذب في دعواه . ولما يدخل الإيمان في قلبه . وبهذا المعنى ورد في التنزيل :

« عفا الله عنك . لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ؟ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم . والله عليم بالمتقين .. إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر . وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون » ... (التوبة : ٤٣ ـ ٤٥) .

« وأي شهادة أصدق ؛ وأي حجة أنصع ؛ من شهادة القرآن وحجته ؛ ففي هذه الآيات من سورة براءة قد نص القرآن الكريم على أن الذي لا يلبي نداء الجهاد ؛ ولا يجاهد بماله ونفسه في سبيل إعلاء كلمة الله ، وإقامة الدين الذي ارتضاه لنفسه ، وتوطيد نظام الحكم المبني على قواعده ، فهو في عداد الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ...

* * *

« لعلك تبينت مما أسلفنا آنفاً أن غاية (Objective) الجهاد في الإسلام ، هي هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه ، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها . وهذه المهمة .. مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام . غير منحصرة في قطر دون قطر . بل مما يريده الإسلام ، ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة .. هذه غايته العليا ، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره . إلا أنه لا مندوحة للمسلمين ، أو أعضاء « الحزب الإسلامي » عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود ، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها . أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل (World Revolution) المحيط بجميع أنحاء الأرض . وذلك أن فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية ، بل تدعو الناس جميعاً إلى سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين ، لا يمكنها أصلاً أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر . بل الحق أنها مضطرة بسجيتها وجبلتها أن تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها ، ولا تغفل عنها طرفة عين . فإن الحق يأبى الحدود الجغرافية ، ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها . فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة . ويقول لها مطالباً بحقه : ما بالكم تقولون : إن القضية الفلانية « حق » في هذا الجانب من ذاك الجبل أو النهر مثلاً ، ثم تعود القضية نفسها « باطلاً » ـ بزعمكم ـ إذا جاوزنا ذاك الجبل أو النهر بأذرع ؟ ! الحق حق في كل حال وفي كل مكان ! وأي تأثير للجبال والأنهار في تغيير حقيقته المعنوية ؟ ! الحق ظله وارف ، وخيره عام شامل ، لا يختص ببيئة دون بيئة ، ولا قطر دون قطر . فأينما وجد « الإنسان » مقهوراً فالحق من واجبه أن يدركه ويأخذ بحقه وينتصر له . ومهما أصيبت « الإنسانية » في أبنائها المستضعفين ، فعلى العدل ومبادئه

في ظلال القرآن

بقلم

سيّد قطب

المجلّد الرّابع

الأجزاء: ١٢-١٨

طبعة جديدة مشروعة

تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلّف
وتُنشر للمرّة الأولى

مع المراجعة الشاملة والتصويب الدقيق
لما كان في الطبعة الأصليّة - التي صوّرت عنها الطبعات غير المشروعة -
من أخطاء في الآيات القرآنيّة والتفسير

دار الشروق

أما خطأ النتائج فهو ضرورة حتمية لخطأ المنهج من أساسه . هذا الخطأ الذي طبع نتائج المنهج كلها بهذا الطابع . .

على أنه أياً كان المنهج وأياً كانت النتائج التي يصل إليها ؛ فإن تقريراته مخالفة مخالفة أساسية للتقريرات الإلهية كما يعرضها القرآن الكريم . . وإذا جاز لغير مسلم أن يأخذ بنتائج تخالف مخالفة صريحة قول الله سبحانه في مسألة من المسائل ؛ فإنه لا يجوز لباحث يقدم بحثه للناس على أنه « مسلم » أن يأخذ بتلك النتائج . ذلك أن التقريرات القرآنية في مسألة الإسلام والجاهلية ، وسبق الإسلام للجاهلية في التاريخ البشري ، وسبق التوحيد للتعدد والتثنية . . قاطعة ، وغير قابلة للتأويل . فهي مما يقال عنه : إنه معلوم من الدين بالضرورة . وعلى من يأخذ بنتائج علم الأديان المقارنة في هذا الأمر ، أن يختار بين قول الله سبحانه وقول علماء الأديان . أو بتعبير آخر : أن يختار بين الإسلام وغير الإسلام ! لأن قول الله في هذه القضية منطوق وصريح ، وليس ضمنياً ولا مفهوماً !

وعلى أية حال فإن هذا ليس موضوعنا الذي نستهدفه في هذا التعقيب الأخير . . إنما نستهدف هنا رؤية الخط الحركي للعقيدة الإسلامية في التاريخ البشري ؛ والإسلام والجاهلية يتعاوران البشرية ؛ والشيطان يستغل الضعف البشري وطبيعة التكوين لهذا المخلوق المزدوج الطبيعة والاتجاه ، ويحتال الناس عن الإسلام بعد أن يعرفوه ، إلى الجاهلية ؛ فإذا بلغت هذه الجاهلية مداها بعث الله للناس رسولاً يردهم إلى الإسلام . ويخرجهم من الجاهلية . وأول ما يخرجهم منه هو الدينونة لغير الله سبحانه من الأرباب المتفرقة . . وأول ما يردهم إليه هو الدينونة لله وحده في أمرهم كله ، لا في الشعائر التعبدية وحدها ، ولا في الاعتقاد القلبي وحده .

إن هذه الرؤية تفيدنا في تقدير موقف البشرية اليوم ، وفي تحديد طبيعة الدعوة الإسلامية كذلك . .

إن البشرية اليوم – بجملتها – تزاول رجعية شاملة إلى الجاهلية التي أخرجها منها آخر رسول – محمد صلى الله عليه وسلم – وهي جاهلية تتمثل في صور شتى :

بعضها يتمثل في إلحاد بالله سبحانه ، وإنكار لوجوده . . فهي جاهلية اعتقاد وتصور ، كجاهلية الشيوعيين .

وبعضها يتمثل في اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه ، وانحراف في الشعائر التعبدية وفي الدينونة والاتباع والطاعة ، كجاهلية الوثنيين من الهنود وغيرهم . . وكجاهلية اليهود والنصارى كذلك .

وبعضها يتمثل في اعتراف صحيح بوجود الله سبحانه ، وأداء للشعائر التعبدية . مع انحراف خطير في تصور دلالة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ومع شرك كامل في الدينونة والاتباع والطاعة . وذلك كجاهلية من يسمون أنفسهم « مسلمين » ويظنون أنهم أسلموا واكتسبوا صفة الإسلام وحقوقه – بمجرد نطقهم بالشهادتين وأدائهم للشعائر التعبدية ؛ مع سوء فهمهم لمعنى الشهادتين ؛ ومع استسلامهم ودينونتهم لغير الله من العبيد !

وكلها جاهلية . وكلها كفر بالله كالأولين . أو شرك بالله كالآخرين[1] . .

إن رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح ؛ تؤكد لنا أن البشرية اليوم بجملتها قد ارتدت إلى جاهلية شاملة ، وأنها تعاني رجعية نكدة إلى الجاهلية التي أنقذها منها الإسلام مرات متعددة ، كان آخرها الإسلام

---

(١) يراجع فصل : « لا إله إلا الله منهج حياة » في كتاب : « معالم في الطريق » نشر « دار الشروق »

وحين يستجيب الناس ـ أو الجماعة منهم ـ لهذا القول ، فإن المجتمع المسلم يكون قد بدأ أولى خطواته في الوجود . وهذا المجتمع يكون حينئذ هو الوسط الواقعي الحي الذي ينشأ فيه الفقه الإسلامي الحي وينمو ، لمواجهة حاجات ذلك المجتمع المستسلم لشريعة الله فعلاً ..

فأما قبل قيام هذا المجتمع فالعمل في حقل الفقه والأحكام التنظيمية هو مجرد خداع للنفس ، باستنبات البذور في الهواء ، ولن ينبت الفقه الإسلامي في الفراغ ، كما أنه لن تنبت البذور في الهواء !

إن العمل في الحقل « الفكري » للفقه الإسلامي عمل مريح ! لأنه لا خطر فيه ! ولكنه ليس عملاً للإسلام ، ولا هو من منهج هذا الدين ولا من طبيعته ! وخير للذين ينشدون الراحة والسلامة أن يشتغلوا بالأدب وبالفن أو بالتجارة ! أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عملاً للإسلام في هذه الفترة فأحسب ـ والله أعلم ـ أنه مضيعة للعمر وللأجر أيضاً !

إن دين الله يأبى أن يكون مجرد مطية ذلول ، ومجرد خادم مطيع ، لتلبية هذا المجتمع الجاهلي الآبق منه ، المتنكر له ، الشارد عنه .. الذي يسخر منه الحين بعد الحين باستفتائه في مشكلاته وحاجاته ، وهو غير خاضع لشريعته وسلطانه ..

إن فقه هذا الدين وأحكامه لا تنشأ في فراغ ، ولا تعمل في فراغ .. وإن المجتمع المسلم الخاضع لسلطان الله ابتداء هو الذي صنع هذا الفقه وليس الفقه هو الذي صنع ذلك المجتمع .. ولن تنعكس الآية أبداً .

إن خطوات النشأة الإسلامية ومراحلها هي دائماً واحدة ، والانتقال من الجاهلية إلى الإسلام لن يكون يوماً ما سهلاً ولا يسيراً . ولن يبدأ أبداً من صياغة الأحكام الفقهية في الفراغ ، لتكون معدة جاهزة يوم يقوم المجتمع الإسلامي والنظام الإسلامي . ولن يكون وجود هذه الأحكام المفصلة على « الجاهز » والناشئة في الفراغ هي نقطة البدء في التحول من الجاهلية إلى الإسلام . وليس الذي ينقص هذه المجتمعات الجاهلية لكي تتحول إلى الإسلام هو الأحكام الفقهية « الجاهزة » ! وليست الصعوبة في ذلك التحول ناشئة عن قصور أحكام الفقه الإسلامي الحاضرة عن ملاحقة حاجات المجتمعات المتطورة .. إلى آخر ما يخادع به بعضهم ، وينخدع به بعضهم الآخر !

كلا ! إن الذي يحول دون تحول هذه المجتمعات الجاهلية إلى النظام الإسلامي هو وجود الطواغيت التي تأبى أن تكون الحاكمية لله ، فتأبى أن تكون الربوبية في حياة البشر والألوهية في الأرض لله وحده . وتخرج بذلك من الإسلام خروجاً كاملاً . يعد الحكم عليه من المعلوم من الدين بالضرورة .. ثم هو بعد ذلك وجود جماهير من البشر تعبد أولئك الطواغيت من دون الله ـ أي تدين لها وتخضع وتتبع ـ فتجعلها بذلك أرباباً متفرقة معبودة مطاعة . وتخرج هذه الجماهير بهذه العبادة من التوحيد إلى الشرك .. فهذا هو أخص مدلولات الشرك في نظر الإسلام ..

وبهذا وذلك تقوم الجاهلية نظاماً في الأرض ، وتعتمد على ركائز من ضلال التصور بقدر ما تعتمد على ركائز من القوة المادية .

وصياغة أحكام الفقه لا تواجه هذه الجاهلية ـ إذن ـ بوسائل مكافئة . إنما الذي يواجهها دعوة إلى الدخول في الإسلام مرة أخرى ، وحركة تواجه الجاهلية بكل ركائزها ، ثم يكون ما يكون من شأن كل دعوة للإسلام في وجه الجاهلية . ثم يحكم الله بين من يسلمون لله وبين قومهم بالحق .. وعندئذ فقط يجيء دور أحكام الفقه ، التي تنشأ نشأة طبيعية في هذا الوسط الواقعي الحي ، وتواجه حاجات الحياة الواقعية المتجددة

نزول النص القرآني .. لا بد من هذا لإدراك وجهة النص وأبعاد مدلولاته ؛ ولرؤية حيويته وهو يعمل في وسط حي ؛ ويواجه حالة واقعة ، كما يواجه أحياء يتحركون معه أو ضده . وهذه الرؤية ضرورية لفقه أحكامه وتذوقها ؛ كما هي ضرورية للانتفاع بتوجيهاته كلما تكررت تلك الظروف والملابسات في فترة تاريخية تالية ، وعلى الأخص فيما يواجهنا اليوم ونحن نستأنف الدعوة الإسلامية .

نقول هذه المقالة ونحن على يقين أنه لن يرى هذه الرؤية اليوم إلا الذين يتحركون فعلاً بهذا الدين في مواجهة الجاهلية الحاضرة ؛ ومن ثم يواجهون أحوالاً وملابسات وظروفاً وأحداثاً كالتي كان يواجهها صاحب الدعوة الأولى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ والعصبة المسلمة معه .. من الإعراض والتولي عن هذا الدين في حقيقته الكبيرة الشاملة ، التي لا تتحقق إلا بالدينونة الكاملة لله وحده في كل شأن من شؤون الحياة الاعتقادية والأخلاقية والتعبدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وما يلقونه كذلك من الإيذاء والمطاردة والتعذيب والتقتيل كالذي كانت تلك العصبة المختارة الأولى تبتلى ـ في سبيل الله ـ به ..

إن هؤلاء الذين يتحركون بهذا الدين في مواجهة الجاهلية ؛ ويواجهون به ما كانت تواجهه الجماعة المسلمة الأولى .. هم وحدهم الذين يرون تلك الرؤية .. وهم وحدهم الذين يفقهون هذا القرآن ، ويدركون الأبعاد الحقيقية لمدلولات نصوصه . على النحو الذي أسلفنا .. وهم وحدهم الذين يملكون استنباط فقه الحركة الذي لا يغني عنه فقه الأوراق ، في مواجهة الحياة المتحركة التي لا تكف عن الحركة !

وبمناسبة هذه الإشارة إلى فقه الحركة نحب أن نقرر أن الفقه المطلوب استنباطه في هذه الفترة الحاضرة هو الفقه اللازم لحركة ناشئة في مواجهة الجاهلية الشاملة . حركة تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ؛ ومن الدينونة للعباد إلى الدينونة لرب العباد ؛ كما كانت الحركة الأولى ـ على عهد محمد صلى الله عليه وسلم ـ تواجه جاهلية العرب بمثل هذه المحاولة ؛ قبل أن تقوم الدولة في المدينة ؛ وقبل أن يكون للإسلام سلطان على أرض وعلى أمة من الناس .

نحن اليوم في شبه هذا الموقف لا في مثله ، وذلك لاختلاف بعض الظروف والملابسات الخارجية .. نحن نستهدف دعوة إلى الإسلام ناشئة في مواجهة جاهلية شاملة .. ولكن مع اختلاف في الملابسات والظروف والحاجات والمقتضيات الواقعية للحركة .. وهذا الاختلاف هو الذي يقتضي « اجتهاداً » جديداً في « فقه الحركة » يوائم بين السوابق التاريخية للحركة الإسلامية الأولى وبين طبيعة الفترة الحاضرة ومقتضياتها المتغيرة قليلاً أو كثيرا ..

هذا النوع من الفقه هو الذي تحتاج إليه الحركة الإسلامية الوليدة .. أما الفقه الخاص بأنظمة الدولة ، وشرائع المجتمع المنظم المستقر ، فهذا ليس أوانه ... إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم ، قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي !.. هذا النوع من الفقه يأتي في حينه ، وتفصل أحكامه على قد المجتمع المسلم حين يوجد ؛ ويواجه الظروف الواقعية التي تكون محيطة بذلك المجتمع يومذاك !

إن الفقه الإسلامي لا ينشأ في فراغ ولا تستنبت بذوره في الهواء !

* * *

ونعود إلى استكمال الحديث عن موضوعات السورة :

محور هذه السورة الأول : هو إبراز طبيعة المكذبين بهذا الدين ودوافعهم الأصيلة للتكذيب ، وتصوير المصير المخوف الذي ينتظر الكافرين المكذبين .. وحول هذا المحور يدور السياق في عدة جولات ، متنوعة

سيّد قطب



دار الشروق

المادي ، وأن تتمثل العقيدة والمنهج في تجمع انساني ٠ أي في مجتمع مسلم ٠

***

ان" العالم يعيش اليوم كله في « جاهلية » من ناحية الاصل الذي تنبثق منه مقومات الحياة وانظمتها ٠ جاهلية لا تخفف منها شيئا هذه التيسيرات المادية الهائلة ، وهذا الابداع المادي الفائق !

هذه الجاهلية تقوم على اساس الاعتداء على سلطان الله فى الارض وعلى أخص خصائص الالوهية ٠٠ وهى الحاكمية ٠٠ انها تسند الحاكمية الى البشر ، فتجعل بعضهم لبعض اربابا ، لا في الصورة البدائية الساذجة التي عرفتها الجاهلية الاولى ، ولكن في صورة ادعاء حق وضع التصورات والقيم ، والشرائع والقوانين ، والانظمة والاوضاع ، بمعزل عن منهج الله للحياة ، وفيما لم يأذن به الله ٠٠ فينشأ عن هذا الاعتداء على سلطان الله اعتداء على عباده ٠٠ وما مهانة « الانسان » عامة في الانظمة الجماعية ، وما ظلم « الافراد » والشعوب بسيطرة رأس المال والاستعمار في النظم « الرأسمالية » الا أثرا من آثار الاعتداء على سلطان الله ، وانكار الكرامة التي قررها الله للانسان !

وفي هذا يتفرد المنهج الاسلامي ٠٠ فالناس في كل نظام غير النظام الاسلامي ، يعبد بعضهم بعضا — في صورة من الصور — وفي المنهج الاسلامي وحده يتحرر الناس جميعا من عبادة بعضهم لبعض ، بعبادة الله وحده ، والتلقي من الله وحده ، والخضوع لله وحده ٠

وهذا هو مفترق الطريق ٠٠ وهذا كذلك هو التصور الجديد الذي نملك اعطاءه للبشرية — هو وسائر ما يترتب

وادرك في قرارة نفسه انه في حاجة الى التطهر مما وقع فيه ، وعاد يحاول من جديد ان يكون على وفق الهدي القرآني ٠

كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في اسلامه ، تنشأ عنها عزلة كاملة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية ، فهو قد انفصل نهائيا من بيئته الجاهلية واتصل نهائيا ببيئته الاسلامية ٠ حتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي ، فالعزلة الشعورية شيء والتعامل اليومي شيء آخر ٠

وكان هناك انخلاع من البيئة الجاهلية ، وعرفها وتصورها ، وعاداتها وروابطها ، ينشأ عن الانخلاع من عقيدة الشرك الى عقيدة التوحيد ، ومن تصور الجاهلية الى تصور الاسلام عن الحياة والوجود ٠ وينشأ من الانضمام الى التجمع الاسلامي الجديد ، بقيادته الجديدة ، ومنح هذا المجتمع وهذه القيادة كل ولائه وكل طاعته وكل تبعيته ٠

وكان هذا مفرق الطريق ، وكان بدء السير في الطريق الجديد ، السير الطليق مع التخفف من كل ضغط للتقاليد التي يتواضع عليها المجتمع الجاهلي ، ومن كل التصورات والقيم السائدة فيه ٠ ولم يكن هناك الا ما يلقاه المسلم من اذى وفتنة ، ولكنه هو في ذات نفسه قد عزم وانتهى ، ولم يعد لضغط التصور الجاهلي ، ولا لتقاليد المجتمع الجاهلي عليه من سبيل ٠

نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الاسلام أو اظلم ٠ كل ما حولنا جاهلية ٠٠ تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم ، موارد ثقافتهم ، فنونهم وآدابهم ، شرائعهم وقوانينهم ٠ حتى الكثير مما نحسبه ثقافة اسلامية ،

سيد قطب

معالم في الطريق

— ٦ —

ونتهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ... (آل عمران : ١١٠)

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » ... (سورة البقرة : ١٤٣) .

☆ ☆ ☆

ولكن الإسلام لا يملك أن يؤدى دوره إلا أن يتمثل فى مجتمع أى أن يتمثل فى أمة .. فالبشرية لا تستمع — وبخاصة فى هذا الزمان — إلى عقيدة مجردة ، لا ترى مصداقها الواقعى فى حياة مشهودة .. و«وجود» الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة .. فالأمة المسلمة ليست «أرضاً» كان يعيش فيها الإسلام . وليست «قوما» كان أجدادهم فى عصر من عصور التاريخ يعيشون بالنظام الإسلامى .. إنما « الأمة المسلمة » جماعة من البشر تنبثق حياتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وأنظمتهم وقيمهم وموازينهم كلها من المنهج الإسلامى .. وهذه الأمة — بهذه المواصفات ! — قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعاً .

ولا بد من «إعادة وجود» هذه «الأمة» لكى يؤدى الإسلام دوره المرتقب فى قيادة البشرية مرة أخرى ..

لا بد من « بعث » لتلك الأمة التى واراها ركام الأجيال

- ١٢٠ -

إلا إذا بلغ درجة من القوة يواجه بها ضغط المجتمع الجاهلى القديم قوة الاعتقاد والتصور . وقوة الخلق والبناء النفسى . وقوة التنظيم والبناء الجماعى . وسائر أنواع القوة التى يواجه بها ضغط المجتمع الجاهلى ويتغلب عليه . أو على الأقل يصمد له !

* * *

ولكن ما هو « المجتمع الجاهلى » ؟ وما هو منهج الإسلام فى مواجهته ؟

إن المجتمع الجاهلى هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم ! وإذا أردنا التحديد الموضوعى قلنا : إنه هو كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده.. متمثلة هذه العبودية فى التصور الاعتقادى ، وفى الشعائر التعبدية ، وفى الشرائع القانونية . . .

وبهذا التعريف الموضوعى تدخل فى إطار « المجتمع الجاهلى » جميع المجتمعات القائمة اليوم فى الأرض فعلا ! !

تدخل فيه المجتمعات الشيوعية .. أولا : بإلحادها فى الله - سبحانه - وبإنكار وجوده أصلا ؛ ورجع الفاعلية فى هذا الوجود إلى « المادة » أو « الطبيعة » . ورجع الفاعلية فى حياة الإنسان وتاريخه إلى « الاقتصاد » أو « أدوات الإنتاج » . وثانيا : بإقامة نظام ، العبودية فيه للحزب -

— ١٥٧ —

الأرضى ، ومن خارج المحيط البشرى . . وهذا هو المميز الأول لطبيعة المجتمع الإسلامى وتركيبه .

إنه ينطلق من عنصر خارج عن محيط الإنسان وعن محيط الكون المادى .

وبهذا العنصر القدرى الغيبى الذى لم يكن أحد من البشر يتوقعه أو يحسب حسابه ؛ ودون أن يكون للإنسان يد فيه — فى ابتداء الأمر — تبدأ أولى خطوات الحركة فى قيام المجتمع الإسلامى . ويبدأ معها عمل « الإنسان » أيضاً . . إنسان يؤمن بهذه العقيدة ، الآتية له من ذلك المصدر الغيبى، الجارية بقدر الله وحده . وحين يؤمن هذا الإنسان الواحد بهذه العقيدة يبدأ وجود المجتمع الإسلامى (حكماً) . . إن الإنسان الواحد لن يتلقى هذه العقيدة وينطوى على نفسه . . إنه سينطلق بها . .هذه طبيعتها . .طبيعة الحركة الحية . . إن القوة العليا التى دفعت بها إلى هذا القلب تعلم أنها ستتجاوزه حتماً ! . . إن الدفعة الحية التى وصلت بها هذه العقيدة إلى هذا القلب ستمضى فى طريقها قدماً .

وحين يبلغ المؤمنون بهذه العقيدة ثلاثة نفر . فان هذه العقيدة ذاتها تقول لهم : أنتم الآن مجتمع ، مجتمع إسلامى مستقل ، منفصل عن المجتمع الجاهلى الذى لا يدين لهذه العقيدة ، ولا تسود فيه قيمها

— ١٥٨ —

لأساسية ـ القيم التى أسلفنا الإشارة إليها ـ وهنا يكون المجتمع لاسلامى قد وجد (فعلا) !

والثلاثة يصبحون عشرة . والعشرة يصبحون مئة . والمئة يصبحون ألفاً . والألف يصبحون اثنى عشر ألفاً . . ويبرز ويتقرر سوجود المجتمع الإسلامى !

وفى الطريق تكون المعركة قد قامت بين المجتمع الوليد ، الذى نفصل بعقيدته وتصوره ، وانفصل بقيمه واعتباراته ، وانفصل بوجوده وكينونته ،عن المجتمع الجاهلى ـ الذى أخذ منه أفراده ـ وتكون الحركة من نقطة الانطلاق إلى نقطة الوجود البارز المستقل قد ميزت كل فرد من أفراد هذا المجتمع ، وأعطته وزنه ومكانه فى هذا لمجتمع ـ حسب الميزان والاعتبار الإسلامى ـ ويكون وزنه هذ معترفا له به من المجتمع دون أن يزكى نفسه أو يعلن عنه ؛ بل إن عقيدته وقيمه السائدة فى نفسه وفى مجتمعه لتضغط عليه يومئذ ليوارى نفسه عن الأنظار المتطلعة إليه فى البيئة !

ولكن « الحركة » التى هى طابع العقيدة الإسلامية ، وطابع هذ المجتمع الذى انبثق منها ، لا تدع أحداً يتوارى ! إن كل فرد من أفراد هذا المجتمع لا بد أن يتحرك ! الحركة فى عقيدته والحركة فى دمه

— ١٩٨ —

كذلك لا ينبغى أن تقوم فى نفوس أصحاب الدعوة إلى الله تلك الشكوك السطحية فى حقيقة الجاهلية وحقيقة الإسلام ، وفى صفة دار الحرب ودار الإسلام .. فمن هنا يؤتى الكثير منهم فى تصوراته ويقينه .. إنه لا إسلام فى أرض لا يحكمها الإسلام ، ولا تقوم فيها شريعته. ولا دار إسلام إلا التي يهيمن عليها الإسلام بمنهجه وقانونه وليس وراء الايمان إلا الكفر ، وليس دون الإسلام إلا الجاهلية وليس بعد الحق إلا الضلال ..

هذا الذى يبدو سهلا فى ظاهره ، ليس مغريًا فى طبيعته ، فضلا على أنه ليس هو الحقيقة . . فالحقيقة أن الإسلام يبدل التصورات والمشاعر ، كما يبدل النظم والأوضاع ، كما يبدل الشرائع والقوانين تبديلا أساسيًا لا يمت بصلة إلى قاعدة الحياة الجاهلية ، التى تحياها البشرية . . ويكفى أنه ينقلهم جملة وتفصيلا من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . .

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . .

« ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » . .

والمسألة فى حقيقتها هى مسألة كفر وإيمان . مسألة شرك وتوحيد . مسألة جاهلية وإسلام . وهذا ما ينبغى أن يكون واضحًا . . إن الناس ليسوا مسلمين — كما يدعون — وهم يحيون حياة الجاهلية . وإذا كان فيهم من يحب أن يخدع نفسه أو يخدع الآخرين فيعتقد أن الإسلام يمكن أن يستقيم مع هذه الجاهلية فله ذلك . ولكن انخداعه أو خداعه لا يغير من حقيقة الواقع شيئًا . . ليس هذا إسلامًا ، وليس هؤلاء مسلمين . والدعوة اليوم إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهليين إلى الإسلام ، ولتجعل منهم مسلمين من جديد .

ونحن لا ندعو الناس إلى الإسلام لننال منهم أجرا . ولا نريد

صحيح أبي عبد الله البخاري

شيخ المحدثين الإمام محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة
ابن برْدِزْبه البخاري الجُعْفي
(١٩٤ - ٢٥٦ هـ)

وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟

تحقيق وتعليق

محمود النّواوي
المفتش بالأزهر الشريف والمعاهد الدينية

محمّد أبو الفضل ابراهيم
مدير الشئون المكتبية بدار الكتب

محمّد خفاجي
الأستاذ في كلية اللغة العربية بالأزهر

كتب مقدمته العلمية
عبد الغني عبد الخالق

رقّم كتبه وأحاديثه وثبّت التصويبات
عبد الشكور عبد الفتاح فدا

ثبّت صفحات وأجزاء فتح الباري على الفهارس
صالح عبد الرحمن الراشد

الجُزء الأوّل

تمتاز هذه الطبعة عن غيرها بحلّ الرموز ، وترقيم الكتب والأحاديث ، وتثبيت أرقام الصفحات
والأجزاء لفتح الباري على فهارس الموضوعات والأحاديث

— ٢٢ —

عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا] خَضِرًا ، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِى قَصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى كِتَابِهِ . ٥

٧٥/١٧ ﴿ بَابُ ١٧ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ ﴾ ، حدثنا أَبُو مَعْمَرٍ قال حدثنا عَبْدُ الْوَارِثِ قالَ حدثنا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : ضَمَّنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ . ٥ ﴿ بَابُ ١٨ مَتَى يَصِحُّ سَمَاعُ

٧٦/١٨ الصَّغِيرِ ﴾ حدثنا إِسْمٰعِيلُ بْنُ أَبِى أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنِى مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الاحْتِلَامَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّى بِمِنًى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ ، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَىْ بَعْضِ الصَّفِّ وَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ ، فَدَخَلْتُ فِى الصَّفِّ فَلَمْ يُنْكِرْ ذٰلِكَ

٧٧/١٩ عَلَىَّ . ٥ حدثنى مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ : حدثنا أَبُو مُسْهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنِى الزُّبَيْدِىُّ عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ قال : عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا (١) فِى وَجْهِى وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ . ﴿ بَابُ ١٩ الْخُرُوجِ فِى طَلَبِ الْعِلْمِ ﴾ ، وَرَحَلَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِى حَدِيثٍ وَاحِدٍ .

٧٨/٢٠ حدثنا أَبُو الْقَاسِمِ خَالِدُ بْنُ خَلِيٍّ ، قَالَ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ قال : قالَ الْأَوْزَاعِىُّ أَخْبَرَنَا الزُّهْرِىُّ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ تَمَارَى (٢) هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِىُّ فِى صَاحِبِ مُوسٰى فَمَرَّ بِهِمَا أُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : إِنِّى تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِى هٰذَا فِى صَاحِبِ مُوسٰى الَّذِى سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ ، فَقَالَ أُبَىٌّ نَعَمْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ يَقُولُ بَيْنَمَا مُوسَى فِى مَلَإٍ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : أَتَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ ؟ قالَ مُوسٰى : لَا ؛ فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسٰى بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ فَسَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ فَجَعَلَ اللهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً ، وَقِيلَ لَهُ : إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ ، فَكَانَ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِى الْبَحْرِ ، فَقَالَ فَتَى مُوسٰى لِمُوسٰى [أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ] ، قَالَ مُوسٰى [ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِى فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا] فَوَجَدَا خَضِرًا ، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَاقَصَّ اللهُ فِى كِتَابِهِ . ٥ ﴿ بَابُ ٢٠ فَضْلِ مَنْ

٧٩/٢١ عَلِمَ وَعَلَّمَ ﴾ ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قال : حدثنا حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَبِى مُوسٰى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَثَلُ مَا بَعَثَنِى اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ (٣) قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ (٤) وَالْعُشْبَ (٥) الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ (٦) أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِىَ قِيعَانٌ (٧) لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذٰلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِى دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِى اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذٰلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى

---

(١) المج: إرسال من الفم مع نفخ (٢) تمارى : تجادل (٣) أرض طيبة (٤) الكلأ : النبات رطباً ويابساً (٥) العشب : الرطب من الكلأ (٦) جمع جديب أو جمع جدب (٧) القاع الأرض المستوية الملساء .



لابن بطّال

أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك

ضبط نصّه وعلّق عليه

أبو تميم ياسر بن إبراهيم

الجزء الأوّل

مكتبة الرشد

الرياض

وفيه : جواز التماري في العلم إذا كان كل واحدٍ يطلب الحقيقة ، ولم يكن متعنتا .

وفيه : الرجوع إلى قول أهل العلم عند التنازع .

وفيه : أنه يجب على العالم الرغبة في التزيد من العلم ، والحرص عليه، ولا يقنع بما عنده ، كما فعل موسى ولم يكتف بعلمه .

وفيه : أنه يجب على حامل العلم لزوم التواضع في علمه، وجميع أحواله ؛ لأن الله – تعالى ـ عتب على موسى حين لم يرد العلم إليه، وأراه من هو أعلم منه .

وفيه : حمل الزاد وإعداده في السفر بخلاف قول الصوفية .

* * *

باب : قول النبي – عليه السلام – : « اللهم علمه الكتاب »

فيه : ابن عباس: « ضمني رسول الله وقال : اللهم علمه الكتاب » .

والكتاب هاهنا القرآن عند أهل التأويل، قالوا: كل موضع ذكر الله فيه الكتاب فالمراد به القرآن .

وفيه : بركة دعوة النبي – عليه السلام – ؛ لأن ابن عباس كان من الأخيار الراسخين في علم القرآن والسنة ، أجيبت فيه الدعوة .

وفيه : الحض على تعلم القرآن والدعاء إلى الله في ذلك .

وروى البخاري هذا الحديث في فضائل الصحابة . وقال فيه : «اللهم علمه الحكمة » ، ووقع في كتاب الوضوء : « اللهم فقهه في الدين » . وتأوَّل جماعة من الصحابة والتابعين في قوله تعالى :

﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا ﴾ (١) أنها القرآن .

/ وتأولوا في قوله : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ (٢) أنها السُّنة [١/ق٢٤-أ] التي سنها الرسول بوحي من الله . وكلا التأويلين صحيح ، وذلك أن القرآن حكمة أحكم الله فيه لعباده حلاله وحرامه ، وبَيَّن لهم فيه أمره ونهيه ، فهو كما وصفه تعالى في قوله : ﴿ **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة** ﴾ (٣) وكذلك سنن رسول الله ﷺ حكمة ، فصل بها بين الحق والباطل ، وبَيَّن لهم مجمل القرآن ، ومعاني التنزيل ، والفقه في الدين ، فهو كتاب الله وسنة نبيه - عليه السلام - فالمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ .

* * *

باب : متى يصح سماع الصغير ؟

فيه : ابن عباس قال : « أقبلت راكبًا على حمار أتان - وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام - ورسول الله يُصلي بمنى إلى غيرِ جدار ، فمررتُ بين يدي بعض (الصفوف) (٤) وأرسلتُ الأتان ترتع ، ودخلت في الصف، فلم ينكر ذلك عليَّ » .

وفيه : محمود بن الربيع قال : « عقلت من النبي ﷺ مَجَّة مَجّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلوٍ » .

قال صاحب العين : مَجَّ الشَرَاب من فيه : رمى به .

---

(١) البقرة : ٢٦٩ .
(٢) آل عمران : ١٦٤ ، الجمعة : ٢ .
(٣) القمر : ٤ ، ٥ .
(٤) في « هـ ، ن » : الصفّ .

المستدرك على الصحيحين

للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري

وبذيله

التلخيص للحافظ الذهبي

رحمهما الله

طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة

بإشراف

د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي

الجزء الثاني

دار المعرفة
بيروت - لبنان

﴿اخبرنا﴾ احمد بن سليمان الموصلي ثنا علي بن حرب ثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاؤس قال قال ابن عباس رضي الله عنهما انه ليس بالكفر الذي يذهبون اليه انه ليس كفرا ينقل عن الملة ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون كفر دون كفر *هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه *

﴿اخبرنا﴾ ابو عمرو عثمان بن احمد بن السماك ببغداد ثنا عبدالملك بن محمد الرقاشي ثنا وهب بن جرير وسعيد بن عامر (قالا) ثنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت عياض الاشعري يقول لما نزلت فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم قومك يا اباموسى واومى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده الى ابي موسى الاشعري *هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه *

﴿حدثنا﴾ عبدالصمد بن علي البزار ببغداد انبأ احمد بن محمد بن عيسي القاضي ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحارث ابن عبيد ثنا ابو عمران الجوني عن عبدالله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فاخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله *هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه *

﴿حدثنا﴾ ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا يحيى بن آدم ثنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزوجل فاكتبنا مع الشاهدين قال مع امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وامته شهدوا له بالبلاغ وشهدوا للرسل انهم قد بلغوا *هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه *

﴿اخبرنا﴾ ابو زكريا العنبري ثنا محمد بن عبدالسلام ثنا اسحاق بن ابراهيم انبأ جرير عن منصور عن ابي الضحى عن مسروق قال اتي عبدالله رضي الله عنه بضرع فقال للقوم ادنوا فاخذوا يطعمونه وكان رجل منهم في ناحية فقال عبدالله ادن فقال اني لا اريده فقال لم قال لاني حرمت الضرع فقال عبدالله هذا من خطوات الشيطان فقال عبدالله يا ايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم ولاتعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

﴿(فماك نزول آيه والله يعصمك من الناس﴾

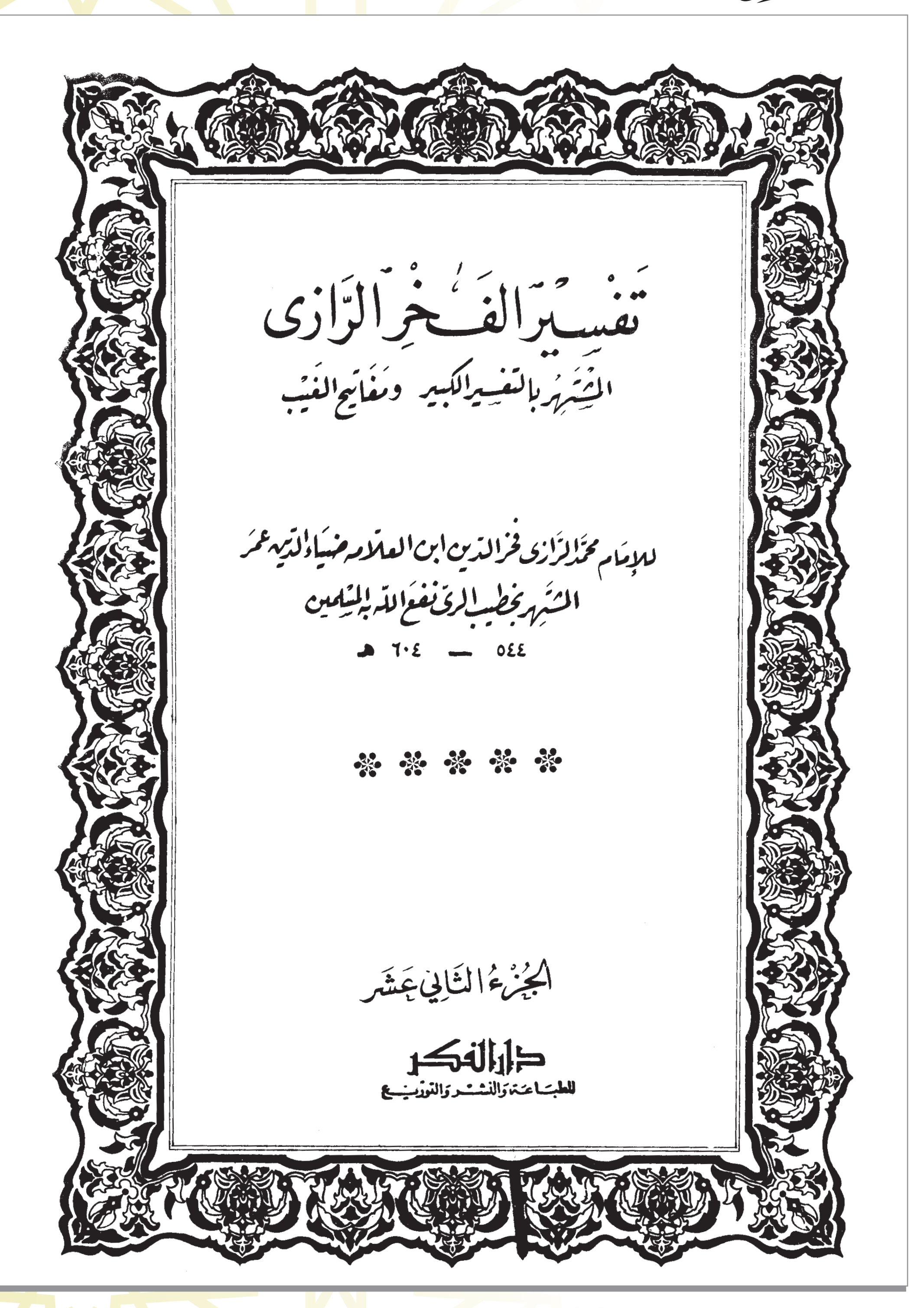
﴿ابن عيينة﴾ عن هشام بن حجير عن طاؤس قال قال ابن عباس انه ليس بالكفر الذي يذهبون اليه انه ليس كفرا ينقل عن الملة ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون كفر دون كفر *صحيح *

﴿شعبة﴾ عن سماك بن حرب سمعت عياضا الاشعري يقول لما نزلت فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم قومك يا ابا موسى (م) *

﴿الحارث﴾ بن عبيد ثنا الجريري عن عبدالله بن شقيق عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرس حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رأسه من القبة فقال لهم انصرفوا فقد عصمني الله *صحيح *

﴿اسرائيل﴾ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فاكتبنا مع الشاهدين قال مع امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فامته شهدوا له بالبلاغ وشهدوا للرسل انهم قد بلغوا *صحيح *

﴿منصور﴾ عن ابي الضحى عن مسروق قال اتي عبدالله بضرع فقال للقوم ادنوا فاخذوا يطعمونه وكان رجل منهم في ناحية فقال عبد الله ادن فقال اني لا اريده فقال لم قال لاني حرمت الضرع فقال عبد الله هذا



تفسير الفخر الرازي

المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين
٥٤٤ — ٦٠٤ هـ

* * * * *

الجزء الثاني عشر

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

٦ قوله تعالى «ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون» الآية سورة المائدة

من غير مبالاة ، خاطب اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ ، ومنعهم من التحريف والتغيير .

واعلم أن إقدام القوم على التحريف لا بد وأن يكون لخوف ورهبة ، أو لطمع ورغبة ، ولما كان الخوف أقوى تأثيرا من الطمع قدم تعالى ذكره فقال (فلا تخشوا الناس واخشون) والمعنى إياكم وأن تحرفوا كتابي للخوف من الناس والملوك والأشراف ، فتسقطوا عنهم الحدود الواجبة عليهم وتستخرجوا الحيل في سقوط تكاليف الله تعالى عنهم ، فلا تكونوا خائفين من الناس ، بل كونوا خائفين مني ومن عقابي .

ولما ذكر أمر الرهبة اتبعه بأمر الرغبة ، فقال ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ﴾ أي كما نهيتكم عن تغيير أحكامي لأجل الخوف والرهبة ، فكذلك أنهاكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة . فان كل متاع الدنيا قليل ، والرشوة التي تأخذونها منهم في غاية القلة ، والرشوة لكونها سحتاً تكون قليلة البركة والبقاء والمنفعة ، فكذلك المال الذي تكتسبونه قليل من قليل ، ثم انتم تضيعون بسببه الدين والثواب المؤبد ، والسعادات التي لا نهاية لها .

ويحتمل ايضا أن يكون اقدامهم على التحريف والتبديل لمجموع الأمرين ، للخوف من الرؤساء ولأخذ الرشوة من العامة ، ولما منعهم الله من الأمرين ونبه على ما في كل واحد منهما من الدناءة والسقوط كان ذلك برهانا قاطعا في المنع من التحريف والتبديل .

ثم إنه أتبع هذا البرهان الباهر بالوعيد الشديد .

فقال ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾

وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ المقصود من هذا الكلام تهديد اليهود في اقدامهم على تحريف حكم الله تعالى في حد الزاني المحصن ، يعني أنهم لما أنكروا حكم الله المنصوص عليه في التوراة وقالوا : إنه غير واجب ، فهم كافرون على الاطلاق ، لا يستحقون اسم الايمان لا بموسى والتوراة ولا بمحمد والقرآن .

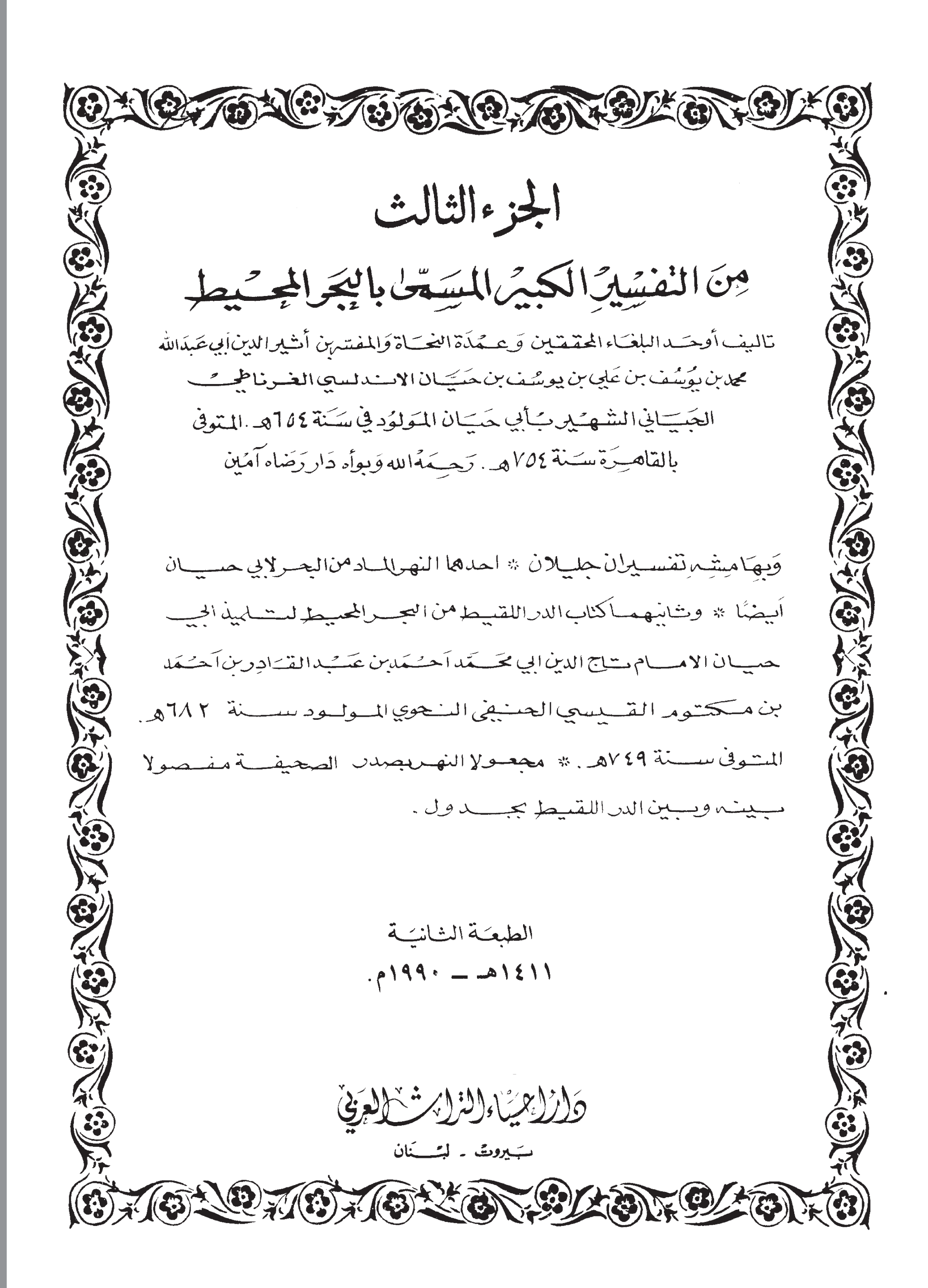
﴿ المسألة الثانية ﴾ قالت الخوارج : كل من عصى الله فهو كافر . وقال جمهور الأئمة : ليس الأمر كذلك ، أما الخوارج فقد احتجوا بهذه الآية وقالوا : إنها نص في أن كل من حكم

قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس» الآية سورة المائدة ٧

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ

بغير ما أنزل الله فهو كافر ، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله ، فوجب أن يكون كافراً .

وذكر المتكلمون والمفسرون أجوبة عن هذه الشبهة : الأول : أن هذه الآية نزلت في اليهود فتكون مختصة بهم ، وهذا ضعيف لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومنهم من حاول دفع هذا السؤال فقال : المراد ومن لم يحكم من هؤلاء الذين سبق ذكرهم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، وهذا أيضا ضعيف لأن قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) كلام أدخل فيه كلمة « من » في معرض الشرط ، فيكون للعموم . وقول من يقول : المراد ومن لم يحكم بما أنزل الله من الذين سبق ذكرهم فهو زيادة في النص وذلك غير جائز . الثاني : قال عطاء : هو كفر دون كفر . وقال طاوس : ليس بكفر ينقل عن الملة كمن يكفر بالله واليوم الآخر ، فكأنهم حملوا الآية على كفر النعمة لا على كفر الدين ، وهو أيضا ضعيف ، لأن لفظ الكفر إذا أطلق انصرف الى الكفر في الدين . والثالث : قال ابن الانباري : يجوز أن يكون المعنى : ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلا يضاهي افعال الكفار ، ويشبه من أجل ذلك الكافرين ، وهذا ضعيف أيضا لأنه عدول عن الظاهر . والرابع : قال عبد العزيز بن يحيى الكناني : قوله (بما أنزل الله) صيغة عموم ، فقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) معناه من أتى بضد حكم الله تعالى في كل ما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ، وهذا حق لأن الكافر هو الذي أتى بضد حكم الله تعالى في كل ما أنزل الله ، أما الفاسق فانه لم يأت بضد حكم الله الا في القليل ، وهو العمل ، أما في الاعتقاد والاقرار فهو موافق ، وهذا أيضا ضعيف لأنه لو كانت هذه الآية وعيدا مخصوصا بمن خالف حكم الله تعالى في كل ما أنزل الله تعالى لم يتناول هذا الوعيد اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله في الرجم ، وأجمع المفسرون على أن هذا الوعيد يتناول اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله تعالى في واقعة الرجم ، فيدل على سقوط هذا الجواب ، والخامس : قال عكرمة : قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) انما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه ، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه حكم الله ، الا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما انزل الله تعالى ، ولكنه تارك له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية ، وهذا هو الجواب الصحيح والله أعلم .



الجزء الثالث

من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط

تاليف أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان المولود في سنة ٦٥٤هـ. المتوفى بالقاهرة سنة ٧٥٤هـ. رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسيران جليلان * احدهما النهر الماد من البحر لابي حيان ايضا * وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ ابي حيان الامام تاج الدين ابي محمد احمد بن عبد القادر بن احمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢هـ. المتوفى سنة ٧٤٩هـ. * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول.

الطبعة الثانية
١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.

دار إحياء التراث العربي
بيروت ـ لبنان

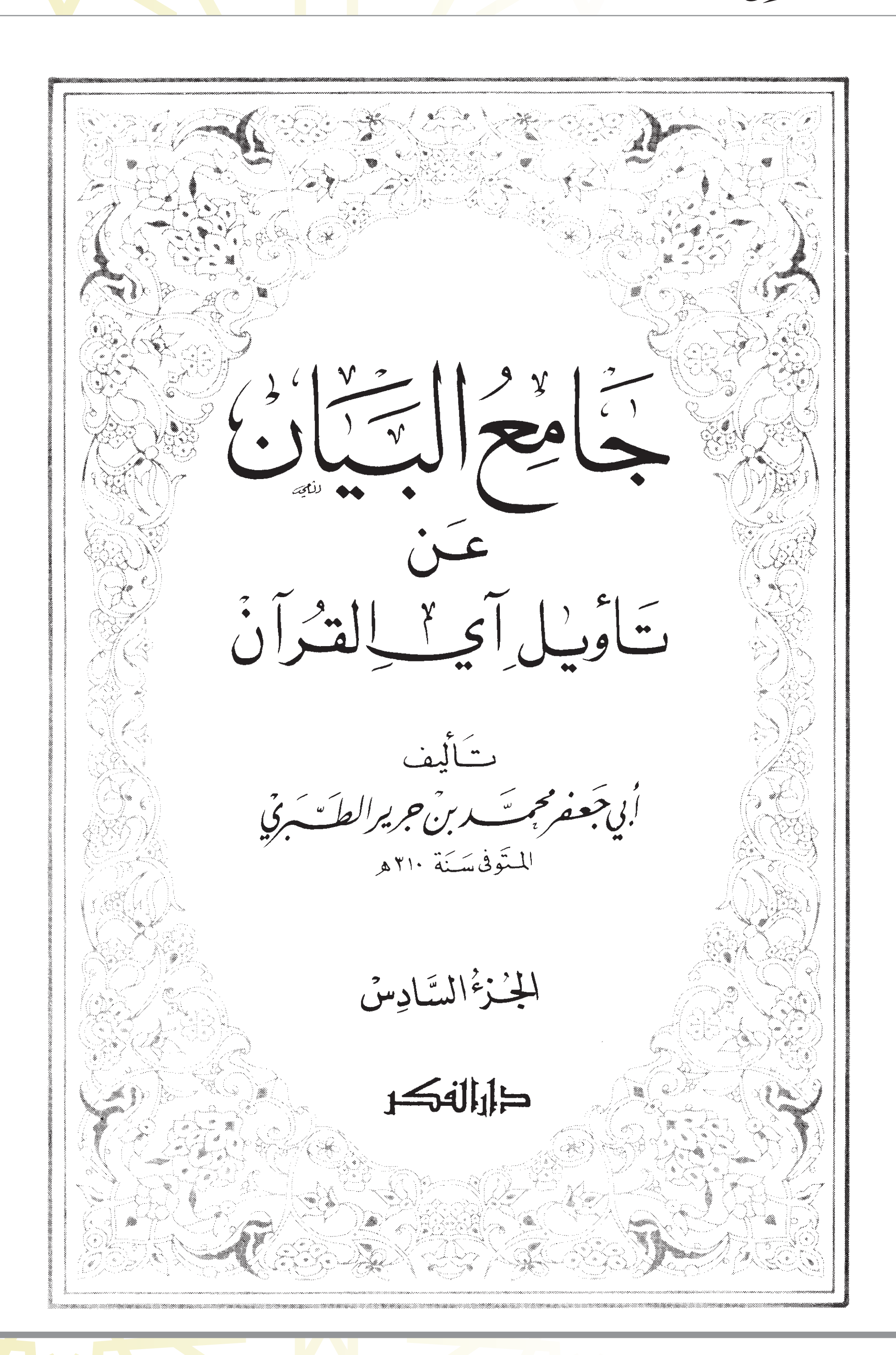
(٤٩٢)

بقوله يحكم واستفعل هنا للطلب والمعنى بسبب ما استحفظوا والضمير فى استحفظوا عائد على النبيين والربانيين والاحبار أى بسبب ماطلب الله منهم حفظهم لكتاب الله وهو التوراة وكلفهم حفظها وأخذ عهده عليهم فى العمل بها والقول بها وقد أخذ الله على العلماء حفظ الكتاب من وجهين أحدهما حفظه فى صدورهم ودرسه بألسنتهم والثانى حفظه بالعمل بأحكامه واتباع شرائعه وهؤلاء ضيعوا ما استحفظوا حتى تبدلت التوراة وفى بناء الفعل للمفعول وكون الفعل للطلب مايدل على أنه تعالى لم يتكفل بحفظ التوراة بل طلب منهم حفظها وكلفهم بذلك فغيروا وبدلوا وخالفوا أحكام الله بخلاف كتابنا فان الله تعالى قد تكفل بحفظه فلا يمكن أن يقع فيه تبديل ولا تغيير قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقيل الضمير فى استحفظوا عائد على الربانيين والاحبار فقط والذين استحفظهم التوراة هم الانبياء ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ الظاهر أن الضمير عائد على كتاب الله أى كانوا عليه رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبى للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لايتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام أنوفهم وإبائهم عليهم ما اشتهوه من الجلد * وقيل الهاء تعود على الحكم أى وكانوا شهداء على الحكم * وقيل عائد على الرسول أى وكانوا شهداء على أنه نبى مرسل ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ﴾ هذا نهى للحكام عن خشيتهم غير الله فى حكوماتهم واذهابهم فيها وامضائها على خلاف ما أمروا به من العدل بخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من الغرماء والاصدقاء ولا تستعطوا بآيات الله ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة فى الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا وهذا نهى عن جميع المكاسب الخبيثة بالعلم والتحيل للدنيا بالدين * وروى أبو صالح عن ابن عباس أن معناه لاتخشوا الناس فى اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون فى كتمان ذلك ولما كان الاقدام على تغيير أحكام الله سببه شيآن الخوف والرغبة وكان الخوف أقوى تأثيرا من الرغبة قدم النهى عن الخوف على النهى عن الرغبة والطمع والظاهر أن هذا الخطاب لليهود على سبيل الحكاية والقول لعلماء بنى اسرائيل * وقال مقاتل الخطاب ليهود المدينة قيل لهم لاتخشوا يهود خيبر أن تخبروهم بالرجم واخشونى فى كتمانه انتهى وهذا وان كان خطابا للعلماء بنى اسرائيل فانه يتناول علماء هذه الامة * وقال ابن جريج هو خطاب لهذه الامة أى لاتخشوا الناس كما خشيت اليهود الناس فلم يقولوا الحق ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ظاهر هذا العموم فيشمل هذه الأمة وغيرهم ممن كان قبلهم وان كان الظاهر انه فى سياق خطاب اليهود والى انها عامة فى اليهود وغيرهم ذهب ابن مسعود وابراهيم وعطاء وجماعة ولكن كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق يعنى ان كفر المسلم ليس مثل كفر الكافر وكذلك ظلمه وفسقه لايخرجه ذلك عن الملة قاله ابن عباس وطاووس * وقال أبو مجلز هى مخصوصة باليهود والنصارى وأهل الشرك وفيهم نزلت وبه قال أبو صالح قال ليس فى الاسلام منها شئ * وروى فى هذا حديث عن البراء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الثلاثة فى الكافرين * وقال عكرمة والضحاك هى فى أهل الكتاب وقاله عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وذكر أبو عبيدة هذه الأقوال فقال ان بشرا من الناس يتأولون الآيات على مالم تنزل عليه وما أنزلت هذه الآيات الا فى حيين من يهود قريظة والنضير وذكر حكاية القتل بينهم * وقال الحسن نزلت فى اليهود

والقول بها واستحفظوا مبنى للمفعول حذف الفاعل وهو الله والمعنى استحفظهم الله أى طلب حفظهم له ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ الظاهر أن الضمير عائد على كتاب الله أى كانوا عليه رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة لايتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام أنوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾ الآية الظاهر ان هذا الخطاب لليهود على سبيل الحكاية والقول لعلماء بنى اسرائيل ويشمل من كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من علماء اليهود وفى الكلام التفات خرج من ضمير الغيبة وهو ضمير الرفع فى يحكمون الى ضمير الخطاب فى قوله فلا تخشوا ﴿ ولا تشتروا ﴾ هذا نهى للحكام عن أخذ الرشا وتبديل أحكام الله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ ظاهره العموم فيشمل هذه الامة وغيرهم ممن كان قبلهم

﴿وكتبنا عليهم فيها﴾ الآية مناسبتها لما قبلها انه تعالى بين في التوراة ان حكم الزاني المحصن الرجم وغيره اليهود وبين هنا أن في التوراة أن النفس بالنفس وغيره اليهود أيضا ففضلوا بني النضير على بني قريظة وخصوا ايجاب القود على بني قريظة دون بني النضير ومعنى وكتبنا فرضنا وقيل قلنا والكتابة بمعنى القول ويجوز ان يراد الكتابة حقيقة وهي الكتابة في الألواح لأن التوراة نزلت مكتوبة في الألواح والضمير في فيها عائد على (٤٩٣) التوراة وفي عليهم على الذين هادوا وقوله بالنفس جار ومجرور في موضع خبر ان فيتعلق بمحذوف والأصل فيه ان يكون العامل لفظ كائن أو مستقر والباء في بالنفس للمقابلة فيقدر ما هو قريب من الاستقرار وهو تقديرهم مأخوذة بالنفس والمعنى انه إذا قتلت نفس نفسا قتلت بها والمعاطيف على هذا التقدير أي والعين مأخوذة بالعين أي من فقأ عينا فقئت عينه ومن جدع انفا جدع أنفه ومن صلم أذنا صلمت أذنه ومن كسر سنا كسرت سنه وقرئ بنصب والعين الى قوله والجروح مراعاة لاسم ان وقرئ بالرفع قطعا عن اسم ان وارتفعت الاسماء بالابتداء وخبرها في الجار والمجرور كما قدرناه وخبر والجروح قوله قصاص والظاهر في قوله النفس بالنفس العموم فيخرج منه ما يخرج منه بالدليل ويبقى الباقي على عمومه والظاهر في قوله والعين بالعين العموم فتفقأ عين الأعور بعين من كان ذا عينين وبه قال علي وأبو حنيفة والشافعي ولهذه الجنايات أحكام ذكرت في كتب الفقه ﴿والجروح قصاص﴾ أي ذات قصاص ولفظ الجروح عام والمراد به الخصوص وهو ما يمكن فيه القصاص وتعرف المماثلة فلا يخاف منها على النفس فان خيف كالمأمومة وكسر الفخذ وغير ذلك فلا قصاص فيها ومدلول والجروح قصاص يقتضي أن يكون الجرح بمثله فان لم يكن بمثله فلا قصاص

وهي علينا واجبة * وقيل لحذيفة أنزلت هذه الآية في بني اسرائيل فقال نعم الاخوة لكم بنو اسرائيل أن كانت لكم كل حلوة ولهم كل مرة لتسلكن طريقهم قدّ الشراك وعن ابن عباس واختاره ابن جرير ان الكافرين والظالمين والفاسقين أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر به ظالم فاسق وعن الشعبي الكافرون في أهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكأنه خصص كل عام منها بما تلاه اذ قبل الأولى فان جاؤك فاحكم بينهم وفان حكمت فاحكم وكيف يحكمونك ويحكم بها النبيون وقبل الثانية وكتبنا عليهم فيها وقبل الثالثة وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه الآية * وقال الزمخشري ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصفهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهزاء والاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها انتهى * وقال السدي من خالف حكم الله وتركه عامدا وتجاوزه وهو يعلم فهو من الكافرين حقا ويحمل هذا على الجحود فهو الكفر ضد الايمان كما قال ابن عباس واحتجت الخوارج بهذه الآية على ان كل من عصى الله تعالى فهو كافر وقالوا هي نص في كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله فوجب أن يكون كافرا وأجيبوا بانها نزلت في اليهود فتكون مختصة بهم وضعف بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومنهم من قال تقديره ومن لم يحكم بما أنزل الله من هؤلاء الذين سبق ذكرهم قبل وهذا ضعيف لان من شرط وهي عام وزيادة ما قدر زيادة في النقص وهو غير جائز * وقيل المراد كفر النعمة وضعف بان الكفر اذا أطلق انصرف الى الكفر في الدين * وقال ابن الانباري فعل فعلا يضاهي أفعال الكفار وضعف بانه عدول عن الظاهر * وقال عبد العزيز بن يحيي الكناني ما أنزل صيغة عموم فالمعنى من أتى بضد حكم الله في كل ما أنزل الله والفاسق لم يأت بضد حكم الله الا في القليل وهو العمل أما في الاعتقاد والاقرار فهو موافق وضعف بانه لو كان كذلك لم يتناول هذا الوعيد اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله في الرجم وأجمع المفسرون على ان هذا الوعيد يتناول اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله في واقعة الرجم فدل على سقوط هذا * وقال عكرمة انما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه أما من عرف انه حكم الله وأقر بلسانه أنه حكم الله الا انه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله لكنه تارك له فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى بين في التوراة أن حكم الزاني المحصن الرجم وغيره اليهود وبين هنا ان في التوراة أن النفس بالنفس وغيره اليهود أيضا ففضلوا بني النضير على بني قريظة وخصوا ايجاب القود على بني قريظة دون بني النضير ومعنى وكتبنا فرضنا * وقيل قلنا والكتابة بمعنى القول


جَامِعُ البَيَانِ
عَن
تَأوِيلِ آيِ القُرآنِ
تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ
الجزء السادس
دار الفكر

حدثنا القاسم ، قال : ثنا سُنيد بن داود ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : والربانيون والأحبار كلهم يحكم بما فيها من الحقّ .

حدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد : الربانيون: الولاة ، والأحبار: العلماء .

وأما قوله (بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللهِ) فإن معناه : يحكم النبيون الذين أسلموا بحكم التوراة والربانيون والأحبار : يعنى العلماء بما استودعوا علمه من كتاب الله الذى هو التوراة ، والباء فى قوله (بِما اسْتُحْفِظُوا) من صلة الأحبار .

وأما قوله (وكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ) فإنه يعنى أن الربانيين والأحبار بما استودعوا من كتاب الله يحكمون بالتوراة مع النبيين الذين أسلموا للذين هادوا ، وكانوا على حكم النبيين الذين أسلموا للذين هادوا شهداء أنهم قضوا عليهم بكتاب الله الذى أنزله على نبيه موسى وقضائه عليهم .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ) يعنى الربانيين والأحبار هم الشهداء لمحمد صلى الله عليه وسلم بما قال أنه حقّ جاء من عند الله ، فهو نبيّ الله محمد ، أتته اليهود ، فقضى بينهم بالحقّ .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ، وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ :

يقول تعالى ذكره لعلماء اليهود وأحبارهم : لاتخشوا الناس فى تنفيذ حكمى الذى حكمت به على عبادى وإمضائه عليهم على ما أمرت ، فإنهم لايقدرون لكم على ضرّ ولانفع إلا بإذنى ، ولاتكتموا الرجم الذى جعلته حكما فى التوراة على الزانيين المحصنين ، ولكن اخشونى دون كلّ أحد من خلقى ، فان النفع والضرّ بيدى ، وخافوا عقابى فى كتمانكم ما استحفظتم من كتابى .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ) يقول : لاتخشوا الناس فتكتموا ما أنزلت .

وأما قوله (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلًا) يقول : ولا تأخذوا بترك الحكم بآيات كتابى الذى أنزلته على موسى أيها الأحبار عوضا خسيسا ، وذلك هو الثمن القليل ، وإنما أراد تعالى ذكره نهيهم عن أكل السحت ، على تحريفهم كتاب الله ، وتغييرهم حكمه عما حكم به فى الزّانيين المحصنين ، وغير ذلك من الأحكام التى بدّلوها ، طلبا منهم للرشا .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلًا) قال : لاتأكلوا السحت على كتابى . وقال مرّة أخرى قال : قال ابن زيد فى قوله (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَنًا) قال : لاتأخذوا به رشوة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمنا قَلِيلًا) : ولا تأخذوا طُعْما قليلا ، على أن تكتموا ما أنزلت .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾

يقول تعالى ذكره : ومن كتم حكم الله الذى أنزله فى كتابه ، وجعله حكما بين عباده فأخفاه ، وحكم بغيره ، كحكم اليهود فى الزانيين المحصنين بالتجبيه والتحميم ، وكتمانهم الرجم ، وكقضائهم فى بعض قتلاهم بدية كاملة ، وفى بعض بنصف الدية ، وفى الأشراف بالقصاص ، وفى الأدنياء بالدية ، وقد سوّى الله بين جميعهم فى الحكم عليهم فى التوراة (فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) يقول : هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل الله فى كتابه ، ولكن بدّلوا وغيروا حكمه ، وكتموا الحقّ الذى أنزله فى كتابه ، هم الكافرون ، يقول : هم الذين ستروا الحقّ الذى كان عليهم كشفه وتبيينه ، وغطّوه عن الناس ، وأظهروا لهم غيره ، وقضوا به لسحت أخذوه منهم عليه .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل الكفر فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : بنحو ما قلنا فى ذلك ، من أنه عنى به اليهود الذين حرّفوا كتاب الله ، وبدّلوا حكمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن البراء بن عازب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى قوله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) . (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) فى الكافرين كلها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن القاسم ، قال : ثنا أبو حيان ، عن أبى صالح ، قال : الثلاث الآيات التى فى المائدة (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرونَ . فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) ليس فى أهل الإسلام منها شىء ، هى فى الكفار .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى حيان ، عن الضحاك (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) والظالمون ، والفاسقون ، قال : نزلت هؤلاء الآيات فى أهل الكتاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران بن حدير ، قال : أتى أبا مجلز ، ناس من بنى عمرو بن سدوس ، فقالوا : يا أبا مجلز ، أرأيت قول الله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) أحقّ هو ؟ قال : نعم ، قالوا (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) أحقّ هو؟ قال : نعم ، قالوا (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) أحقّ هو ؟ قال : نعم : قال : فقالوا : يا أبا مجلز ، فيحكم هؤلاء بما أنزل الله ؟ قال : هو دينهم الذى يدينون به ، وبه يقولون ، وإليه يُدْعَوْنَ ، فإن هم تركوا شيئا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا ، فقالوا : لا والله ، ولكنك تعرف ، قال : أنتم أولى بهذا منى لا أرى وإنكم ترون هذا ولا تحرجون ، ولكنها أنزلت فى اليهود والنصارى وأهل الشرك ، أو نحوا من هذا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، قال : قعد إلى أبى مِجْلَز نفر من الأباضية ، قال : فقالوا له ، يقول الله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ .

﴿فأولئك هم الظالمون . فأولئك هم الفاسقون﴾ قال أبو مجلز : إنهم يعملون ما يعملون ، يعنى الأمراء ، ويعلمون أنه ذنب ، قال : وإنما أنزلت هذه الآية فى اليهود والنصارى ، قالوا : أما والله إنك لتعلم مثل ما نعلم ، ولكنك تخشاهم ، قال : أنتم أحقّ بذلك منا ، أما نحن فلا نعرف ماتعرفون ولكنكم تعرفونه ، ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، وحدثنا ابن وكيع قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى البخترى ، عن حذيفة فى قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ قال : نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل إن كانت لكم كلّ حلوة ، ولهم كلّ مرّة ، ولتسلكنّ طريقهم قدر الشراك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى حيان ، عن الضحاك ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ والظالمون ، والفاسقون ، قال : نزلت هؤلاء الآيات فى أهل الكتاب .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى البخترى ، قال : قيل لحذيفة ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ثم ذكر نحو حديث ابن بشار ، عن عبد الرحمن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى البخترى ، قال : سأل رجل حذيفة عن هؤلاء الآيات ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . فأولئك هم الظالمون . فأولئك هم الفاسقون﴾ قال : فقيل ذلك فى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كانت لهم كلّ مرّة ، ولكم كلّ حلوة ، كلا والله لتسلكنّ طريقهم قدر الشراك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن رجل ، عن عكرمة قال : هؤلاء الآيات فى أهل الكتاب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ذكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت فى قبل اليهود الذى كان منهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ والظالمون ، والفاسقون ، لأهل الكتاب كلهم لمّا تركوا من كتاب الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن البراء بن عازب ، قال : مُرّ على النبىّ صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم مجلود ، فدعاهم فقال : هكذا تجدون حدّ من زنى ؟ قالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم ، فقال : أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى ، هكذا تجدون حدّ الزانى فى كتابكم ؟ قال : لا . ولولا أنك أنشدتنى بهذا

لم أخبرك ، نجد حدّه فى كتابنا الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحدّ ، فقلنا تعالوا فلنجتمع جميعا على التحميم والجلد مكان الرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللّهُمَّ إنّى أوَّلُ مَنْ أحْيا أمْرَكَ إذْ أماتُوهُ ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله : (يا أيُّها الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِى الكُفْرِ) . . . إلى قوله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) يعنى اليهود (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يعنى اليهود (فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) للكفار كلها .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : من حكم بكتابه الذى كتب بيده ، وترك كتاب الله ، وزعم أن كتابه هذا من عند الله فقد كفر .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن البراء بن عازب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نحو حديث القاسم ، عن الحسن ، غير أن هنادا قال فى حديثه : فقلنا : تعالوا فلنجتمع فى شىء نقيمه على الشريف والضعيف ، فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم ، وسائر الحديث نحو حديث القاسم .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن أبى الزناد ، عن أبيه ، قال : كنا عند عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، فذكر رجل عنده (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ . وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) فقال عبيد الله : أما والله إن كثيرا من الناس يتأوّلون هؤلاء الآيات على ما لم ينزلن عليه ، وما أنزلن إلا فى حيين من يهود ، ثم قال : هم قريظة والنضير ؛ وذلك أن إحدى الطائفتين كانت قد غزت الأخرى وقهرتها ، قبل قدوم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة ، حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة ، فديته خمسون وسقا ، وكلّ قتيل قتلته الذليلة من العزيزة ، فديته مئة وسق ، فأعطوهم فرقا وضيما ، فقدم النبيّ صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك ، فذلت الطائفتان بمقدم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم لم يظهر عليهما ، فبينما هما على ذلك أصابت الذليلة من العزيزة قتيلا ، فقالت العزيزة : أعطونا مائة وسق ، فقالت الذليلة : وهل كان هذا قطّ فى حيين دينهما واحد ، وبلدهما واحد ، دية بعضهم ضعف دية بعض ؟ إنما أعطيناكم هذا فرقا منكم وضيما ، فاجعلوا بيننا وبينكم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فتراضيا على أن يجعلوا النبيّ صلى الله عليه وسلم بينهم ، ثم إن العزيزة تذاكرت بينها ، فخشيت أن لا يعطيها النبيّ صلى الله عليه وسلم من أصحابها ضعف ماتعطى أصحابها منها ، فدسوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم إخوانهم من المنافقين ، فقالوا لهم : اخبروا لنا رأى محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن أعطانا ما نريد حكمناه ، وإن لم يعطنا حذرناه ، ولم نحكمه ، فذهب المنافق إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأعلم الله تعالى ذكره النبيّ صلى الله عليه وسلم ما أرادوا من ذلك

الأمر كله ، قال عبيد الله : فأنزل الله تعالى ذكره فيهم (يا أيُّها الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الكُفْرِ) هؤلاء الآيات كلهن ، حتى بلغ (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنْجِيلِ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فِيهِ) . . . إلى (الفاسِقُونَ) قرأ عبيد الله ذلك آية آية ، وفسرها على ما أنزل ، حتى فرغ تفسير ذلك لهم فى الآيات ، ثم قال : إنما عنى بذلك يهود ، وفيهم أنزلت هذه الصفة .

وقال بعضهم : عنى بالكافرين أهل الإسلام ، وبالظالمين : اليهود ، وبالفاسقين : النصارى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن زكريا ، عن عامر ، قال : نزلت الكافرون فى المسلمين ، والظالمون فى اليهود ، والفاسقون فى النصارى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى السفر ، عن الشعبىّ ، قال : الكافرون فى المسلمين ، والظالمون فى اليهود ، والفاسقون فى النصارى .

حدثنا ابن وكيع وأبو السائب ، وواصل بن عبد الأعلى ، قالوا : ثنا ابن فضيل ، عن ابن شبرمة ، عن الشعبىّ ، قال : آية فينا ، وآيتان فى أهل الكتاب (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) فينا وفيهم (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) والفاسقون فى أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، مثل حديث زكريا عنه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا شعبة ، عن ابن أبى السفر ، عن الشعبى (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : هذا فى المسلمين (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) قال : النصارى .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا زكريا بن أبى زائدة ، عن الشعبىّ ، قال : فى هؤلاء الآيات التى فى المائدة (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : فينا أهل الإسلام (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) قال : فى اليهود (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ) قال : فى النصارى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن زكريا بن أبى زائدة ، عن الشعبى فى قوله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : نزلت الأولى فى المسلمين ، والثانية فى اليهود ، والثالثة فى النصارى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن زكريا ، عن الشعبىّ . بنحوه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يعلى ، عن زكريا ، عن عامر ، بنحوه

وقال آخرون : بل عُنى بذلك : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قوله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ . وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ القاسِقُونَ) قال : كفر دون كفر وفسق دون فسق ، وظلم دون ظلم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن عطاء ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب بن أبي تميمة ، عن عطاء بن أبي رباح بنحوه .

حدثنا هناد بن السريّ ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، بنحوه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سعيد المكيّ ، عن طاوس (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : ليس بكفر ينقل عن الملة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن معمر بن راشد ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : هي به كفر ، وليس كفرا بالله وملائكته وكتبه ورسله .

حدثني الحسن ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : قال رجل لابن عباس في هذه الآيات : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ) فمن فعل هذا فقد كفر ، قال ابن عباس : إذا فعل ذلك فهو به كفر ، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وبكذا وكذا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : سئل ابن عباس ، عن قوله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : هي به كفر ، قال ابن طاوس : وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن طاوس (فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : كفر لا ينقل عن الملة . قال : وقال عطاء : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآيات في أهل الكتاب ، وهي مراد بها جميع الناس مسلموهم وكفارهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ، ورضي لهذه الأمة بها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : نزلت فى بنى إسرائيل ، ورضى لكم بها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم فى هذه الآية (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : نزلت فى بنى إسرائيل ، ثم رضى بها لهؤلاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن فى قوله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : نزلت فى اليهود ، وهى علينا واجبة .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبى سليم ، عن سلمة بن كهيل ، عن علقمة ومسروق أنهما سألا ابن مسعود ، عن الرشوة ، فقال : من السحت ، قال : فقالا : أفى الحكم ؟ قال : ذاك الكفر ، ثم تلا هذه الآية (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ) يقول : ومن لم يحكم بما أنزلتُ فتركه عمدا وجار وهو يعلم فهو من الكافرين .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به ، فأما الظلم والفسق فهو للمقرّ به .

ذكر من قال ذلك

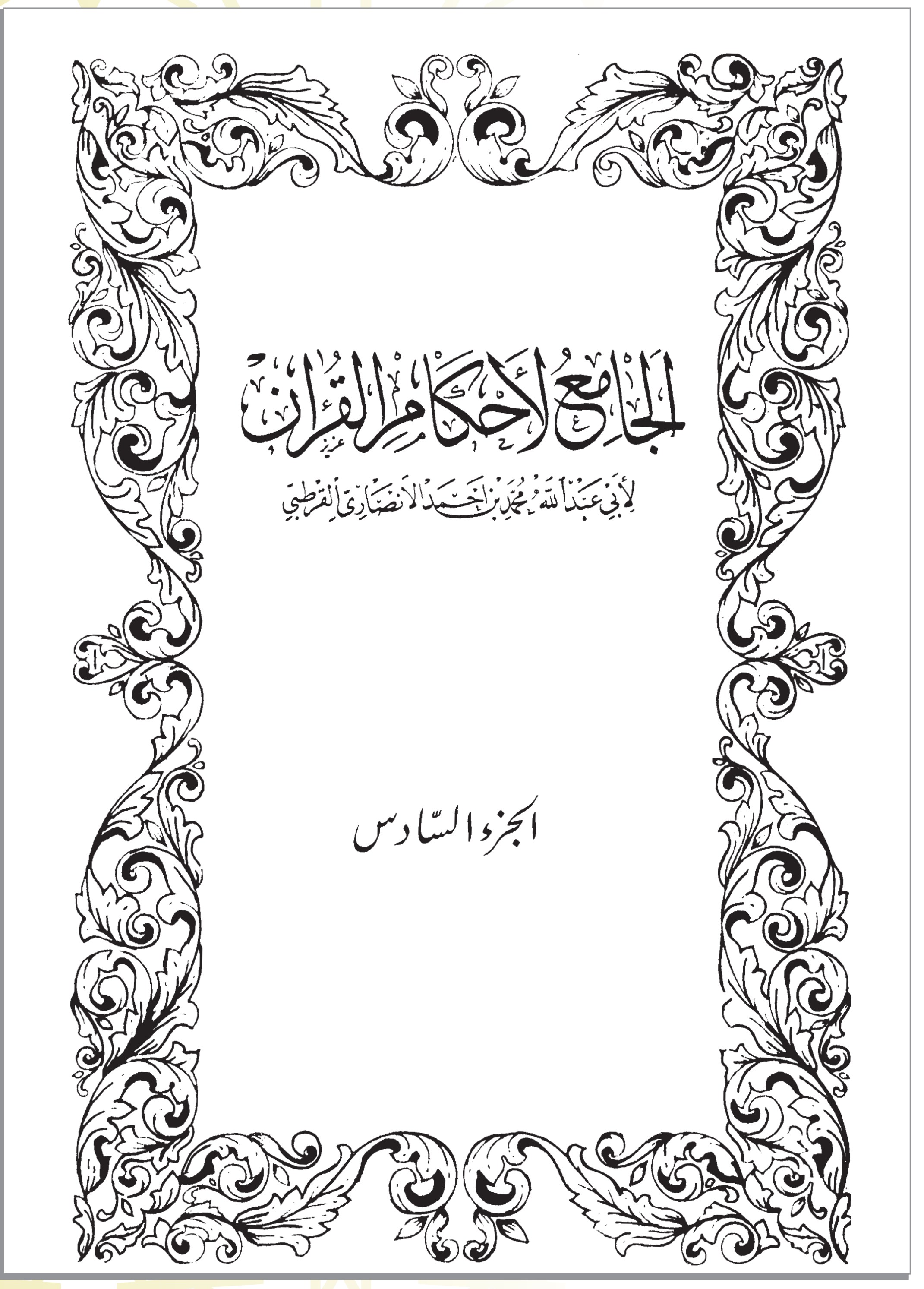
حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ) قال : من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقرّ به ولم يحكم فهو ظالم فاسق .

وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قول من قال : نزلت هذه الآيات فى كفار أهل الكتاب ، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ، ففيهم نزلت وهم المعنيون بها ، وهذه الآيات سياق الخبر عنهم ، فكونها خبرا عنهم أولى .

فإن قال قائل : فإن الله تعالى ذكره قد عمّ بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله ، فكيف جعلته خاصا ؟ قيل : إن الله تعالى عمّ بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذى حكم به فى كتابه جاحدين فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون ، وكذلك القول فى كلّ من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به ، هو بالله كافر ، كما قال ابن عباس ، لأنه بجحوده حكمَ الله بعد علمه أنه أنزله فى كتابه نظير جحوده نبوّة نبيه بعد علمه أنه نبىّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ


الجامع لأحكام القرآن
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
الجزء السادس

قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾ و « ٱلظَّالِمُونَ » و « ٱلْفَاسِقُونَ » نزلت كلها فى الكفار؛ ثبت ذلك فى صحيح مسلم من حديث البراء ، وقد تقدّم . وعلى هـذا المعظَم . فأما المسلم فلا يكفر وإن آرتكب كبيرة . وقيل : فيـه إضمار؛ أى ومن لم يحكم بما أنزل الله ردّا للقرآن ، وجحدا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر؛ قاله آبن عباس ومجاهد ، فالآية عامة على هذا . قال آبن مسعود والحسن : هى عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أى معتقدا ذلك ومستحِلا له ؛ فأمّا من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرّمٍ فهو من فساق المسلمين ، وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه ، و إن شاء غفرله . وقال آبن عباس فى رواية : ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلا يضاهى أفعال الكفار . وقيـل : أى ومن لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر؛ فأما من حكم بالتوحيد ولم يحكم ببعض الشرائع فلا يدخل فى هـذه الآية ، والصحيح الأول ، إلا أن الشّعبيّ قال : هى فى اليهود خاصة ، وآختاره النحاس؛ قال : ويدل على ذلك ثلاثة أشياء؛ منها أن اليهود قد ذُكروا قبل هـذا فى قوله : « لِلَّذِينَ هَادُوا » ؛ فعاد الضمير عليهم ، ومنها أن سياق الكلام يدل على ذلك؛ ألا ترى أن بعده « وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ » فهـذا الضمير لليهود بإجماع؛ وأيضا فإن اليهود هم الذين أنكروا الرّجم والقصاص . فإن قال قائل : « من » إذا كانت للمجازاة فهى عامة إلا أن يقع دليل على تخصيصها ؟ قيل له : « من » هنا بمعنى الذى مع ما ذكرناه من الأدلة؛ والتقدير: واليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون؛ فهذا من أحسن ماقيل فى هذا؛ ويروى أن حُذَيفة سئل عن هذه الآيات أهى فى بنى إسرائيل؟ قال : نعم هى فيهم، ولتسلكُنّ سبيلهم حذو النعل بالنعل . وقيل : «الكافرون» للمسلمين ، و « الظالمون » لليهـود ، و « الفاسقون » للنصارى ؛ وهـذا آختيار أبى بكر بن العـربى ، قال : لأنه ظاهر الآيات ، وهو آختيار آبن عباس وجابر بن زيد وآبن أبى زائدة وآبن شُبْرُمة والشعبيّ أيضا . قال طاوس وغيره : ليس بكفر ينقـل عن الملة ، ولكنه كفر دون كفر[1]،

(١) قال فى البحر : يعنى أن كفر المسلم ليس مثل كفر الكافر . قلت : هو كفر النعمة عند الإباضية .

وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله ، فهو تبديل له يوجب الكفر ؛ وإن حكم به هوًى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة فى الغفران للمذنبين . قال القُشَيرى : ومذهب الخوارج أن من ارتشى وحكم بغير حكم الله فهو كافر ، وعُزِى هذا إلى الحسن والسُّدى . وقال الحسن أيضا : أخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثة أشياء : ألّا يتّبعوا الهوى ، وألّا يخشوا الناس ويخشوه ، وألا يشتروا بآياته ثمنا قليلا .

قوله تعالى : وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

فيه ثلاثون مسئلة :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ بيَّن تعالى أنه سوّى بين النفس والنفس فى التوراة فخالفوا ذلك ، فضلوا ؛ فكانت دِيَة النَّضِيرى أكثر ، وكان النَّضِيرى لا يُقتل بالقُرَظى ، ويُقتل به القُرَظى فلما جاء الإسلام راجع بنو قُرَيظة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فحكم بالاستواء ؛ فقالت بنو النَّضير : قد حططتَ منا ؛ فنزلت هذه الآية . و « كتبنا » بمعنى فرضنا ، وقد تقدم . وكان شرعهم القصاص أو العفو ، وما كان فيهم الدِّية ؛ كما تقدّم فى «البقرة»(١) بيانه . وتعلق أبو حنيفة وغيره بهذه الآية فقال : يقتل المسلم بالذمى ؛ لأنه نفس بنفس ، وقد تقدّم فى « البقرة »(١) بيان هـذا . وقد روى أبو داود والترمذى والنسائى عن على رضى الله عنه أنه سئل هل خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء ؟ فقال : لا ، إلا ما فى هـذا ، وأخرج كتابا من قِراب سيفه وإذا فيه " المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ولا يُقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد فى عهـده " وأيضا فإن الآية إنما جاءت

(١) راجع جـ ٢ ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ .

مسند الإمام أحمد بن حنبل

وبهامشه
منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال

المجلد الأول

دار صادر
بيروت

لكم صيد البحر وطعامه، قال صيده ماحويت عليه وطعامه مالفظه اليك أبو الشيخ وابن مردويه * عن عكرمة ان أبابكر الصديق قال في قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه قال صيد البحر مااصطاده أيدينا وطعامه مالا ثه البحر وفي لفظ طعامه كل مافيه وفي لفظ طعامه ميتته (عب) وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ * عن أبي الطفيل أن أبابكر سئل عن ميتة البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته (قط) في العلل وصححه وأبو الشيخ وابن مردويه (هق) * عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله (٤٣٩) صلى الله عليه وسلم قد عرفت أوّل الناس بحر البحائر رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع أذنهما وحرم ألبانهما وظهورهما ولقد رأيته واياهما في النار يخبطانه بأخفافهما ويعضانه بأفواههما ولقد عرفت أوّل الناس سيب السوائب ونصب النصب وغير عهد ابراهيم عمرو بن لحي ولقد رأيته يجر قصبه في النار ويؤذي أهل النار ريح قصبه (عب ش)

(سورة الانعام)

عن علي انه أتاه رجل من الخوارج فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون أليس كذلك قال بلى فانصرف عنه ثم قال ارجع أي فل انما أنزلت في أهل الكتاب ابن أبي حاتم * عن علي أن أباجهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لانكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فانهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (ت) وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه (ك ص) * عن عمر قال جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وعمار وصهيب وخباب ابن الارت في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حقروهم فأتوه فخلوا به فقالوا انا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هذه الاعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا واذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة ليكتب لهم ودعا عليا ليكتب فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية اذ نزل عليه جبريل فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم

القرآن فانه أسرع تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقله أو من عقله **حدثنا** عبد الله حدثني أبي ثنا محمد ابن جعفر ثنا شعبة عن منصور قال سمعت أباوائل يحدث عن عبد الله قال كنانقول السلام على فلان وفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لااله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فانكم اذا قلتم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين سلمتم على كل عبد صالح في الارض وفي السماء **حدثنا** عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن منصور وزبيد عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباب المؤمن فسق وقتاله كفر قال في حديث زبيد سمعت أباوائل **حدثنا** عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة حدثني ركين قال سمعت القاسم بن حسان يحدث عن عبد الرحمن ابن حرملة عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشرا الصفرة وتغيير الشيب وجر الازار وخاتم الذهب أو قال حلقة الذهب والضرب بالكعاب والتبرج بالزينة في غير محلها والرقى الا بالمعوذات والتمائم وعزل الماء وافساد الصبي من غير ان يحرمه **حدثنا** عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن مغيرة قال سمعت أباوائل يحدث عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أنا فرطكم على الحوض وليرفعن لي رجال منكم ثم ليختلجن دوني فاقول يارب أصحابي فيقال لي انك لاتدري ما أحدثوا بعدك **حدثنا** عبد الله حدثني أبي ثنا حجاج ثنا شعبة عن أبي التياح عن رجل من طيئ عن عبد الله قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبقر في الاهل والمال فقال أبو حمزة وكان جالسا عنده نعم حدثني أخرم الطائي عن أبيه عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فقال عبد الله فكيف باهل براذان وأهل بالمدينة وأهل كذا قال شعبة فقلت لابي التياح ما التبقر فقال الكثرة **حدثنا** عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن اسمعيل بن رجاء قال سمعت عبد الله بن أبي الهذيل يحدث عن أبي الاحوص قال سمعت عبد الله بن مسعود يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا **حدثنا** عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن واصل عن أبي وائل عن عبد الله قال وأحسبه رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بين يدي الساعة أيام الهرج أيام يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل فقال أبو موسى الهرج بلسان الحبش القتل **حدثنا** عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي التياح عن ابن الاخرم رجل من طيئ عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن التبقر في الاهل والمال **حدثنا** عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة قال سمعت أباحمزة يحدث عن أبيه عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وقال عبد الله كيف من له ثلاثة أهلين أهل بالمدينة وأهل بكذا وأهل بكذا **حدثنا** عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة وحجاج ثنا شعبة عن الوليد بن العيزار قال حجاج سمعت أباعمرو الشيباني وقال محمد عن أبي عمرو الشيباني قال حدثنا صاحب هذه الدار وأشار بيده الى دار عبد الله وما سماه لنا قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب الى الله عز وجل فقال الصلاة على وقتها قال الحجاج لوقتها قال ثم أي قال ثم بر الوالدين قال ثم أي قال ثم الجهاد في سبيل الله ولو استزدته لزادني **حدثنا** عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد ابن جعفر ثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لايزال الرجل



تحقيق

عبد القادر أحمد عطا

دار الكتب العلمية

بيروت – لبنان

١٣٦ ـ أخبرني محمد بن موسى. وحدثنا جعفر قال: سمعت أبا عبد الله وسئل عن الرجل ينوز [١] والديه. قال: لا.

باب قوله تعالى: ﴿وتوبوا الى الله جميعاً﴾ [٢]

١٣٧ ـ أخبرني موسى بن سهل قال: حدثنا محمد بن أحمد الأسدي. وأخبرنا ابراهيم بن يعقوب، عن اسماعيل بن سعيد قال: سألت أحمد عن المصر على الكبائر بجهده الا أنه لم يترك الصلاة والصوم والزكاة والحج والجمعة، هل يكون مصراً في مثل قوله ﷺ: «لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن» [٣] ومن نحو قول ابن عباس: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك الكافرون» [٤]. قلت: فما هذا الكفر؟ قال: كفر لا يخرج من الملة، فهو درجات بعضه فوق بعض، حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف الناس فيه. فقلت له: أرأيت ان كان خائفاً من اصراره، ينوي التوبة، ويسأل ذلك،

---

(١) هكذا في الأصل. ولم نستطع قراءتها.

(٢) النور: ٣١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث ١٠٠، ١٠٤ من كتاب الايمان. والبخاري في صحيحه، الباب ٣٠ من كتاب المظالم، والباب الأول من كتاب الأشربة، والباب الأول والسادس والرابع عشر من كتاب الحدود. وأبو داود في سننه، الباب ١٥ من كتاب السنة. والترمذي في سننه، الباب ١١ من كتاب الايمان. والنسائي في سننه، الباب ٤٩ من كتاب القسامة، والباب ٤٢ من كتاب الاشربة. وابن ماجة في سننه، الباب ٣ من كتاب الفتن. والدارمي في مسنده، الباب ١١ من كتاب الأشربة. وأحمد بن حنبل في مسنده ٢/٢٤٣، ٣١٧، ٣٧٦، ٣٧٩، ٥/٣٤٦، ٦/١٣٩.

(٤) والآية من سورة المائدة: ٤٤ بلفظ **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**.

ولا يدع ركوباً؟ قال: الذي يخاف أحسن حالاً.

١٣٨ ـ أخبرنا محمد بن علي قال: حدثنا مهنا قال: سألت أحمد عن رجل قذف رجلاً، ثم تاب، ينبغي له أن يجيء اليه فيقول: أنا قذفتك؟ قال: لا، هذا يستغفر الله.

١٣٩ ـ أخبرني حامد بن أحمد بن داوود أنه سمع الحسن بن محمد بن الحارث قال: سمعت أحمد قال: ليس من المعاصي شيء أشد من الزنى بعد قتل النفس.

١٤٠ ـ أخبرني عبد الملك الميموني أنه سمع أبا عبد الله يقول: ليس بعد قتل النفس أشد من الزنى.

١٤١ ـ أخبرنا أحمد بن محمد بن حازم أن اسحاق بن منصور حدثهم أنه قال لأبي عبد الله: بلغك في شيء من الحديث أن السيئة تكتب بأكثر من واحدة؟ قال: ما سمعت الا بمكة، لتعظيم البلد [١].

خروج النساء في العيدين

١٤٢ ـ أخبرني محمد بن الحسن، أن الفضل بن زياد حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله وذكر التزويج فقال: حدثنا سفيان، عن ابراهيم بن ميسرة، عن طاووس قال: قال رسول الله ﷺ: «لم نر للمتحابين مثل التزويج» [٢].

قال الفضل: قال أبو عبد الله: المتحابان: الرجل والمرأة.

---

(١) أخرج أبو داود عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال: «احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه». ففيه حرمة الاحتكار، وحرمة الالحاد.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجة مرسلاً.

محمد الغزالي

من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث

الطبعة الثانية

١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م

الناشر

دار الكتب الحديثة

لصاحبها : توفيق عفيفي

١٤ شارع الجمهورية

تطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخنق جماعة كبيرة على النحو الذى فعلته .

وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة .

* * *

وكان الأستاذ حسن البنا نفسه ، وهو يؤلف جماعته فى العهد الأول ، يعلم أن الأعيان والوجهاء وطلاب التسلية الاجتماعية الذين يكثرون فى هذه التشكيلات لا يصلحون لأوقات الجد .

فألف ما يسمى بالنظام الخاص ، وهو نظام يضم شبابا مدربين على القتال ، كان المفروض من إعدادهم مقاتلة المحتلين الغزاة من إنكليز ويهود . .

وقد كان هؤلاء الشبان الأخفياء شرا وبيلا على الجماعة فيما بعد ، فقد قتل بعضهم بعضاً ، وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب فى يد من لا فقه لهم فى الإسلام ولا تعويل على إدراكهم للصالح العام .

وقد قال حسن البنا فيهم — قبل أن يموت — إنهم ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين .

ولكنه بعد أن مات وبعد أن أمسك بزمام الدعوة كلها أشخاص آخرون ، نظرنا فإذا الموازين كلها تنقلب رأساً على عقب .

كان السيد حسن الهضيبى رجلا ملكى النزعة والوجهة.

فلما خان الملك فاروق الشعب المصرى المكافح لإخراج الانجليز، وأسقط الوزارة التى أعلنت عليهم الحرب وجاء بالسيد حافظ عفيفى باشا

تقي الدين النبهاني

الدولة الإسلامية

١٣٧٢ هـ. - ١٩٥٣ م.

من منشورات
حزب التحرير
القدس

الطبعة الثانيه

قيام الدولة الاسلامية فرض على المسلمين

يقوم جهاز الدولة الاسلامية على سبعة اركان هي : الخليفة ، والمعاونون، والولاة ، والقضاة ، والجهاز الاداري ، والجيش ، ومجلس الشورى . فاذا استكملت الدولة هذه الاركان السبعة استكمل جهازها ، واذا نقص واحد منها نقص جهازها ، ولكنها تبقى دولة اسلامية ولا يضرها نقص شيء من الجهاز مالم يكن الخليفة ؛ لانه الاساس في الدولة . اما قواعد الحكم في الدولة الاسلامية فهي اربع قواعد هي : نصب خليفة واحد ، وان يكون السلطان للامة ، وان تكون السيادة للشرع ، وان يتولى الخليفة وحده تبني الاحكام الشرعية اي جعلها قوانين . فاذا نقصت قاعدة واحدة من هذه القواعد كان الحكم غير اسلامي ، بل لا بد من استكمال هذه القواعد الاربعة جميعها . والاساس في الدولة الاسلامية هو الخليفة ، وما عداه نائب عنه او مستشار له ، فالدولة الاسلامية هي خليفة يطبق الاسلام ، والخلافة او الامامة هي استحقاق تصرف عام على المسلمين ، وهي ليست من العقائد ، بل هي من الاحكام الشرعية ، اذ هي من الفروع المتعلقة بافعال العباد .

ونصب الخليفة فرض على المسلمين ، ولا يحل للمسلمين ان يبيتوا ليلتين دون بيعة . واذا خلا المسلمون من خليفة ثلاثة ايام اثموا جميعاً حتى يقيموا خليفة . ولا يسقط عنهم الاثم حتى يبذلوا الجهد لاقامة خليفة ويواصلوا العمل حتى يقيموه . وقد ثبت وجوب نصب الخليفة بالسنة واجماع الصحابة ؛ اما السنة فقد قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية » ولاحمد والطبراني « ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» خرجاه من حديث معاويه ، ولمسلم في صحيحه عن ابن عمر قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من خلع يدا من طاعة الله لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » وروى هشام بن عروة عن ابي صالح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره ويليكم الفاجر بفجوره فاسمعوا لهم



من منشورات
حزب التحرير

في القيام به معصية من اكبر المعاصي يعـذب الله عليها اشد العذاب .

والدليل على وجوب اقامة الخليفة على المسلمين كافـة السنة واجماع الصحابة . أما السنة فقد روي عن نافع قال : قال لي عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من خلع يداً من طاعة الله لقي الله يوم القيـامة لا حجة له . ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض على كل مسلم ان تكون في عنقه بيعة ، ووصف من يموت وليس في عنقه بيعة بانه مات ميتة جاهلية . والبيعة لا تكون الا للخليفة ليس غير . وقد اوجب الرسول على كل مسلم ان تكون في عنقه بيعة لخليفة ، ولم يوجب ان يبـايع كل مسلم الخليفة . فالواجب هو وجود بيعة في عنق كل مسلم ، اي وجود خليفة يستحق في عنق كل مسلم بيعة بوجوده . فوجود الخليفة هو الذي يوجد في عنق كل مسلم بيعة سواء بايع بالفعل ام لم يبايع ، ولهذا كان الحديث دليلاً على وجوب نصب الخليفة وليس دليلاً على وجوب البيعـة . لان الذي ذمه الرسول هو خلو عنق المسلم من بيعة حتى يموت ، ولم يذم عدم البيعة . وروى هشام بن عروة عن ابي صالح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره والفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق ، فان احسنوا

فوق كونه فرضاً من جهة ما يحتمه الفرض الذي فرضه الله على المسلمين من اقامة حكم الاسلام وحماية بيضة المسلمين . الا ان هذا الفرض فرض على الكفاية فان اقامه البعض فقد وجد الفرض وسقط عن الباقين هذا الفرص ، وان لم يستطع ان يقيمه البعض ولو قاموا بالاعمال التي تقيمه فانه يبقى فرضاً على جميع المسلمين ، ولا يسقط الفرض عن اي مسلم ما دام المسلمون بغير خليفة .

والقعود عن اقامة خليفة للمسلمين معصية من اكبر المعاصي لانها قعود عن القيام بفرض من اهم فروض الاسلام ، ويتوقف عليه اقامة احكام الدين ، بل يتوقف عليه وجود الاسلام في معترك الحياة. فالمسلمون جميعاً آثمون اثماً كبيراً في قعودهم عن اقامة خليفة للمسلمين . فان اجمعوا على هذا القعود كان الاثم على كل فرد منهم في جميع اقطار المعمورة . وان قام بعض المسلمين بالعمل لاقامة خليفة ولم يقم البعض الآخر فان الاثم يسقط عن الذين قاموا يعملون لاقامة الخليفة ويبقى الفرض عليهم حتى يقوم الخليفة . لان الاشتغال باقامة الفرض يسقط الاثم على تأخير اقامته عن وقته وعلى عدم القيام به ، لتلبسه بالقيام به ، ولاستكراهه بما يقهره عن انجاز القيام به . اما الذين لم يتلبسوا بالعمل لاقامة الفرض فان الاثم بعد ثلاثة ايام من ذهاب الخليفة الى يوم نصب الخليفة يبقى عليهم ، لان الله قد اوجب عليهم

وتكون البيعة مصافحة باليد او كتابة لا فرق بين الرجال والنساء . فان لهن ان يصافحن الخليفة بالبيعة كما يصافحه الرجال . واما ما روي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت « كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية لا يشركن بالله شيئاً . قالت وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا امرأة يملكها » فان هذه الرواية تتحدث فيها عائشة عن مبلغ علمها هي ، فعلى حد علمها لم تمس يده يد امرأة . ولكن هناك احاديث أخرى تدل على المصافحة ، فحديث ام عطية الذي تقول فيه « فقبضت امرأة منا يدها » يدل على انها كانت باسطة يدها للبيعة ، فلما نهاهن عن النياحة قبضت يدها عن البيعة . ومفهوم « فقبضت منا امرأة يدها » أن غيرها لم تقبض يدها وهذا يعني ان غيرها بايع بالمصافحة . وهو حديث صحيح رواه البخارى ، وهو نص في المصافحة في مفهومه ومنطوقه . فتكون البيعة مصافحة بالايدي ، وقد تكون بالكتابة . فقد حدث عبدالله بن دينار قال شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك قال : كتب إني اقر بالسمع والطاعة لعبدالله عبد الملك امير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت » . ويصح أن تكون البيعة بأية وسيلة من الوسائل .

الا انه يشترط في البيعة ان تصدر من البالغ ، فلا تصح البيعة

تقي الدين النبهاني



الشخصية الإسلامية

الجزء الثاني

١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م

من منشورات
حزب التحرير
القدس

« الطبعة الثانية »

اقاموا الدين لان اقامة الصلاة كناية عن اقامة الدين والحكم به . فكون اقامة الخليفة ليقيم احكام الاسلام ويحمل دعوته فرضاً على المسلمين أمر لا شبهة في ثبوته في نصوص الشرع الصحيحة ، فوق كونه فرضاً من جهة ما يحتمه الفرض الذي فرضه الله على المسلمين من اقامة حكم الاسلام وحماية بيضة المسلمين . الا ان هذا الفرض فرض على الكفاية ، فان اقامه البعض فقد وجد الفرض وسقط عن الباقين هذا الفرض ، وان لم يستطع ان يقيمه البعض ولو قاموا بالاعمال التي تقيمه فانه يبقى فرضاً على جميع المسلمين ، ولا يسقط الفرض عن اي مسلم ما دام المسلمون بغير خليفة .

والقعود عن اقامة خليفة للمسلمين معصية من اكبر المعاصي لانها قعود عن القيام بفرض من اهم فروض الاسلام ، ويتوقف عليه اقامة احكام الدين ، بل يتوقف عليه وجود الاسلام في معترك الحياة . فالمسلمون جميعاً آثمون اثماً كبيراً في قعودهم عن اقامة خليفة للمسلمين . فان اجمعوا على هذا القعود كان الاثم على كل فرد منهم في جميع اقطار المعمورة . وان قام بعض المسلمين بالعمل لاقامة خليفة ولم يقم البعض الآخر فان الاثم يسقط عن الذين قاموا يعملون لاقامة الخليفة ويبقى الفرض عليهم حتى يقوم الخليفة . لان الاشتغال باقامة الفرض يسقط الاثم على تأخير اقامته عن وقته وعلى عدم القيام به ، لتلبسه بالقيام به ، ولاستكراهه بما يقهره عن انجاز القيام به . اما الذين لم يتلبسوا بالعمل لاقامة الفرض فان الاثم بعد ثلاثة ايام من ذهاب الخليفة الى يوم نصب الخليفة يبقى عليهم ، لان الله قد اوجب عليهم فرضاً ولم يقوموا به ولم يتلبسوا بالاعمال التي من شأنها ان تقيمه ، ولذلك استحقوا الاثم فاستحقوا عذاب الله وخزيه في الدنيا والآخرة . واستحقاقهم الاثم على قعودهم عن اقامة خليفة او عن الاعمال التي من شأنها ان تقيمه ، ظاهر صريح في استحقاق المسلم العذاب على تركه اى فرض من الفروض التي فرضها الله عليه ، لاسيما الفرض الذي به

على ترك تلك الفرق التي على ابواب جهنم . ومعناه تمسك بدينك وبالبعد عن الدعاة المضلين الذين على ابواب جهنم . فهذا الحديث ليس فيه اي عذر لترك القيام بالعمل لاقامة خليفة ولا اي ترخيص في ذلك ، وانما هو محصور على الامر بالتمسك بالدين واعتزال الدعاة الذين على ابواب جهنم ، ويبقى الاثم عليه اذا لم يعمل لاقامة خليفة . فهو مأمور بان يبتعد عن الفرق الضالة ، ليسلم بدينه من دعاة الضلال ولو عض على اصل شجرة ، لا ان يبتعد عن جماعة المسلمين ويقعد عن القيام باحكام الدين وعن اقامة امام للمسلمين .

ومثلا روى البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » فان هذا لا يعني اعتزال جماعة المسلمين والقعود عن القيام باحكام الدين وعن اقامة خليفة للمسلمين حين تخلو الارض من الخلافة ، بل كلما فيه هو بيان خير مال المسلم في ايام الفتن وخير ما يفعله للهروب من الفتن وليس هو للحث على البعد عن المسلمين واعتزال الناس .

وعليه فانه لا يوجد عذر لمسلم على وجه الارض في القعود عن القيام بما فرضه الله عليهم لاقامة الدين الا وهو العمل لاقامة خليفة للمسلمين حين تخلو الارض من الخلافة ، وحين لا يوجد فيها من يقيم حدود الله لحفظ حرمات الله ، ولا من يقيم احكام الدين ، ويجمع شمل جماعة المسلمين تحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله . ولا توجد في الاسلام اي رخصة في القعود عن القيام بهذا الفرض حتى يقوم .

المدة التي يمهل فيها المسلمون لاقامة خليفة

والمدة التي يمهل فيها المسلمون لاقامة خليفة هي ليلتان ، فلا يحل لمسلم ان يبيت ليلتين وليس في عنقه بيعة . اما تحديد اعلى الحد بليلتين فلأن نصب

والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ». وقال عليه الصلاة والسلام في شأن طاعة الخلفاء والامراء « قالوا : افلا نقاتلهم ؟ قال : لا ، ما صلوا » « قيل يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف فقال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة » « الا ان تروا الكفر بواحاً » « فمن كره فقد برىء ومن انكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع » فهذه الآيات والاحاديث تخصص طاعة الخليفة في غير المعصية وغير الكفر فلا يأتي حينئذ القول بان غير المعصوم قد يأمر بالمعصية ويخطىء فلو وجبت طاعته للزم ان يكون الله قد امر بالجمع بين الضدين بالامر بطاعة الخليفة وبتحريم المعصية ، لا يأتي هذا القول لانه لا يوجد جمع بين الضدين فهو يأمر بالطاعة في غير المعصية والكفر ، ويأمر بعدم الطاعة في المعصية والكفر ويأمر بتحريم المعصية . فلا يوجد تضاد او تناقض بين اوامره تعالى في هذا الموضوع . وبذا يتبين ان هذه الآية لا تصلح دليلا على اشتراط العصمة فيسقط الاستدلال بها .

هذه هي ادلة القائلين بالعصمة وكلها ساقطة عن مرتبة الاستدلال ولا تصلح حججاً . ومن هذا كله يتبين انه لا يشترط في الخليفة ان يكون معصوماً ، بل لا يجوز ان يشترط ذلك . وان الخلافة منصب بشري وليس منصباً إلهياً . وبذلك تكون الدولة الاسلامية دولة بشرية وليست دولة إلهية .

عزل الخليفة

ينعزل الخليفة اذا تغير حاله تغيراً يخرجه عن الخلافة . ويصبح الخليفة واجب العزل اذا تغيرت حاله تغيراً لا يخرجه عن الخلافة ولكن لا يجوز له شرعاً الاستمرار فيها . والفرق بين الحال التي تخرج الخليفة عن الخلافة ، والحال التي يصبح فيها واجب العزل ، هو ان الحالة الاولى وهي التي تخرجه عن الخلافة لا

تجب فيها طاعته بمجرد حصول الحالة له ، واما الحالة الثانية وهي التي يصبح فيها واجب العزل فان طاعته تظل واجبة حتى يتم عزله بالفعل . والذي يتغير به حاله فيخرجه عن الخلافة ثلاثة امور هي :

احدها – اذا ارتد عِن الاسلام واصر على الارتداد .

ثانيها – اذا جن جنوناً مطبقاً لا يصحو منه .

ثالثها – ان يصير مأسوراً في يد عدو قاهر لا يقدر على الخلاص منه وكان غير مأمول الفكاك من الاسر .

ففي هذه الاحوال الثلاثة يخرج عن الخلافة وينعزل في الحال ولو لم يحكم بعزله ، فلا تجب طاعته ولا تنفذ اوامره من قبل كل من ثبت لديه وجود واحد من هذه الصفات الثلاثة في الخليفة . الا انه يجب اثبات انه حصلت له هذه الاحوال ، وان يكون اثبات ذلك امام محكمة المظالم فتحكم بانه خرج عن الخلافة وتحكم بعزله حتى يعقد المسلمون الخلافة لغيره . اما الذي يتغير به حاله تغيراً لا يخرجه عن الخلافة ، ولكنه لا يجوز له فيها الاستمرار في الخلافة فخمسة امور هي :

احدها – ان تجرح عدالته بان يصبح ظاهر الفسق .

ثانيها – ان يتحول الى انثى او خنثى مشكل .

ثالثها – ان يجن جنوناً غير مطبق بان يصحو احياناً ويجن أحياناً . وفي هذه الحال لا يجوز ان يقام عليه وصي او يوجد له وكيل لان عقد الخلافة وقع على شخصه فلا يصح ان يقوم غيره مقامه .

رابعها – العجز عن القيام باعباء الخلافة لأي سبب من الاسباب ، سواء أكان عن نقص اعضاء جسمه او كان عن مرض عضال يمنعه من القيام بالعمل ولا يرجى برؤه منه . فالعبرة بعجزه عن القيام بالعمل ، وذلك انه بعجزه عن القيام بالعمل الذي نصب له خليفة

مُذكّرة
مِنْ حزبِ التحرير
إلى المُسْلِمينَ في لبْنَان

رجب ١٤٠٥

نيسَان ١٩٨٥

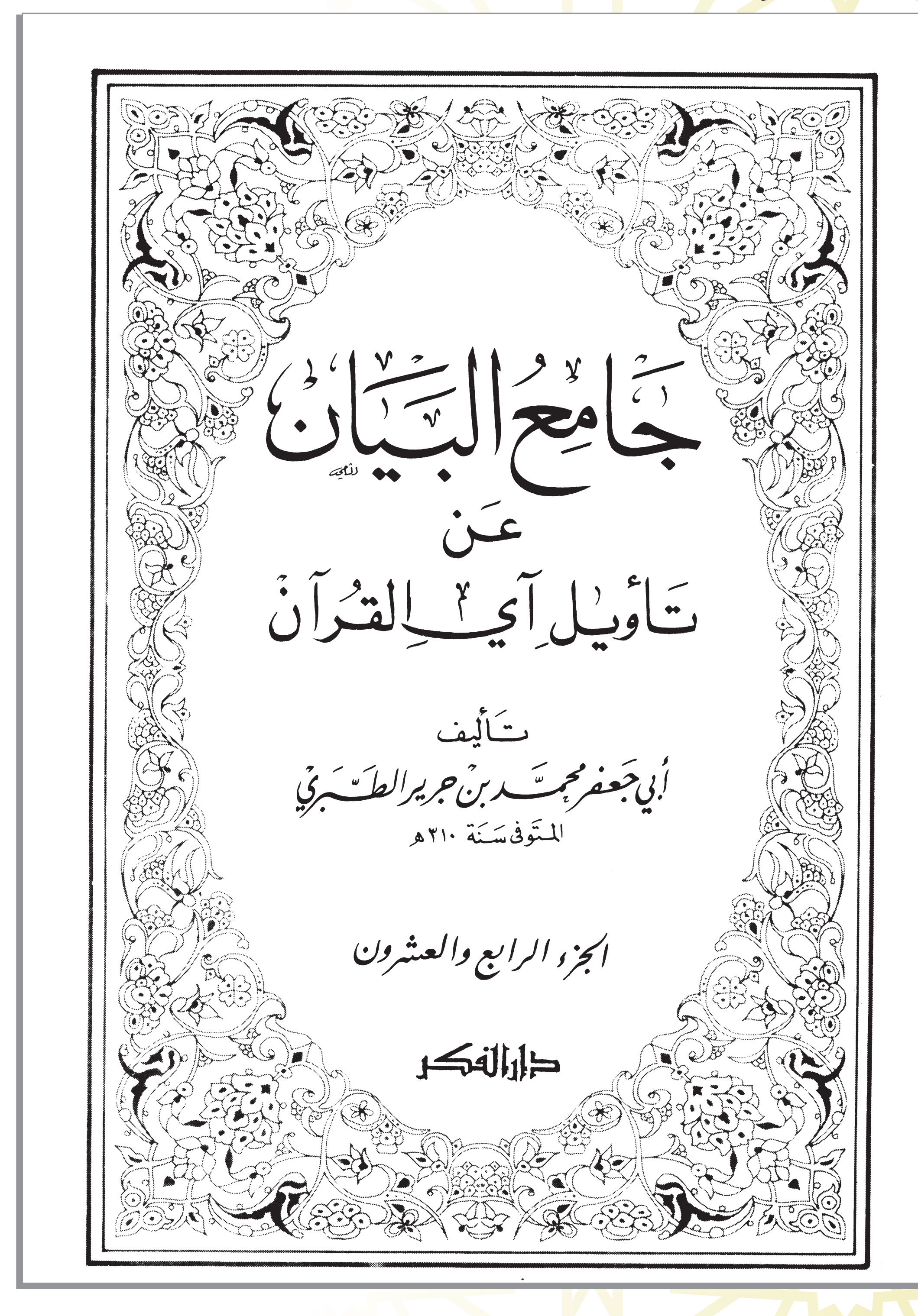
فيَّ وفي أُمَّتي إلى يوم القيامة ». وعن ثقتنا بهذا الخير في هذه الأمّة الذي أخبرنا الله تعالى عنه ورسوله، نذكّر المسلمين بتحكيم الإسلام وحدهُ في قضاياهم وأمورهم، حتى ينجلي ما يُطرَحُ من تضليل وخبث، مهما كَثُر وارتفعَتْ أصواته، وحتى لا يبقى في ذهن المسلمين وقلبهم الواحِد إلاّ الطيِّبُ الحقّ وهو الإسلام. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لا يَسْتَوي الخبيثُ والطيِّبُ ولو أعجبَتْكَ كَثْرةُ الخبيث، فاتّقوا الله يا أولي الألباب لعلّكم تفلحون﴾.

قَضِيَّةُ المسلمين في لبنان:

إنّ ما يُسَمَّى قضية المسلمين في لبنان هو تضليلٌ للمسلمين بإشغالهم بشؤون لبنان عن شؤون المسلمين، وبجعل لبنان هو همّهُم الأول والأخير، وبالتالي جعله بلدهم الوحيد. إنّنا نقول للمسلمين بحرارة إنّ قضيّة المسلمين في لبنان ليست خاصة بلبنان أو بمسلميه، بل هي قضية المسلمين أجمع في العالم كلّه: إنّها قضيّة إعادة الإسلام إلى الحياة، والإعتزاز به دون سواه، والإستظلال برايته، والتوحيد على أساسه، ونصب خليفة واحد لجميع المسلمين، وإعلان الجهاد لتطهير بلاد المسلمين من ذلِّ الإحتلال، ولرفع ذلِّ وإثمِ القعود عن الجهاد. والمسلمون في لبنان لا يعانون من الذلّ والقهر والهوان أكثر ولا أقَلَّ من سائر المسلمين، ولا يحقُّ لهم أن ينفَصِلُوا بذهنهم وبإحساسهم عن سائر المسلمين، فهم جميعاً يجب أن يكونوا كالجسد الواحد، إذا اشتكى منهُ عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى.

والمسلمون في لبنان، كما في سائر بلاد المسلمين، آثمون عند الله إذا لم يعملوا على إعادة الإسلام للحياة، ونصب خليفة واحد يجمع أمرهم. ولا يسقُط الإثم عن المسلم إلا أن يتلبَّسَ بالعمل لإعادة الإسلام إلى الحياة، وبالعمل لإعادة الحكم به. فليخرج مسلمو لبنان من نَفَقهمُ الضيِّق الذي

ح



جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠هـ

الجزء الرابع والعشرون

دار الفكر

يقول تعالى ذكره : : (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى) يامحمد هؤلاء (الَّذِينَ كَذَبُوا على اللهِ) من قومك فزعموا أن له ولدا ، وأن له شريكا ، وعبدوا آلهة من دونه (وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) ، والوجوه وإن كانت مرفوعة بمسودّة ، فإن فيها معنى نصب ، لأنها مع خبرها تمام ترى ، ولو تقدّم قوله مسودّة قبل الوجوه ، كان نصبا ، ولو نصب الوجوه المسودّة ناصب فى الكلام لافى القرآن ، إذا كانت المسودّة مؤخرة كان جائزا ، كما قال الشاعر :

ذَرِينِي إنَّ أمْرَكِ لَنْ يُطاعَا وَما أَلْفَيْتِنِي حِلْمِي مُضَاعَا[1]

فنصب الحلم والمضاع على تكرير ألفيتنى ، وكذلك تفعل العرب فى كلّ ما احتاج إلى اسم وخبر ، مثل ظنّ وأخواتها ، وفى مسودّة للعرب لغتان : مسودّة ، ومسوادّة ، وهى فى أهل الحجاز يقولون فيما ذكر عنهم قد اسوادّ وجهه ، واحمارّ ، واشهابّ . وذكر بعض نحويى البصرة عن بعضهم أنه قال : لايكون افعالّ إلا فى ذى اللون الواحد نحو الأشهب ، قال : ولا يكون فى نحو الأحمر ، لأن الأشهب لون يحدث ، والأحمر لايحدث .

وقوله (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) يقول : أليس فى جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله ، فامتنع من توحيده ، والانتهاء إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : وينجى الله من جهنم وعذابها ، الذين اتقوه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه فى الدنيا ، بمفازتهم : يعنى بفوزهم ، وهى مفعلة منه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ، وإن خالفت ألفاظ بعضهم اللفظة التى قلناها فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، فى قوله (وَيُنَجِّى اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ) قال : بفضائلهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَيُنَجِّى اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا

(١) البيت لعدى بن زيد ، كما قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ٢٨٦ من مخطوطة الجامعة) . وهو من أبيات الكتاب لسيبويه ١ : ٨٧ . ومن شواهد (خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٢ : ٣٦٨) . وموضع الشاهد فيه : أن قوله « حلمى » بدل اشتمال من الياء فى « ألفيتنى » . قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب ، إذا كان بدل البعض أو بدل الاشتمال ، نحو قولك : عجبت منك عقلك ، وضربتك رأسك . اهـ . وقال فى الخزانة : والبيت نسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة ، وتبعه ابن السراج فى أصوله . وعزاه الفراء والزجاج ، إلى عدى بن زيد العبادى . وهو الصحيح ، وكذلك قال صاحب الحماسة البصرية وأورد من القصيدة بعده أبياتا . اهـ .

بِمَفَازَتِهِمْ) قال : بأعمالهم ، قال : والآخرون يحملون أوزارهم يوم القيامة (وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة ، وبعض قراء مكة والبصرة (بِمَفَازَتِهِمْ) على التوحيد . وقرأته عامة قراء الكوفة (بِمَفَازَاتِهِمْ) على الجماع .

والصواب عندى من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لاتفاق معنييهما ، والعرب توحد مثل ذلك أحيانا وتجمع بمعنى واحد ، فيقول أحدهم : سمعت صوت القوم ، وسمعت أصواتهم ، كما قال جل ثناؤه : (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) ، ولم يقل : أصوات الحمير ، ولو جاء ذلك كذلك كان صوابا .

وقوله (لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) يقول تعالى ذكره : لايمس المتقين من أذى جهنم شيء ، وهو السوء الذى أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم ، ولا هم يحزنون : يقول : ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا ، إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان .

وقوله (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) يقول تعالى ذكره : الله الذى له الألوهة من كل خلقه الذى لاتصلح العبادة إلا له ، خالق كل شيء ، لاما لايقدر على خلق شيء ، وهو على كل شيء وكيل : يقول : وهو على كل شيء قيم بالحفظ والكلاءة .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره : له مفاتيح خزائن السموات والأرض ، يفتح منها على من يشاء ، ويمسكها عمن أحب من خلقه ، واحدها : مقليد . وأما الإقليد : فواحد الأقاليد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

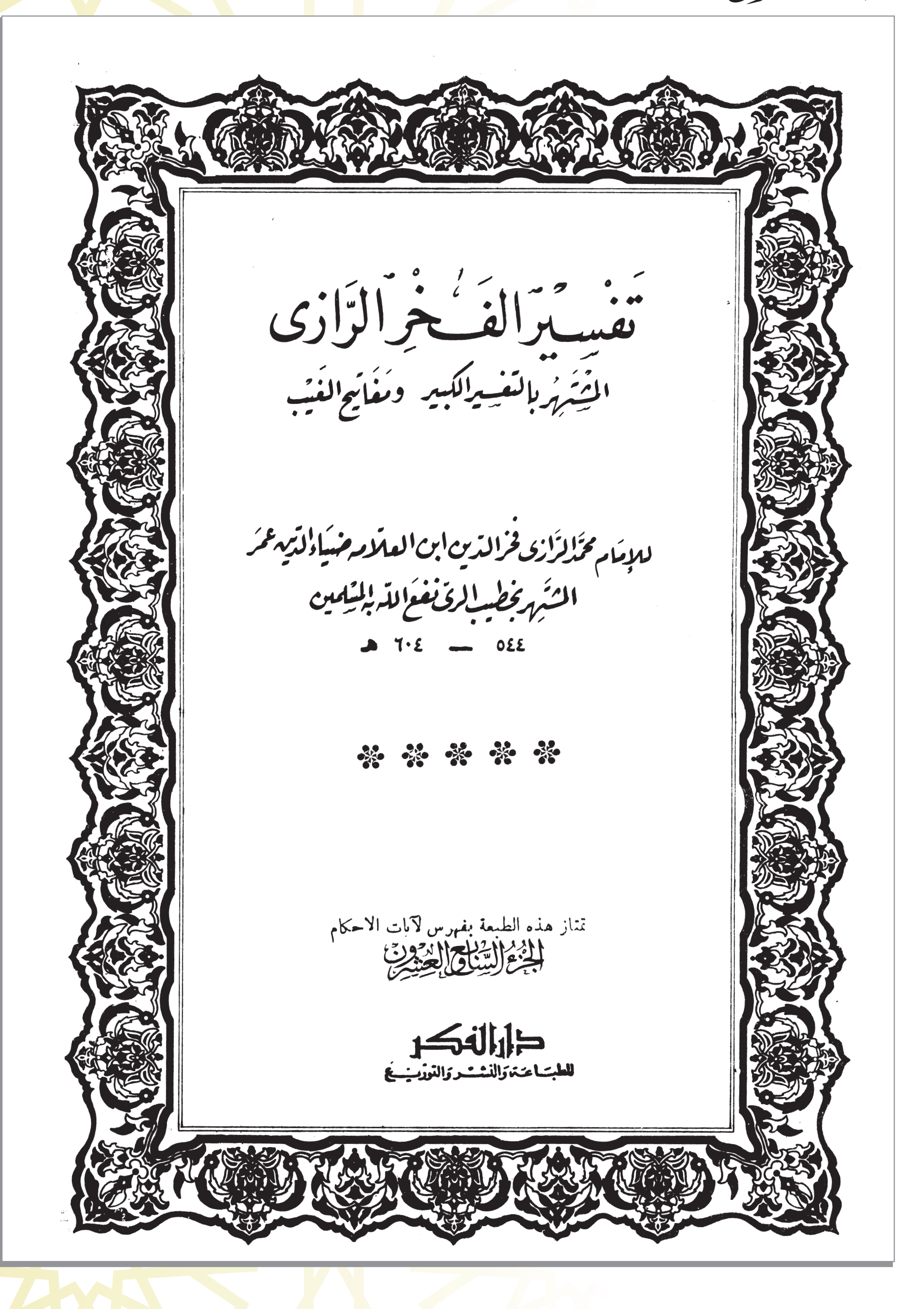
ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مفاتيحها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى مفاتيح السموات والأرض .

حدثنا محمد ، قال : ثنا أحمد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : خزائن السموات والأرض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : المقاليد : المفاتيح ، قال : له مفاتيح خزائن السموات والأرض .


تفسير الفخر الرازي
المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين
٥٤٤ ــ ٦٠٤ هـ

تمتاز هذه الطبعة بفهرس لآيات الأحكام
الجزء السابع والعشرون

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

قد تبين أمر القوم وأمور القوم ، قال أبو على الفارسى : الإفراد للمصدر ووجه الجمع أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها ، كقوله تعالى (وتظنون بالله الظنونا) ولا شك أن لكل متق نوعا آخر عن المفازة .

﴿ المسألة الثانية ﴾ المفازة مفعلة من الفوز وهو السعادة ، فكأن المعنى أن النجاة فى القيامة حصلت بسبب فوزهم فى الدنيا بالطاعات والخيرات ، فعبر عن الفوز بأوقاتها ومواضعها .

ثم قال (لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون) والمراد أنه كالتفسير لتلك النجاة ، كأنه قيل كيف ينجيهم ؟ فقيل (لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون) وهذه كلمة جامعة لأنه اذا علم أنه لا يمسه السوء كان فارغ البال بحسب الحال عما وقع فى قلبه بسبب فوات الماضى ، فحينئذ يظهر أنه سلم عن كل الآفات ، ونسأل الله الفوز بهذه الدرجات بمنه وكرمه .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ دلت الآية على أن المؤمنين لا ينالهم الخوف والرعب فى القيامة ، وتأكد هذا بقوله (لا يحزنهم الفزع الأكبر) .

قوله تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ، قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ، ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ .

واعلم أنه لما أطال الكلام فى شرح الوعد والوعيد عاد إلى دلائل الإلهية والتوحيد ، وفى الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قد ذكرنا فى سورة الأنعام أن أصحابنا تمسكوا بقوله تعالى (الله خالق كل شيء) على أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى ، وأطنبنا هناك فى الأسئلة والأجوبة، فلا فائدة ههنا

فى الإعادة ، إلا أن الكعبى ذكر ههنا كلمات فنذكرها ونجيب عنها ، فقال إن الله تعالى مدح نفسه بقوله (الله خالق كل شىء) وليس من المدح أن يخلق الكفر والقبائح فلا يصح أن يحتج المخالف به ، وأيضاً فلم يكن فى صدر هذه الأمة خلاف فى أعمال العباد ، بل كان الخلاف بينهم وبين المجوس والزنادقه فى خلق الأمراض والسباع والهوام ، فأراد الله تعالى أن يبين أنها جمع من خلقه ، وأيضاً لفظه (كل) قد لا توجب العموم لقوله تعالى (وأوتيت من كل شىء) (تدمر كل شىء) وأيضاً لو كانت أعمال العباد من خلق الله لما ضافها إليهم بقوله (كفاراً حسداً من عند أنفسهم) ولما صح قوله (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) ولما صح قوله (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) فهذا جملة ما ذكره الكعبى فى تفسيره ، وقال الجبائى : الله خالق كل شىء سوى أفعال خلقه التى صح فيها الأمر والنهى واستحقوا بها الثواب والعقاب ، ولو كانت أفعالهم خلقاً لله تعالى ما جاز ذلك فيه كما لا يجوز مثله فى ألوانهم وصورهم ، وقال أبو مسلم : الخلق هو التقدير لا الإيجاد ، فإذا أخبر الله عن عباده أنهم يفعلون الفعل الفلانى فقد قدر ذلك الفعل ، فيصح أن يقال إنه تعالى خلقه وإن لم يكن موجداً له .

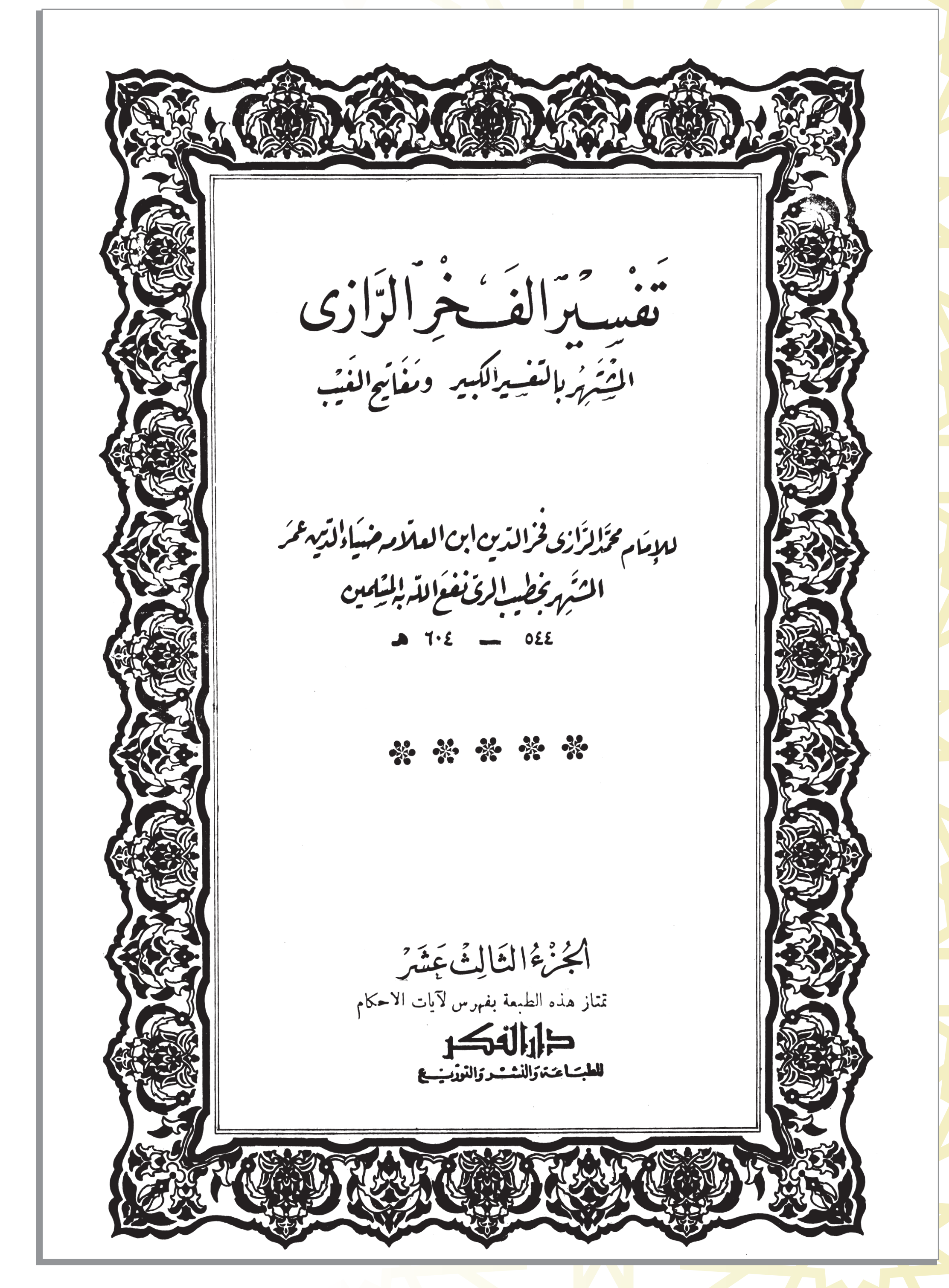
واعلم أن الجواب عن هذه الوجوه قد ذكرناه بالاستقصاء فى سورة الأنعام ، فمن أراد الوقوف عليه فليطالع هذا الموضع من هذا الكتاب ، والله أعلم .

أما قوله تعالى (وهو على كل شىء وكيل) فالمعنى أن الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك ، وهذا أيضاً يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى ، لأن فعل العبد لو وقع بتخليق العبد لكان ذلك الفعل غير موكول إلى الله تعالى ، فلم يكن الله تعالى وكيلا عليه ، وذلك ينافى عموم الآية .

ثم قال تعالى (له مقاليد السموات والأرض) والمعنى أنه سبحانه مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية ، لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى بيده مقاليدها ، ومنه قولهم : فلان ألقيت مقاليد الملك إليه وهى المفاتيح ، قال صاحب الكشاف : ولا واحد لها من لفظها ، وقيل مقليد ومقاليد ، وقيل مقلاد ومقاليد مثل مفتاح ومفاتيح ، وقيل إقليد وأقاليد ، قال صاحب الكشاف : والكلمة أصلها فارسية ، إلا أن القوم لما عربوها صارت عربية .

واعلم أن الكلام فى تفسير قوله (له مقاليد السموات والأرض) قريب من الكلام فى قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب) وقد سبق الاستقصاء هناك ، قيل سأل عثمان رسول الله ﷺ عن تفسير قوله (له مقاليد السموات والأرض) فقال « يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك ، تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر ، سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير » هكذا نقله صاحب الكشاف .

* أنظر الصفحات التالية تجد الجواب عن هذه الوجوه كما ذكرها فخر الدين الرازي


تفسير الفخر الرازي
المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب
للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين
٥٤٤ ــ ٦٠٤ هـ
الجزء الثالث عشر
تمتاز هذه الطبعة بفهرس لآيات الاحكام
دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

إثبات التوحيد طرق كثيرة ، ومن جملتها هذه الطريقة . وتقريرها من وجوه : الأول : قال المتقدمون الصانع الواحد كاف وما زاد على الواحد . فالقول فيه متكافيء ، فوجب القول بالتوحيد أما قولنا : الصانع الواحد كاف فلان الاله القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات كاف في كونه إلها للعالم ، ومدبرا له . وأما ان الزائد على الواحد ، فالقول فيه متكافىء ، فلان الزائد على الواحد لم يدل الدليل على ثبوته ، فلم يكن إثبات عدد أولى من إثبات عند آخر ، فيلزم إما إثبات آلهة لا نهاية لها ، وهو محال ، أو إثبات عدد معين مع أنه ليس ذلك العدد أولى من سائر الاعداد ، وهو أيضا محال ، وإذا كان القسمان باطلين لم يبق إلا القول بالتوحيد .

﴿ الوجه الثاني ﴾ في تقرير هذه الطريقة أن الاله القادر على كل الممكنات العالم بكل المعلومات كاف في تدبير العالم ، فلو قدرنا إلها ثانيا لكان ذلك الثاني إما أن يكون فاعلا وموجود لشيء من حوادث هذا العالم أو لا يكون ، والأول باطل ، لأنه لما كان كل واحد منهما قادرا على جميع الممكنات فكل فعل يفعله أحدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر عن تحصيل مقدوره ، وذلك يوجب كون كل واحد منهما سببا لعجز الآخر . وهو محال . وإن كان الثاني لا يفعل فعلا ولا يوجد شيئا كان ناقصا معطلا ، وذلك لا يصلح للالهية .

﴿ والوجه الثالث ﴾ في تقرير هذه الطريقة أن نقول : إن هذا الاله الواحد لا بد وأن يكون كاملا في صفات الالهية ، فلو فرضنا إلها ثانيا لكان ذلك الثاني إما أن يكون مشاركا للأول في جميع صفات الكمال أو لا يكون ، فان كان مشاركا للأول في جميع صفات الكمال فلا بد وأن يكون متميزا عن الأول بأمر ما ، اذ لو لم يحصل الامتياز بأمر من الأمور لم يحصل التعدد والاثنينية ، وإذا حصل الامتياز بأمر ما فذلك الأمر المميز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون . فان كان من صفات الكمال مع أنه حصل الامتياز به لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه بينهما ، وان لم يكن ذلك المميز من صفات الكمال ، فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال ، وذلك نقصان . فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن الاله الواحد كاف في تدبير العالم والايجاد ، وأن الزائد يجب نفيه فهذه الطريقة هي التي ذكرها الله تعالى ههنا في تقرير التوحيد . وأما التمسك بدليل التمانع فقد ذكرناه في سورة البقرة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ تمسك أصحابنا بقوله (خالق كل شيء ﴾ على أنه تعالى هو الخالق لأعمال العباد قالوا : أعمال العباد أشياء ، والله تعالى خالق كل شيء بحكم هذه الآية . فوجب كونه تعالى خالقا لها واعلم أنا أطنبنا الكلام في هذا الدليل في كتاب الجبر والقدر ، ونكتفي ههنا من تلك الكلمات بنكت قليلة . قالت المعتزلة : هذا اللفظ ، وان كان عاما إلا انه حصل مع هذه الآية وجوه تدل على أن أعمال العباد خارجة عن هذا العموم . فأحدهما : أنه تعالى قال (خالق كل شيء فاعبدوه) فلو دخلت أعمال العباد تحت قوله (خالق كل شيء)

لصار تقدير الآية : أنا خلقت أعمالكم فافعلوها بأعيانها أنتم مرة أخرى . ومعلوم أن ذلك فاسد . وثانيها : أنه تعالى إنما ذكر قوله (خالق كل شيء) في معرض المدح والثناء على نفسه ، فلو دخل تحته أعمال العباد لخرج عن كونه مدحا وثناء لأنه لا يليق به سبحانه أن يتمدح بخلق الزنا واللواط والسرقة والكفر ، وثالثها : أنه تعالى قال بعد هذه الآية (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه) ومن عمى فعليها ، وهذا تصريح بكون العبد مستقلا بالفعل والترك ، وأنه لا مانع له البتة من الفعل والترك ، وذلك يدل على أن فعل العبد غير مخلوق لله تعالى إذ لو كان مخلوقا لله تعالى لما كان العبد مستقلا به ، لأنه إذا أوجده الله تعالى امتنع منه الدفع ، وإذا لم يوجده الله تعالى امتنع منه التحصيل . فلما دلت هذه الآية على كون العبد مستقلا بالفعل والترك وثبت أن كونه كذلك يمنع أن يقال فعل العبد مخلوق لله تعالى ، ثبت أن ذكر قوله (فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها) يوجب تخصيص ذلك العموم . ورابعها : ان هذه الآية مذكورة عقيب قوله (وجعلوا لله شركاء الجن) وقد بينا أن المراد منه رواية مذهب المجوس في إثبات الهين للعالم . أحدهما يفعل اللذات والخيرات ، والآخر يفعل الآلام والآفات فقوله بعد ذلك (لا إله إلا هو خالق كل شيء) يجب أن يكون محمولا على ابطال ذلك المذهب ، وذلك إنما يكون إذا قلنا انه تعالى هو الخالق لكل ما في هذا العالم من السباع والحشرات والأمراض والآلام ، فاذا حملنا قوله (خالق كل شيء) على هذا الوجه لم يدخل تحته أعمال العباد . قالوا : فثبت أن هذه الدلائل الأربعة توجب خروج أعمال العباد عن عموم قوله تعالى (خالق كل شيء)

والجواب : أنا نقول الدليل العقلي القاطع قد ساعد على صحة ظاهر هذه الآية . وتقريره أن الفعل موقوف على الداعي وخالق الداعي هو الله تعالى ، ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل وذلك يقتضي كونه تعالى خالقا لأفعال العباد ، وإذا تأكد هذا الظاهر بهذا البرهان العقلي القاطع زالت الشكوك والشبهات .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قوله تعالى (خالق كل شيء فاعبدوه) يدل على ترتيب الأمر بالعبادة على كونه تعالى خالقا لكل الأشياء بفاء التعقيب وترتيب الحكم على الوصف بحرف الفاء مشعر بالسببية ، فهذا يقتضي أن يكون كونه تعالى خالقا للأشياء هو الموجب لكونه معبودا على الاطلاق ، والاله هو المستحق للمعبودية ، فهذا يشعر بصحة ما يذكره بعض أصحابنا من أن الاله عبارة عن القادر على الخلق والابداع والايجاد والاختراع

﴿ المسألة الخامسة ﴾ احتج كثير من المعتزلة بقوله (خالق كل شيء) على نفي الصفات ، وعلى كون القرآن مخلوقا . أما نفي الصفات فلأنهم قالوا : لو كان تعالى عالما بالعلم قادرا بالقدرة ، لكان ذلك العلم والقدرة إما أن يقال : إنهما قديمان . أو محدثان ، والأول باطل . لأن عموم قوله (خالق كل شيء) يقتضي كونه خالقا لكل الأشياء أدخلنا

التخصيص في هذا العموم بحسب ذاته تعالى ضرورة أنه يمتنع أن يكون خالقا لنفسه ، فوجب ان يبقى على عمومه فيما سواه ، والقول باثبات الصفات القديمة يقتضي مزيد التخصيص في هذا العموم ، وأنه لا يجوز . والثاني : وهو القول بحدوث علم الله وقدرته . فهو باطل بالاجماع ، ولأنه يلزم افتقار إيجاد ذلك العلم والقدرة إلى سبق علم آخر وقدرة أخرى ، وأن ذلك محال . وأما تمسكهم بهذه الآية على كون القرآن مخلوقا . فقالوا : القرآن شيء وكل شيء فهو مخلوق لله تعالى بحكم هذا العموم ، فلزم كون القرآن مخلوقا لله تعالى أقصى ما في هذا الباب أن هذا العموم دخله التخصيص في ذات الله تعالى ، إلا أن العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص ، ولذلك فان دخول هذا التخصيص في هذا العموم لم يمنع أهل السنة من التمسك به في إثبات أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى .

وجواب أصحابنا عنه : أنا نخصص هذا العموم بالدلائل الدالة على كونه تعالى عالما بالعلم قادرا بالقدرة ، وبالدلائل الدالة على أن كلام الله تعالى قديم .

﴿ المسألة السادسة ﴾ قوله تعالى (وهو على كل شيء وكيل) المراد من أن يحصل للعبد كمال التوحيد وتقريره ، وهو أن العبد وإن كان يعتقد أنه لا إله إلا هو ، وأنه لا مدبر إلا الله تعالى ، إلا أن هذا العالم عالم الأسباب .

وسمعت الشيخ الامام الزاهد الوالد رحمه الله يقول : لولا الأسباب لما ارتاب مرتاب . واذا كان الأمر كذلك فقد يعلق الرجل القلب بالأسباب الظاهرة ، فتارة يعتمد على الأمير ، وتارة يرجع في تحصيل مهماته إلى الوزير ، ، فحينئذ لا ينال إلا الحرمان ولا يجد إلا تكثير الأحزان ، والحق تعالى قال (وهو على كل شيء وكيل) والمقصود أن يعلم الرجل أنه لا حافظ إلا الله ، ولا مصلح للمهمات إلا الله ، فحينئذ ينقطع طمعه عن كل ما سواه ، ولا يرجع في مهم من المهمات إلا اليه .

﴿ المسألة السابعة ﴾ أنه قال : قبل هذه الآية بقليل (وخلق كل شيء) وقال ههنا (خالق كل شيء) وهذا كالتكرار .

والجواب من وجوه : الأول : أن قوله (وخلق كل شيء) إشارة إلى الماضي .

أما قوله ﴿ خالق كل شيء ﴾ فهو اسم الفاعل ، وهو يتناول الأوقات كلها ، والثاني : وهو التحقيق أنه تعالى ذكر هناك قوله (وخلق كل شيء) ليجعله مقدمة في بيان نفي الأولاد ، وههنا ذكر قوله (خالق كل شيء) ليجعله مقدمة في بيان أنه لا معبود إلا هو ، والحاصل أن هذه المقدمة مقدمة توجب أحكاما كثيرة ونتائج مختلفة ، فهو تعالى يذكرها مرة بعد مرة ، ليفرع

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾

عليها في كل موضع ما يليق بها من النتيجة .

﴿ **المسألة الثامنة** ﴾ لقائل أن يقول : الاله هو الذي يستحق أن يكون معبودا ، فقوله (لا إله إلا هو) معناه لا يستحق العبادة إلا هو ، فما الفائدة في قوله بعد ذلك (فاعبدوه) فان هذا يوهم التكرير .

والجواب : قوله (لا إله إلا هو) أي لا يستحق العبادة إلا هو ، وقوله (فاعبدوه) أي لا تعبدوا غيره .

﴿ **المسألة التاسعة** ﴾ القوم كانوا معترفين بوجود الله تعالى كما قال (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وما أطلقوا لفظ الله على أحد سوى الله سبحانه ، كما قال تعالى (هل تعلم له سميا) فقال (ذلكم الله ربكم) أي الشيء الموصوف بالصفات التي تقدم ذكرها هو الله تعالى ، ثم قال بعده (ربكم) يعني الذي يربيكم ويحسن اليكم بأصناف التربية ووجوه الاحسان ، وهي أقسام بلغت في الكثرة إلى حيث يعجز العقل عن ضبطها ، كما قال (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)

ثم قال ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ يعني أنكم لما عرفتم وجود الاله المحسن المتفضل المتكرم فاعلموا أنه لا إله سواه ولا معبود سواه .

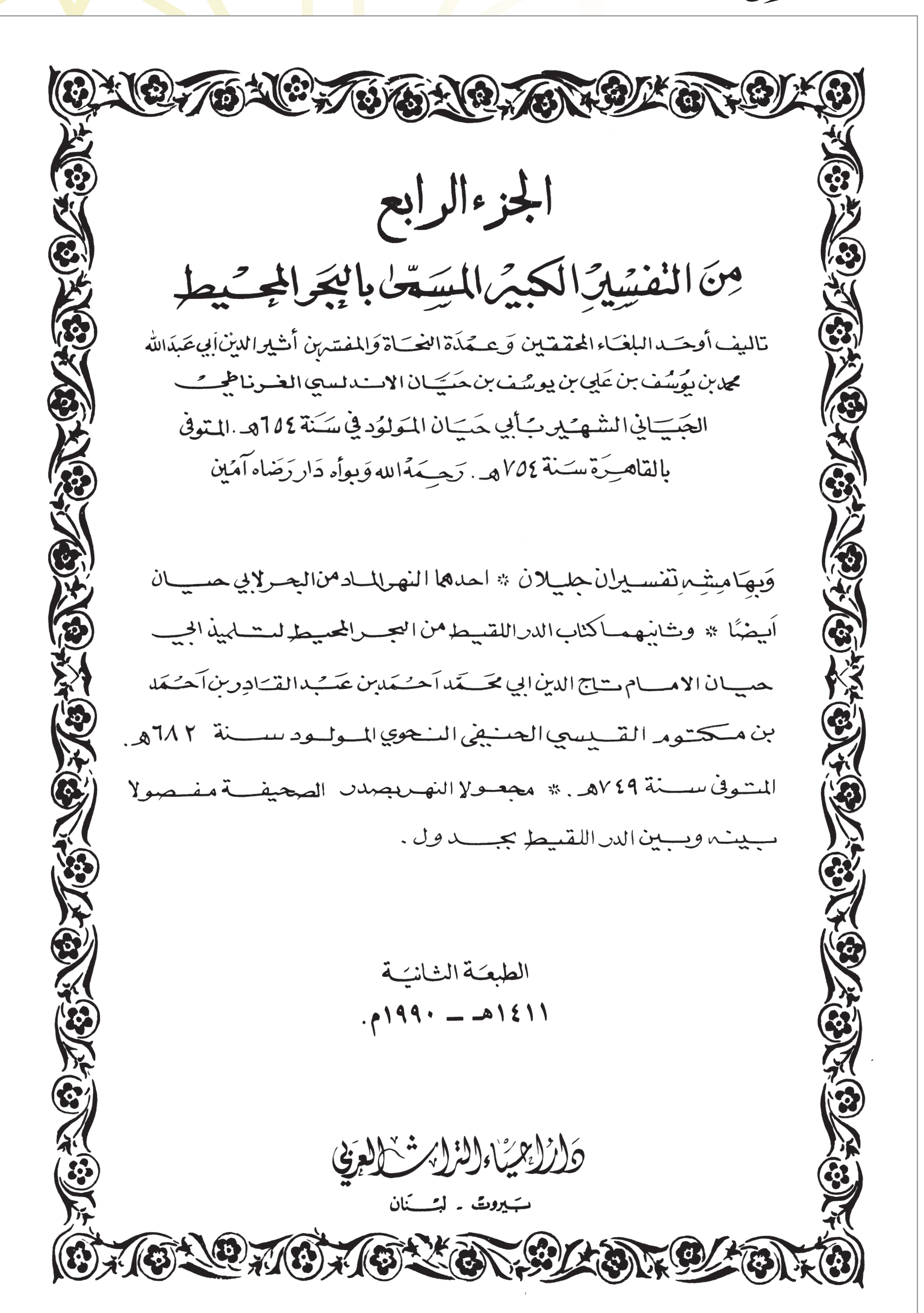
ثم قال ﴿ **خالق كل شيء** ﴾ يعني أنما صح قولنا : لا إله سواه ، لأنه لا خالق للخلق سواه ، ولا مدبر للعالم إلا هو ، فهذا الترتيب ترتيب مناسب مفيد .

قوله تعالى ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾

في هذه الآية مسائل :

﴿ **المسألة الأولى** ﴾ احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى تجوز رؤيته المؤمنين . يرونه يوم القيامة من وجوه : الأول : في تقرير هذا المطلوب أن نقول : هذه الآية تدل على أنه تعالى تجوز رؤيته .

وإذا ثبت هذا وجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة .



الجزء الرابع

من التفسير الكبير المسمّى بالبحر المحيط

تاليف أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان المولود في سنة ٦٥٤ هـ. المتوفى بالقاهرة سنة ٧٥٤ هـ. رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسيران جليلان * احدهما النهر الماد من البحر لابي حيان ايضا * وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ ابي حيان الامام تاج الدين ابي محمد احمد بن عبد القادر بن احمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ هـ. المتوفى سنة ٧٤٩ هـ. * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول.

الطبعة الثانية
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

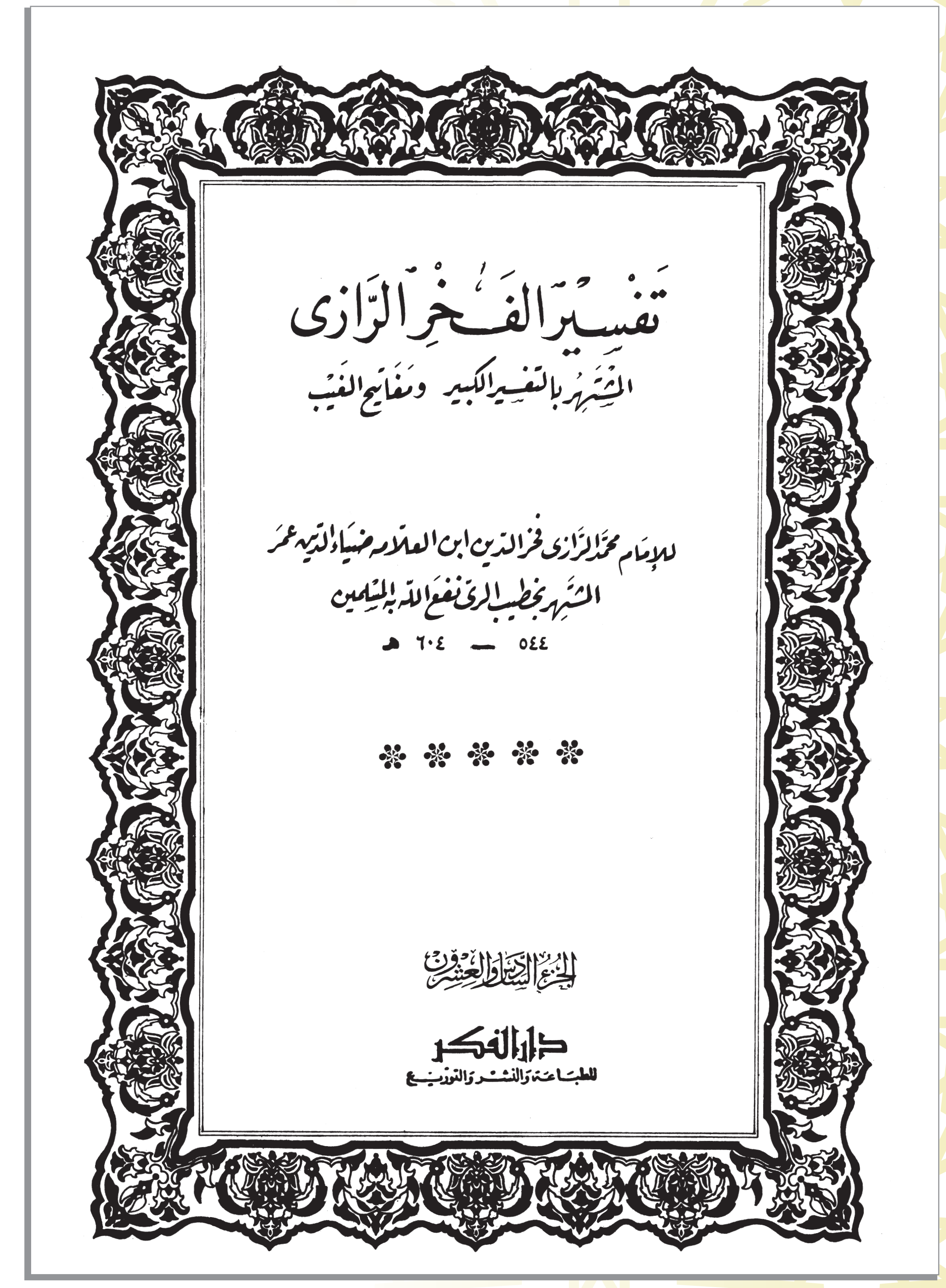
دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

رحمة وحذفت لدلالة الأول عليه فيكون تذكير الضمير فى فلا مرسل له من بعده حملا على لفظ ماوأنث فى فلا ممسك لها حملا على معنى مالان معناها الرحمة وقرىء فلا مرسل لها بتأنيث الضمير (٢٩٧) وهودليل على أن التفسيرهو من رحمة وحذف لدلالة ماقبله عليه ﴿ ياأيها الناس ﴾ خطاب لقريش وهو متجه لكل مؤمن وكافر ثم استفهم على جهة التقرير ﴿ هل من خالق غيرالله ﴾ أى فلا إله إلا الخالق لاماتعبدون أنتم من الاصنام وقرىء غير بالخفض نعتا على اللفظ وغير بالرفع نعتا على الموضع ومن زائدة وخالق مبتدأ وخبره محذوف لدلالة المعنى تقديره لكم ﴿ وان يكذبوك ﴾ تقدّم الكلام عليه ﴿ ان وعد الله حق ﴾ شامل لجميع ماوعدمن ثواب وعقاب وغير ذلك ﴿ فلاتغرنكم ﴾ تقدم الكلام عليه فى لقمان ﴿ ان الشيطان لكم عدوّ ﴾ عداوته سبقت لأبينا آدم عليه السلام ﴿ وليكونوا من أصحاب السعير ﴾ اللام فيه للتعليل فدعاؤه حزبه ليشتركوا معه فى النار ولتظهر ثمرة اغوائه ثم اتبع حزبه بما أعدلهم من العذاب وذكر بعد ذلك ماأعد لأهل الايمان ليظهر التباين بين الفريقين ﴿ أفمن زين له ﴾ من مبتدأ موصول بمعنى الذى وخبره محذوف تقديره كمن لم يزين له سوء عمله ﴿ فان الله يضل من يشاء ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فلاتذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ الحسرة هم النفس على فوات أمر وانتصب حسرات على أنه مفعول من أجله أى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم متعلق بتذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات

(٣٨ – تفسير البحر المحيط لابى حيان – سابع)

من بعده وهو العزيز الحكيم * ياأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غيرالله يرزقكم من السماء والأرض لا إله الا هو فانى تؤفكون * وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور * ياأيها الناس ان وعد الله حق فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو احزبه ليكونوا من أصحاب السعير * الذين كفروا لهم عذاب شديد * والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير * أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلاتذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون ﴾ هذه السورة مكية ولماذكر تعالى فى آخر السورة التى قبلها هلاك المشركين أعداء المؤمنين وأنزلهم منازل العذاب تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه ووصفه بعظيم آلائه كما فى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * وقرأ الضحاك والزهرى فطر جعله فعلا ماضيا ونصب مابعده * قال أبو الفضل الرازى فاما على اضمار الذى فيكون نعتا لله عز وجل واما بتقدير قد فيما قبله فيكون بمعنى الحال انتهى وحذف الموصول الاسمى لايجوز عند البصريين وأما الحال فيكون حالا محكية والأحسن عندى أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو فطر وتقدم شرح فاطر السموات والأرض وأن المعنى خالقها بعدأن لم تكن والسموات والارض عبارة عن العالم * وقال أبو عبدالله الرازى الحمد يكون فى غالب الامر على النعمة ونعم الله عاجلة والحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى أن النعمة العاجلة ودليله هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا والحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب اشارة إليها أيضا وهى الاتقاء فان الاتقاء والصلاح بالشرع والكتاب والحمد فى سورة سبأ اشارة الى نعمة الايجاد والحشر ودليله يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وقوله وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة وهنا اشارة الى نعمة البقاء فى الآخرة دليله وتتلقاهم الملائكة ففاطر السموات والارض شاقهما النزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض دليله جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة أى فى ذلك اليوم فاول هذه السورة متصل بآخر مامضى لان كما فعل باشياعهم من قبل بيان لانقطاع رجاء من كان فى شك مريب ولماذكر حالهم ذكر حال المؤمن وبشره بارسال الملائكة إليهم مبشرين وانه يفتح لهم أبواب الرحمة * وقرأ الحسن جاعل بالرفع أى هو جاعل وعبدالوارث عن أبى عمرو جاعل رفعا بغير تنوين الملائكة نصبا حذف التنوين لالتقاء الساكنين * وقرأ ابن يعمر وخليد بن نشيط جعل فعلا ماضيا الملائكة نصبا وذلك بعد قراءته فاطر بالف والجر كقراءة من قرأ فالق الاصباح وجعل الليل سكنا * وقرأ الحسن وحميد بن قيس رسلا باسكان السين وهى لغة تميم * وقال الزمخشرى وقرىء الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة فمن قرأ فطر وجعل فينبغى أن تكون هذه الجمل إخبارا من العبد الى ماأسداه الينا من النعم كما تقول الفضل لزيد احسن الينا بكذا خولنا كذا يكون ذلك جهة بيان لفعله الجميل كذلك يكون فى قوله فطر جعل لان فى ذلك نعما لاتحصى ومن قرأ وجاعل فالاظهر أنهما انما

قوم يسفهونه بفعل القبائح و يجوز أن يخلق خلقا لا لغرض وقوله لا لغرض و يظلمونه بتكليف مالا يطاق و يجسمونه بكونه مرئيا مدركا بالحاسة و يثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة و يجعلون له أندادا باثباتهم معه قدما انتهى وكلام من قبله على طريقة المعتزلة والظاهر أن الرؤية من رؤية البصر وان وجوههم مسودة جملة فى موضع الحال وفيها رد على الزمخشرى اذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية المشتملة على ضمير ذى الحال شاذ وتبع فى ذلك الفراء وقد أعرب هو هذه الجملة حالا فكأنه رجع عن مذهبه ذلك وأجاز أيضا أن تكون من رؤية القلب ووجوههم مسودة جملة فى موضع الحال وفيها رد على الزمخشرى اذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية فى موضع المفعول الثانى وهو بعيد لان تعلق البصر برؤية الاجسام وألوانها أظهر من تعلق القلب وقرئ وجوههم مسودة بنصبهما فوجوههم بدل بعض من كل * وقرأ أبى أجوههم بابدال الواو همزة والظاهر أن الاسوداد حقيقة كما مر فى قوله فأما الذين اسودت وجوههم * وقال ابن عطية و يحتمل أن يكون فى العبارة تجوز وعبر بالسواد عن ارتداد وجوههم وغالب همهم وظاهر كآبتهم ولما ذكر تعالى حال الكاذبين على الله ذكر حال المتقين أى الكذب على الله وغيره مما يؤول بصاحبه الى اسوداد وجهه وفى ذلك الترغيب فى هذا الوصف الجليل الذى هو التقوى * قال السدى بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم قيل لا يمسهم السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى بمنجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسرا ابن عباس رضى الله عنه المفازة بالاعمال الحسنة و يجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة و يجوز أن يسمى العمل الصالح بنفسه مفازة لانه سببها (فان قلت) لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف وأما على الثانى فحله النصب على الحال انتهى * وقرأ الجمهور بمفازتهم على الافراد والسلمى والحسن والاعرج والاعمش وحمزة والكسائى وأبو بكر على الجمع من حيث النجاة أنواع والاسباب مختلفة * قال أبو على المصادر تجمع اذا اختلفت أجناسها كقوله وتظنون بالله الظنونا * وقال الفراء كلا القراءتين صواب تقول قد تبين أمر الناس وأمور الناس ولما ذكر تعالى الوعد والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد فذكر أنه خالق كل شئ فدل على أعمال العباد لاندراجها فى عموم كل شئ وانه على كل الاشياء قائم لحفظها وتدبيرها * له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس مفاتيح وهذه استعارة كما تقول بيد فلان مفتاح هذا الامر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المقاليد لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي و يميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها و يمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصاب * والذين كفروا بآيات الله وكلماته توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون * وقال الزمخشرى (فان قلت) بم اتصل قوله والذين كفروا (قلت) بقوله و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بان خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها لا يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين منها وما يستحقون عليها من الجزاء وان له مقاليد السموات الارض * قال أبو عبد الله الرازى وهذا عندى ضعيف من وجهين الاول ان وقوع الفاصل



تفسير الفخر الرازي

المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين

٥٤٤ — ٦٠٤ هـ

* * * * *

الجزء السادس والعشرون

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾

الإمساك قال لا ممسك لها ، ولم يقل غير الله لأن الرحمة إذا جاءت لا ترتفع فان من رحمه الله فى الآخرة لا يعذبه بعدها هو ولا غيره ، ومن يعذبه الله فقد يرحمه الله بعد العذاب كالفساق من أهل الإيمان .

قوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أى كامل القدرة ﴿ الحكيم ﴾ أى كامل العلم .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ لما بين أن الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التى تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الإجمال فقال (اذكروا نعمة الله) وهى مع كثرتها منحصرة فى قسمين نعمة الإيجاد ، ونعمة الإبقاء .

قوله تعالى : ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ إشارة إلى نعمة الإيجاد فى الابتداء .

قوله تعالى : ﴿ يرزقكم من السماء والأرض ﴾ إشارة إلى نعمة الإبقاء بالرزق إلى الانتهاء .

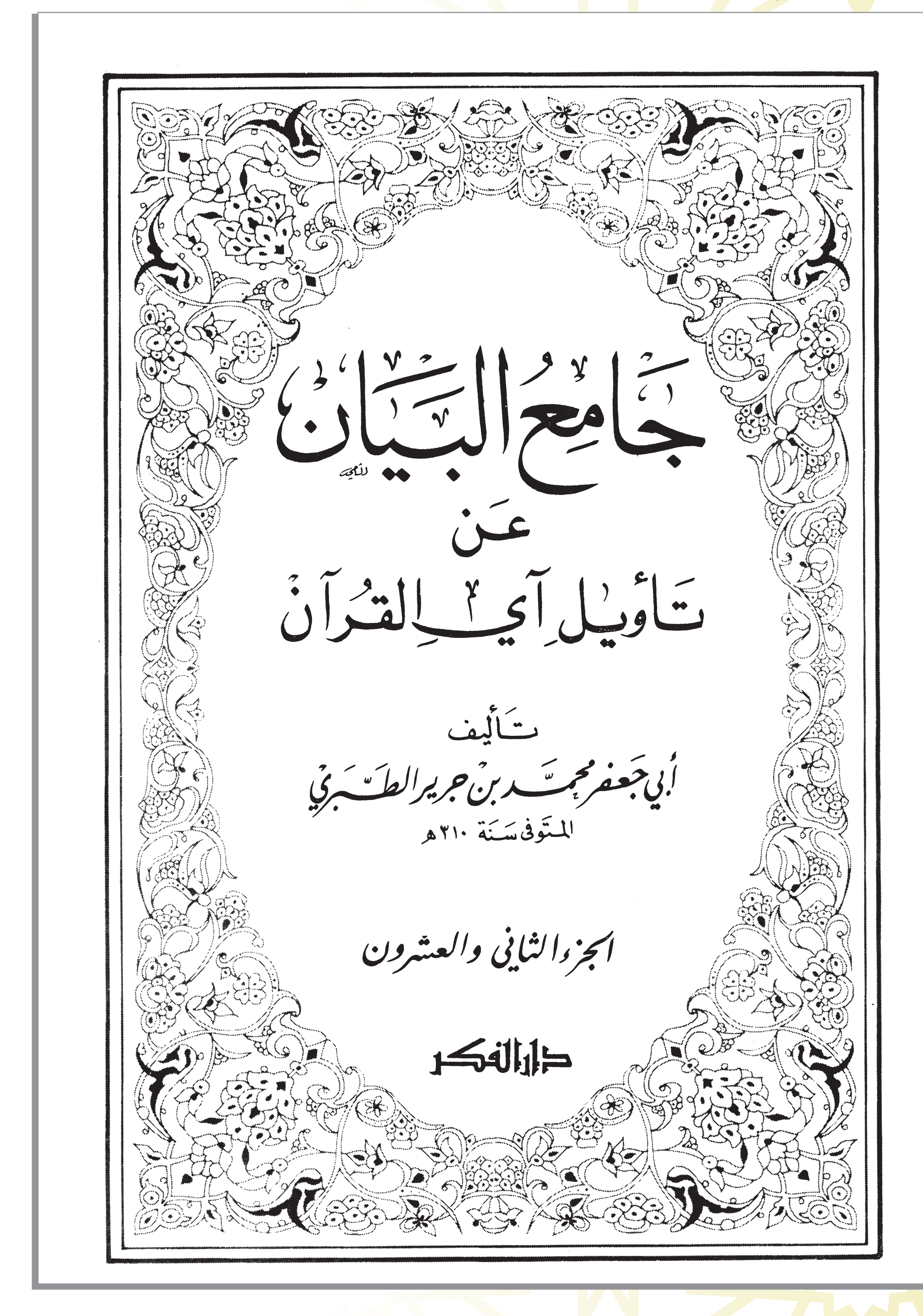
ثم بين أنه ﴿ لا إله إلا هو ﴾ نظراً إلى عظمته حيث هو عزيز حكيم قادر على كل شىء قدير نافذ الإرادة فى كل شىء ولا مثل لهذا ولا معبود لذاته غير هذا ونظراً إلى نعمته حيث لا خالق غيره ولا رازق إلا هو .

قوله تعالى : ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ أى كيف تصرفون عن هذا الظاهر ، فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت .

ثم لما بين الأصل (الأول) وهو التوحيد ذكر الأصل (الثانى) وهو الرسالة فقال تعالى ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ﴾ .

ثم بين من حيث الإجمال أن المكذب فى العذاب . والمكذب له الثواب بقوله تعالى ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ ثم بين الأصل (الثالث) وهو الحشر .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾


جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثاني والعشرون

دار الفكر

يقول : إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ماشاء من ذلك فيما شاء ، ونقصان ماشاء منه ممن شاء ، وغير ذلك من الأشياء كلها ، لايمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده ، فما يفتح الله للناس من خير فلا مُغلق له ، ولا ممسك عنهم ، لأن ذلك أمره لايستطيع أمره أحد ، وكذلك مايغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ، ولا يفتحه لهم ، فلا فاتح له سواه ، لأن الأمور كلها إليه وله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

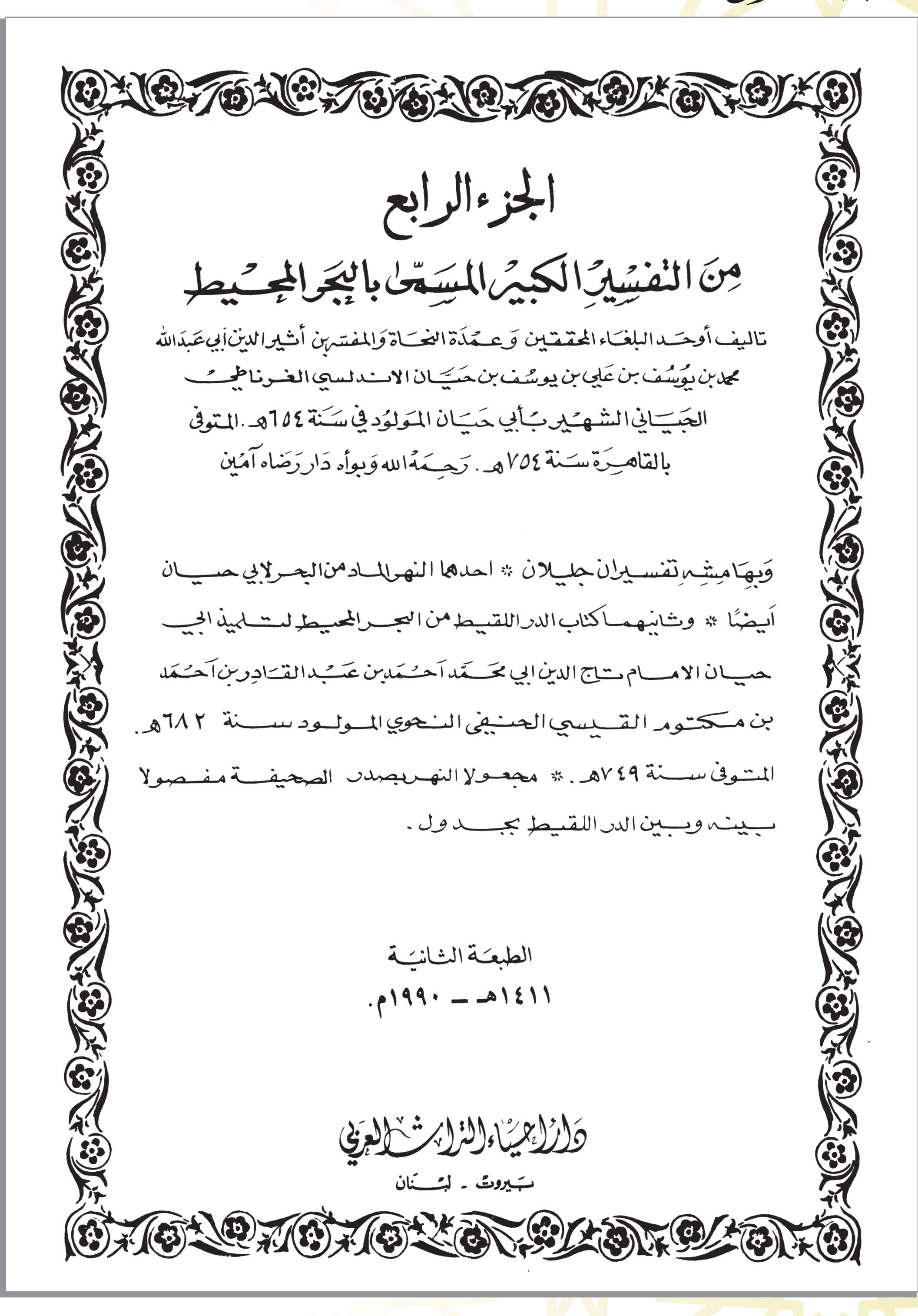
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يَفْتَحِ اللهُ للنَّاس مِنْ رَحْمَةٍ) : أى من خير (فَلا مُمْسِكَ لَهَا) فلا يستطيع أحد حبسها (وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) وقال تعالى ذكره (فَلا مُمْسِكَ لَهَا) فأنث ما لذكر الرحمة من بعده ، وقال (وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) فذكر للفظ « ما » لأن لفظه لفظ مذكر ، ولو أنّث فى موضع التذكير للمعنى ، وذكر فى موضع التأنيث للفظ جاز ، ولكنّ الأفصح من الكلام التأنيث إذا ظهر بعد ما يدلّ على تأنيثها والتذكير إذا لم يظهر ذلك .

وقوله (وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) يقول : وهوالعزيز فى نِقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته ، الحكيم فى تدبير خلقه ، وفتحه لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحا ، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُرَيْش (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ التى أنعمها (عَلَيْكُم) بفتحه لكم من خيراته مافتح وبَسْطِهِ لكم من العيش مابسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السموات والأرض الذى بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها (يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) فتعبدوه دونه (لا إلَهَ إلاَّ هُوَ) يقول : لامعبود تنبغى له العبادة إلا الذى فطر السموات



الجزء الرابع

من التفسير الكبير المسمّى بالبحر المحيط

تاليف أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان المولود في سنة ٦٥٤هـ. المتوفى بالقاهرة سنة ٧٥٤هـ. رحمة الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسيران جليلان * احدهما النهر الماد من البحر لابي حيان ايضا * وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ ابي حيان الامام تاج الدين ابي محمد احمد بن عبد القادر بن احمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢هـ. المتوفى سنة ٧٤٩هـ. * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول.

الطبعة الثانية
١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

دار إحياء التراث العربي
بيروت ـ لبنان

(٢٦٢)

وهو النبي الذي يعظمه أهل الشرائع والديانات وتزعم كفار قريش أنهم على دينه فرد تعالى عليهم بقوله وما كان من المشركين وانتصب دينا على اضمار عرفني لدلالة هداني عليه أو باضمار هداني أو باضمار اتبعوا وألزموا أو على أنه مصدر لهداني على المعنى كأنه قال اهتداء أو على البدل من الى صراط على الموضع لانه يقال هديت القوم الطريق قال الله تعالى ويهديك صراطا مستقيما * وقرأ الكوفيون وابن عامر قيما وتقدم توجيهه في أوائل سورة النساء * وقرأ باقي السبعة قيما كسيد وملة بدل من قوله دينا وحنيفا تقدم اعرابه في قوله بل ملة ابراهيم حنيفا في سورة البقرة * وقال ابن عطية وحنيفا نصب على الحال من ابراهيم ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ الظاهر ان الصلاة هي التي فرضت عليه * وقيل صلاة الليل * وقيل صلاة العيد لمناسبة النسك * وقيل الدعاء والتذلل والنسك يطلق على الصلاة أيضا وعلى العبادة وعلى الذبيحة وأما في الآية فقال ابن عباس وابن جبير ومجاهد وابن قتيبة هي الذبائح التي تذبح لله وجمع بينهما كما قال فصل لربك وانحر ويؤيد ذلك انها نازلة قد تقدم ذكرها والجدال فيها في السورة * وقال الحسن الدين والمذهب * وقيل العبادة الخالصة ومعنى ومحياي ومماتي لله انه لا يملكهما الا الله أو حياتي لطاعته ومماتي رجوعي الى جزائه أو ما آتيه في حياتي من العمل الصالح وما أموت عليه من الايمان لله ثلاثة أقوال * وقال أبو عبد الله الرازي معنى كونهما لله لخلق الله وهذا يدل على ان طاعة العبد مخلوقة لله انتهى * وقال ابن عطية أمره تعالى أن يعلن أن مقصده في صلاته وطاعاته من ذبيحة وغيرها وتصرفه مدة حياته وحاله من الاخلاص والايمان عند مماته انما هو لله عز وجل وارادة وجهه وطلبه رضاه وفي اعلان النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المقالة ما يلزم المؤمنين التأسي به حتى يلزموا في جميع أعمالهم قصد وجهه عز وجل وله تصرفه في جميع ذلك كيف شاء * وقرأ الحسن وأبو حيوة ونسكي باسكان السين وماروى عن نافع من سكون ياء المتكلم في محياي هو جمع بين ساكنين أجرى الوصل فيه مجرى الوقف والأحسن في العربية الفتح * قال أبو علي هي شاذة في القياس لانها جمعت بين ساكنين وشاذة في الاستعمال ووجهها انه قد سمع من العرب التقت حلقتا البطان ولفلان بيتا المال وروى أبو خالد عن نافع ومحياي بكسر الياء * وقرأ ابن أبي اسحاق وعيسى والجحدري ومحيي على لغة هذيل كقول أبي ذؤيب * سبقوا هوي * وقرأ عيسى بن عمر صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي بفتح الياء وروى ذلك عن عاصم من سكون ياء المتكلم ﴿ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ الظاهر نفي كل شريك فهو عام في كل شريك فتخصيص ذلك بما قيل من انه لا شريك له في العالم أو لا شريك له فيما أتقرب به من العبادة أو لا شريك له في الخلق والتدبير أو لا شريك فيما شاء من أفعاله الأولى بها أن تكون على جهة التمثيل لا على التخصيص حقيقة والاشارة بذلك الى ما بعد الأمر بقل انني هداني ربي قل ان صلاتي وما بعدها أو الى قوله لا شريك له فقط أقوال ثلاثة أظهرها الأول والألف واللام في المسلمين للعهد ويعني به هذه الأمة لان اسلام كل نبي سابق على اسلام أمته لانهم منه يأخذون شريعته قاله قتادة * وقيل من العرب * وقيل من أهل مكة * وقال الكلبي أولهم في هذا الزمان * وقيل أولهم في المزية والرتبة والتقدم يوم القيامة * وقيل مذ كنت نبيا كنت مسلما كنت نبيا وآدم بين الماء والطين * وقال أبو عبد الله الرازي معناه من المسلمين لقضاء الله وقدره اذ من المعلوم انه ليس أولا لكل مسلم انتهى وفيه الغاء لفظ أول ولا تلغى

فكان يجب عليهم اتباع أبيهم ابراهيم اذ هو النبي المجمع على تعظيمه من سائر الطوائف ﴿ قل ان صلاتي ﴾ ظاهره العموم من الصلاة المفروضة وغيرها ﴿ ونسكي ﴾ قال ابن عباس هي الذبائح التي تذبح لله تعالى وجمع بينهما كما جمع بينهما في قوله تعالى فصل لربك وانحر ومعنى ﴿ ومحياي ومماتي لله ﴾ أنه لا يملكهما الا الله ﴿ لا شريك له ﴾ عام والاشارة بذلك الظاهر أنه لقوله قل انني هداني ربي الآية الالف واللام في المسلمين للعهد ويعني به هذه الامة لان اسلام كل نبي سابق على اسلام أمته لانهم منه يأخذون شريعته

﴿و بئس المصير ﴾ المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس المصيرهى أى جهنم ﴿فلم تقتلوهم﴾ الآية لما رجع الصحابة من بدر ذكروا مفاخرهم فيقول القائل قتلت وأسرت فنزلت قال الزمخشري والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم انتهى وليست الفاء جواب شرط محذوف كما زعم وانما هى للربط بين الجمل لانه لما قال فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان كان امتثال ما أمروا به سببا للقتل فقيل فلم تقتلوهم أى لستم مستبدين بالقتل لان الاقدار عليه والخلق له انما هو لله تعالى ليس للقاتل فيها شئ لكنه أجرى على يده (٤٧٦) فنفى عنهم ايجاد القتل وأثبته لله تعالى وعطف الجملة المنفية بما على الجملة المنفية بلم لان لم نفى للماضى وان كان بصورة المضارع ﴿ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾ قال ابن عباس قبض رسول الله صلى الله عليه يوم بدر قبضة من تراب فرماهم بها وقال شاهت الوجوه أى قبحت فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه وفيه ومنخريه منها شئ ومجئ لكن هنا فى الموضعين أحسن مجئ لكونها بين نفى واثبات فالمثبت لله تعالى هو المنفى عنهم وهو حقيقة القتل ﴿وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا﴾ قال السدى ينصرهم وينعم عليهم يقال أبلاه اذا أنعم عليه وبلاه اذا امتحنه والبلاء يستعمل للخير والشر والبلاء الحسن قيل بالنصر والغنيمة وقيل بالشهادة واللام فى ليبلى تتعلق بمحذوف بعد الواو تقديره وفعلنا ذلك أى قتلهم ورميهم أو مقدر آخر الجملة تقديره بلاء حسنا فعلنا ذلك ﴿ان الله سميع﴾ أى لكلامكم وما تفخرون به ﴿عليم﴾ بما انطوت عليه الضمائر

استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وانا فئتكم * قال ثعلب العكارون العطافون * وقال غيره يقال للرجل الذى يولى عن الحرب لم يكن راجعا عكر واعتكر * وعن ابن عباس رضى الله عنهما الفرار من الزحف من أكبر الكبائر وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا السبع الموبقات وعد فيها الفرار من الزحف وفى التحرير التولى الذى وقع عليه الوعيد هو الفرار مع المصابرة على الثبات فأما اذا جاءه من لا يستطيع معه الثبات فليس ذلك بالفرار انتهى وما أحسن ما اعتذر الحرث بن هشام إذ فر فقيل فيه

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمره ولجام

* وقال الحرث من أبيات

وعلمت أنى ان أقاتل واحدا * أقتل ولم يضرر عدوى مشهدى

واستدل القاضى بهذه الجملة الشرطية على وعيد الفساق من أهل الصلاة لانها دلت على أن من انهزم الا فى هاتين الحالتين استوجب غضب الله ومأواه جهنم قال وليس للمرجئة أن يحملوا ذلك على الكفار كما فعلوا فى آيات الوعيد لان ذلك مفتتح باهل الصلاة وهو قوله ياأيها الذين آمنوا انتهى ولا حجة فى ذلك لانه عام مخصوص والظاهر أنه يجوز التحيز سواء عظم العسكر أم لا * وقيل لا يجوز اذا عظم والظاهر أن الفرار من الزحف بغير شرطه كبيرة للتوعد ولذلك قال ابن القاسم لا تقبلوا شهادة من فر من الزحف وان فر امامهم ومن فر فليستغفر الله ففى الترمذى من قال أستغفر الله الذى لا إله الا هو الحى القيوم غفر له وان كان قد فر من الزحف ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم﴾ لما رجع الصحابة من بدر ذكروا مفاخرهم فيقول القائل قتلت وأسرت فنزلت * قال الزمخشرى والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لأنه هو الذى أنزل الملائكة وألقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع انتهى وليست الفاء جواب شرط محذوف كما زعم وانما هى للربط بين الجمل لأنه لما قال فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان كان امتثال ما أمروا به سببا للقتل فقيل فلم تقتلوهم أى لستم مستبدين بالقتل لأن الاقدار عليه والخالق له انما هو الله ليس للقاتل فيها شئ لكنه أجرى على يده

(الدر) فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (خ) والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لأنه هو الذى أنزل الملائكة وألقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع (ح) ليست الفاء جواب شرط محذوف كما زعم وانما هى للربط بين الجمل لأنه قال فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان كان امتثال ما أمروا به سببا للقتل فقيل فلم تقتلوهم أى لستم مستبدين بالقتل لان الاقدار عليه والخلق له انما هو لله تعالى ليس للقاتل

(٤٧٧)

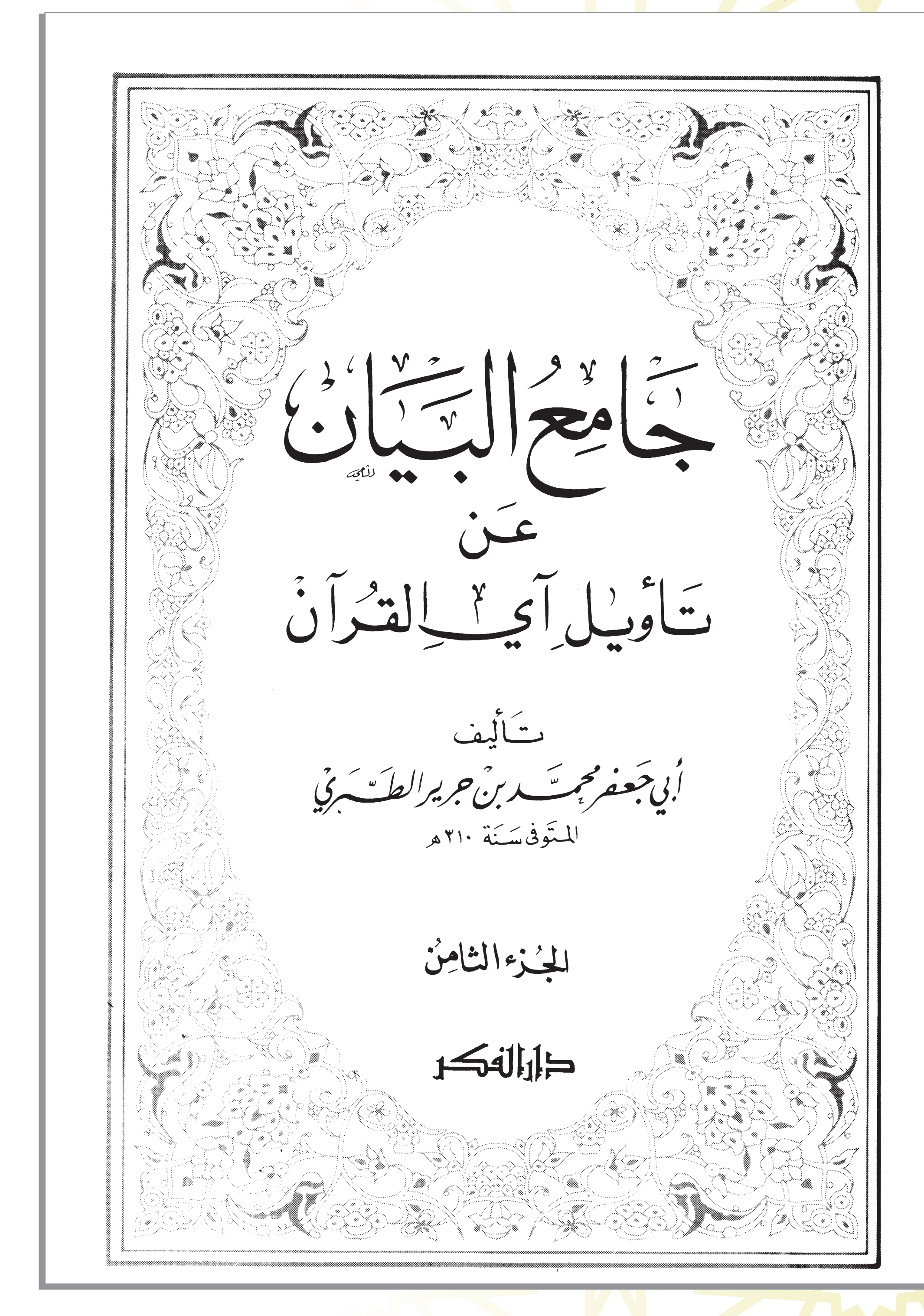
فنفى عنهم ايجاد القتل وأثبت لله وفى ذلك رد على من زعم أن أفعال العباد خلق لهم ومجىء لكن هنا أحسن مجىء لكونها بين نفى واثبات فالمثبت لله هو المنفى عنهم وهو حقيقة القتل ومن زعم أن أفعال العباد مخلوقة لهم أول الكلام على معنى فلم يتسببوا القتل كم اياهم ولكن الله قتلهم لأنه هو الذى أنزل الملائكة الى آخر كلامه وعطف الجملة المنفية بما على الجملة المنفية بلم لأن لم نفى للماضى وان كان بصورة المضارع لان لنفى الماضى طريقين احداهما ان تدخل ما على لفظه والأخرى ان تنفيه بلم فتأتى بالمضارع والأصل هو الأول لأن النفى ينبغى أن يكون على حسب الايجاب وفى الجملة مبالغة من وجهين أحدهما أن النفى جاء على حسب الايجاب لفظا الثانى ان نفى ما صرح باثباته وهو قوله وما رميت اذ رميت ولم يصرح فى قوله فلم تقتلوهم بقوله اذ قتلتموهم وانما بولغ فى هذا لان الرمى كان أمرا خارقا للعادة معجزا آية من آيات الله على أى وجه فسر الرمى لانهم اختلفوا فيه * فقال ابن عباس قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قبضة من تراب فقال شاهت الوجوه أى قبحت فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه وفيه ومنخريه منها شئ * وقال حكيم بن حرام فسمعنا صوتا من السماء كأنه صوت حصاة وقعت فى طست فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزموا * وقال أنس رمى ثلاث حصيات يوم بدر واحدة فى ميمنة القوم وواحدة فى ميسرتهم وثالثة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا * وقيل الرمى هنا رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحربة على أبى بن خلف يوم أحد * قال ابن عطية وهذا ضعيف لان الآية نزلت عقب بدر وعلى هذا القول تكون أجنبية مما قبلها وبعدها وذلك بعيد * وقيل المراد السهم الذى رمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حصن خيبر فسار فى الهوى حتى أصاب ابن أبى الحقيق وهذا فاسد والصحيح فى صورة قتل ابن أبى الحقيق غير هذا وقوله وما رميت نفى واذ رميت اثبات فاحتيج الى تأويل وهو ان يغاير بين الرميين فالمنفى الاصابة والظفر والمثبت الارسال * وقيل المنفى ازهاق الروح والمثبت أثر الرمى وهو الجرح وهذان القولان متقاربان * وقيل ما استبددت بالرمى اذ أرسلت التراب لان الاستبداد به هو فعل الله حقيقة وارسال التراب منسوب اليه كسبا كان المعنى وما رميت الرمى الكافى اذ رميت ونحوه قول العباس بن مرداس

وقد كنت فى الحرب ذا تدرإ * فلم أعط شيأ ولم أمنع

أى لم أعط شيأ مرضيا * وقيل متعلق المنفى الرعب ومتعلق المثبت الحصيات أى وما رميت الرعب فى قلوبهم اذ رميت الحصيات * وقال الزمخشرى يعنى أن الرمية التى رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم فأثبت الرمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورة الرمى وجدت منه ونفاها عنه لان أثرها الذى لا يطيقه البشر فعل الله فكان الله تعالى هو فاعل الرمى حقيقة وكأنها لم توجد من الرسول أصلا انتهى وهو راجع لمعنى القولين أولا وتقدم خلاف الفراء فى لكن وما بعدها عند قوله ولكن الشياطين كفروا وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا * قال السدى ينصرهم وينعم عليهم يقال أبلاه اذا أنعم عليه وبلاه اذا امتحنه والبلاء يستعمل للخير والشر ووصفه بحسن يدل على النصر والعزة * قال الزمخشرى وليعطيهم عطاء جميلا كما قال * فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو * انتهى والبلاء الحسن قيل بالنصر والغنيمة * وقيل بالشهادة لمن استشهد يوم بدر وهم أربعة عشر رجلا منهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب ومهجع مولى عمر ومعاذ وعمرو ابنا عفراء أنه

(الدر)

فيها شئ لكنه أجرى على يده فنفى عنه ايجاد القتل وأثبت لله تعالى


جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن
تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ
الجزء الثامن
دار الفكر

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام (إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول: قل لهم : إننى أرشدنى ربى إلى الطريق القويم ، هو دين الله الذى ابتعثه به ، وذلك الحنيفية المسلمة ، فوفقنى له (دِينا قِيَما) يقول: مستقيما (مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ) يقول : دين إبراهيم (حَنِيفا) يقول : مستقيما (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : وما كان من المشركين بالله ، يعنى : إبراهيم صلوات الله عليه ، لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (دِينا قِيَما) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة ، وبعض البصريين (دِينا قَيِّماً) بفتح القاف وتشديد الياء إلحاقا منهم ذلك بقول الله (ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ)وبقوله(ذلكَ دِينُ القَيِّمَةِ) ، وقرأ ذلك عامَّة قرّاء الكوفيين (دِينا قِيَما) بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها، وقالوا : القَيِّمُ والقِيَم بمعنى واحد ، وهما لغتان معناهما : الدين المستقيم .

والصواب من القول فى ذلك عندى، أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار ، متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ ، فهو للصواب مصيب ، غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب إلىّ ، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما . ونصب قوله (دِينا) على المصدر من معنى قوله (إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وذلك أن المعنى هدانى ربى إلى دين قويم ، فاهتديت له دينا قيما ، فالدين منصوب من المحذوف الذى هو اهتديت الذى ناب عنه قوله (إننى هَدَانى رَبِّى إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . وقال بعض نحويى البصرة : إنما نصب ذلك لأنه لما قال (هَدَانِي رَبى إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قد أخبر أنه عرف شيئا ، فقال (دِينا قَيِّما) كأنه قال : عرفت دينا قيما ملة إبراهيم . وأما معنى الحنيف ، فقد بينته فى مكانه فى سورة البقرة بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان، والأصنام ،الذين يسألونك أن تتَّبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان (إنَّ صَلَاتى وَنُسُكي)

يقول : وذبحى (وَمَحْيَايَ) يقول : وحياتى (وَمَمَاتِى) يقول : ووفاتى (لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) يعنى أن ذلك كله له خالصا دون ما أشركتم به أيها المشركون من الأوثان (لاشَرِيكَ لَهُ) فى شَىْءٍ من ذلك من خلقه ، ولالشىء منهم فيه نصيب ، لأنه لاينبغى أن يكون ذلك إلا له خالصا (وبذلكَ أُمِرْتُ)يقول : وبذلك أمرنى ربى (وأنا أوَّلُ المُسْلِمِينَ) يقول : وأنا أوّل من أقرّ وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه ، بأن ذلك كذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال : النسك فى هذا الموضع : الذبح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد (إنَّ صَلاتى ونُسُكى) قال : النسك : الذبائح فى الحجّ والعُمرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ونُسُكى) : ذبيحتى فى الحجّ والعُمرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ونُسُكى) : ذبيحتى فى الحجّ والعُمرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، وليس بابن أبى خالد ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (صَلاتى ونُسُكى) قال : ذبحى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن إسماعيل ، عن سعيد ابن جبير ، فى قوله (صَلاتى ونُسُكى) قال : ذبيحتى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن جبير ، قال ابن مهدى : لاأدرى من إسماعيل هذا (صَلاتى ونَسُكى) قال : صلاتى وذبيحتى .

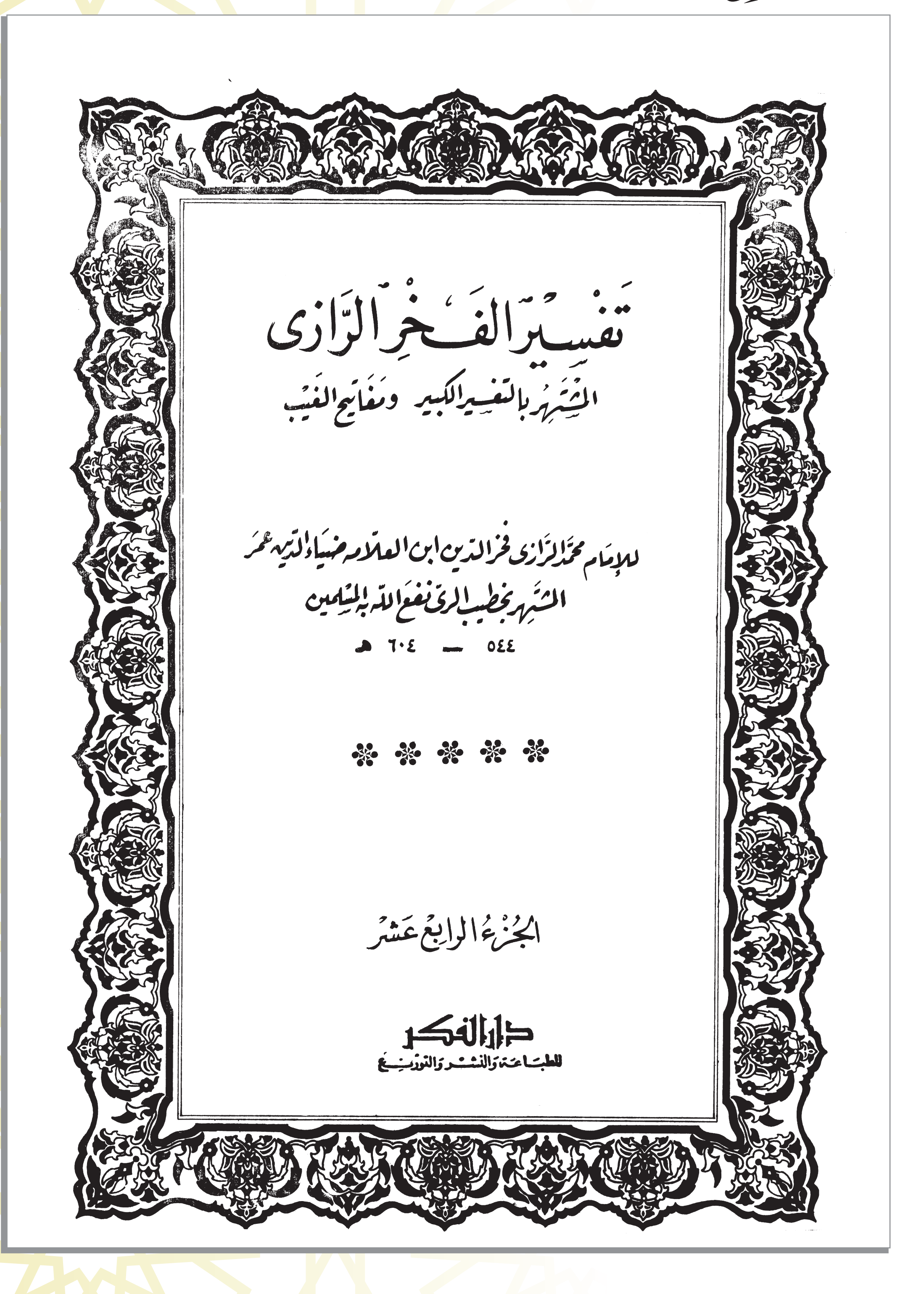
حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثورىّ ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (صَلاتى ونُسُكى) قال : وذبيحتى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ونُسُكى) قال ذبحى .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله : (ونُسُكى) قال : ذبيحتى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (صَلاتى ونُسُكى) قال : الصلاة : الصلاة ، والنسك : الذبح .

وأما قوله (وأنا أوَّلُ المُسْلِمِينَ) فإن محمد بن عبد الأعلى حدثنا ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة (وأنا أوَّلُ المُسْلِمِينَ) قال : أوّل المسلمين من هذه الأمة .



تفسير الفخر الرازي

المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين
٥٤٤ — ٦٠٤ هـ

* * * * *

الجزء الرابع عشر

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٢ قوله تعالى «قل ان صلاتي ونسكي » الآية سورة الأنعام

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

اعلم أنه تعالى لما علم رسوله أنواع دلائل التوحيد ، والرد على القائلين بالشركاء والانداد والاضداد وبالغ في تقرير إثبات التوحيد ، والرد على القائلين بالشركاء والانداد والاضداد ، وبالغ في تقرير إثبات التوحيد والنافين للقضاء والقدر ، ورد على أهل الجاهلية في أباطيلهم ، أمره أن يختم الكلام بقوله (إنني هداني ربي الى صراط مستقيم) وذلك يدل على أن الهداية لا تحصل إلا بالله وانتصب دينا لوجهين : أحدهما : على البدل من محل صراط لأن معناه هداني ربي صراطا مستقيما كما قال (ويهديك صراطا مستقيما) والثاني : أن يكون التقدير الزموا دينا ، وقوله : فيما قال صاحب الكشاف القيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم ، وقرأ أهل الكوفة قيما مكسورة القاف خفيفة الياء قال الزجاج : هو مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر والحول والشبع ، والتأويل دينا ذا قيم ووصف الدين بهذا الوصف على سبيل المبالغة ، وقوله (ملة ابراهيم حنيفا) فقوله (ملة) بدل من قوله (دينا قيما) وحنيفا منصوب على الحال من إبراهيم ، والمعنى هداني ربي وعرفني ملة إبراهيم حال كونها موصوفة بالحنيفية ، ثم قال في صفة إبراهيم (وما كان من المشركين) والمقصود منه الرد على المشركين

قوله تعالى ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾

إعلم أنه تعالى كما عرفه الدين المستقيم عرفه كيف يقوم به ويؤديه فقوله (قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين) يدل على أنه يؤديه مع الاخلاص وأكده بقوله (لا شريك له) وهذا يدل على أنه لا يكفي في العبادات أن يؤتى بها كيف كانت بل يجب ان يؤتى بها مع تمام الاخلاص وهذا من أقوى الدلائل على أن شرط صحة الصلاة أن يؤتى بها مقرونة بالاخلاص .

أما قوله ﴿ ونسكي ﴾ فقيل المراد بالنسك الذبيحة بعينها ، يقول : من فعل كذا فعليه نسك . أى دم يهريقه ، وجمع بين الصلاة والذبح ، كما في قوله (فصل لربك وانحر) وروى ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال : النسك سبائك الفضة ، كل سبيكة منها نسيكة ، وقيل :

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

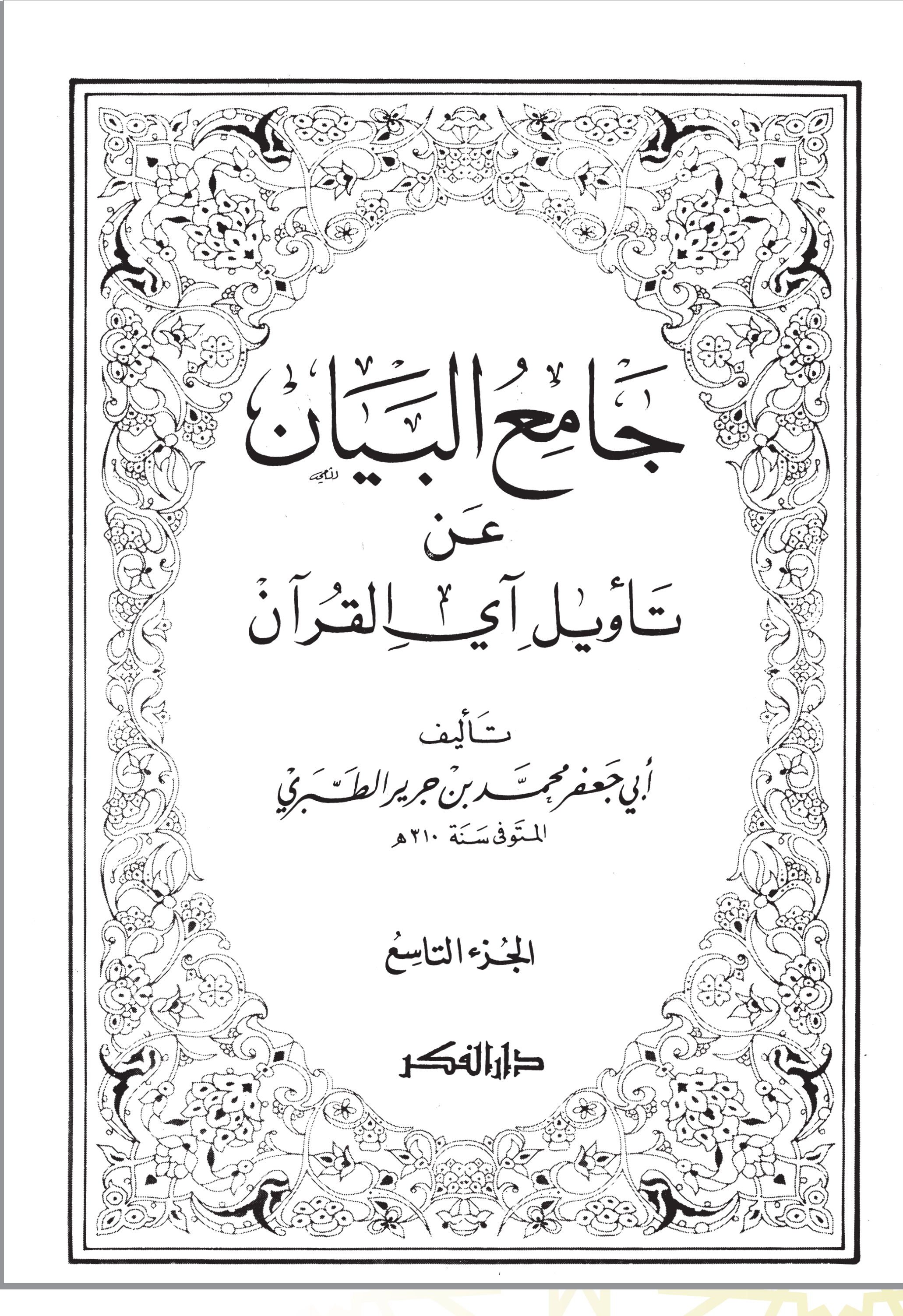
للمتعبد ناسك ، لانه خلص نفسه من دنس الآثام ، وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ، وعلى هذا التأويل ، فالنسك كل ما تقربت به الى الله تعالى . إلا أن الغالب عليه في العرف الذبح وقوله (محياى ومماتي) أى حياتي وموتي لله ،

واعلم أنه تعالى قال ﴿ إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين ﴾ فأثبت كون الكل لله ، والمحيا والممات ليسا لله بمعنى أنه يؤتى بهما لطاعة الله تعالى ، فان ذلك محال ، بل معنى كونهما لله أنهما حاصلان بخلق الله تعالى ، فكذلك أن يكون كون الصلاة والنسك لله مفسرا بكونهما واقعين بخلق الله ، وذلك من أدل الدلائل على أن طاعات العبد مخلوقة لله تعالى . وقرأ نافع (محياى) ساكنة الياء ونصبها في مماتي ، وإسكان الياء في محياى شاذ غير مستعمل ، لأن فيه جمعا بين ساكنين لا يلتقيان على هذا الحد في نثر ولا نظم ، ومنهم من قال : إنه لغة لبعضهم ، وحاصل الكلام أنه تعالى أمر رسوله أن يبين أن صلاته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى ، وتقديره وقضائه وحكمه ، ثم نص على أنه لا شريك له في الخلق ، والتقدير : ثم يقول وبذلك أمرت أى وبهذا التوحيد أمرت .

ثم يقول ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ أى المستسلمين لقضاء الله وقدره ، ومعلوم أنه ليس أولا لكل مسلم ، فيجب أن يكون المراد كونه أولا لمسلمي زمانه .

قوله تعالى ﴿ قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾

اعلم أنه تعالى لما أمر محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد المحض ، وهو أن يقول (إن صلاتي ونسكي) الى قوله (لا شريك له) أمره بأن يذكر ما يجرى الدليل على صحة هذا التوحيد ، وتقريره من وجهين : الأول : أن أصناف المشركين أربعة ، لأن عبدة الأصنام أشركوا بالله ، وعبدة الكواكب أشركوا بالله والقائلون : بيزدان ، وأهرمن . وهم الذين قال الله في حقهم (وجعلوا لله شركاء الجن) أشركوا بالله والقائلون : بأن المسيح ابن الله والملائكة


جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن
تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ
الجزء التاسع
دار الفكر

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن جرير بن حازم ، قال : ثنى قيس بن سعيد ، قال : سألت عطاء بن أبى رباح ، عن قوله (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) قال : هذه منسوخة بالآية التى فى الأنفال (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ) قال : وليس لقوم أن يفروا من مثليهم ، قال : ونسخت تلك إلا هذه العدّة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، قال : لما قتل أبو عبيد جاء الخبر إلى عمر ، فقال : يا أيها الناس أنا فئتكم ، قال ابن المبارك ، عن معمر وسفيان الثورى وابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : قال عمر رضى الله عنه : أنا فئة كلّ مسلم .

وقال آخرون : بل هذه الآية حكمها عامّ فى كلّ من ولى الدبر عن العدوّ منهزما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : أكبر الكبائر : الشرك بالله ، والفرار من الزحف ، لأن الله عزّ وجلّ يقول : (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ .. فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

وأولى التأويلين فى هذه الآية بالصواب : عندى قول من قال : حكمها محكم ، وأنها نزلت فى أهل بدر ، وحكمها ثابت فى جميع المؤمنين ، وإن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدوّ أن يولوهم الدبر منهزمين ، إلا لتحرّف القتال ، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام ، وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزما بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما ، فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه .

وإنما قلنا : هى محكمة غير منسوخة لما قد بيّنّا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره أنه لايجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ ، وله فى غير النسخ وجه ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر ، أو حجة عقل ، ولا حجة من هذين المعنيين تدلّ على نسخ حكم قول الله عزّ وجلّ (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ، أَوْ مُتَحَيِّزًا إلى فِئَةٍ) .

وأما قوله (فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ) يقول : فقد رجع بغضب من الله (وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ) يقول : ومصيره الذى يصير إليه فى معاده يوم القيامة جهنم وبئس المصير ، يقول : وبئس الموضع الذى يصير إليه ذلك المصير .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

❊ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش ، فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم ، ولكن الله قتلهم ، وأضاف جلّ ثناؤه قتلهم إلى نفسه ، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين ، إذ كان جلّ ثناؤه هو مسبب قتلهم ، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم ،ففى ذلك أدلّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله فى أفعال خلقه صنع به ، وصلوا إليها ،وكذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى)فأضاف الرمى إلى نبيّ الله ، ثم نفاه عنه ، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامى ، إذ كان جلّ ثناؤه هو الموصل المرمى به إلى الذين رمُوا من به المشركين ، والمسبب الرمية لرسوله ، فيقال للمسلمين ماذكرنا ، قد علمتم إضافة الله رمى نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نفسه ، بعد وصفه نبيه به ، وإضافته إليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسبيبه وتسديده ، ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والإرسال ، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة من الله ، الإنشاء والإنجاز بالتسبيب ، ومن الخلق الاكتساب بالقوى ، فلن يقولوا فى أحدهما قولا إلا ألزموا فى الآخر مثله .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ) لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، حين قال : هذا قتلت ، وهذا قتلت (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) قال لمحمد حين حصب الكفار .

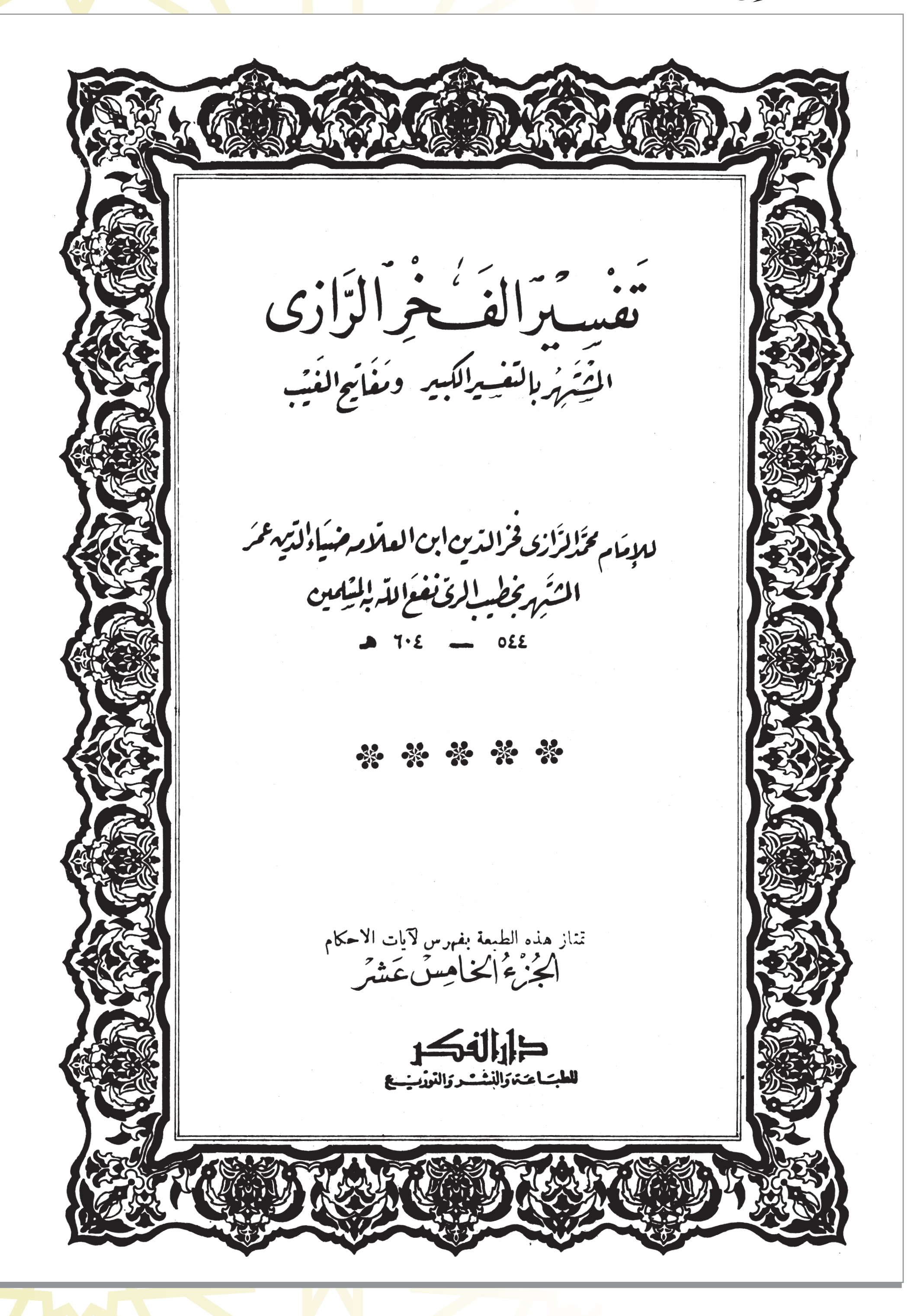
حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى) قال : رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصباء يوم بدر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، قال : ما وقع منها شيء إلا فى عين رجل .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، قال : لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال : هَذِهِ مَصَارِعُهُمْ ، ووجد المشركون النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قد سبقهم إليه ونزل عليه ، فلما طلعوا عليه زعموا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا ، تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مَاوَعَدْتَنِى ؛ فلما أقبلوا استقبلهم ،فحثا فى وجوههم ، فهزمهم الله عزّ وجلّ .

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عمران ، قال : ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة ، عن يزيد بن عبد الله ، عن أبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة ،



تفسير الفخر الرازي

المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين

٥٤٤ — ٦٠٤ هـ

* * * * *

تمتاز هذه الطبعة بفهرس لآيات الاحكام

الجزء الخامس عشر

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

حاصل على الاطلاق ، فنقل عن أبي سعيد الخدرى والحسن وقتادة والضحاك : أن هذا الحكم مختص بمن كان انهزم يوم بدر . قالوا : والسبب في اختصاص يوم بدر بهذا الحكم أمور . أحدها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حاضرا يوم بدر ومع حضوره لا يعد غيره فيه ، أما لأجل انه لا يساوى به سائر الفئات ، بل هو أشرف وأعلى من الكل ، وأما لأجل ان الله تعالى وعده بالنصر والظفر فلم يكن لهم التحيز الى فئة أخرى . وثانيها : انه تعالى شدد الأمر على أهل بدر ، لأنه كان أول الجهاد ولو اتفق للمسلمين انهزام فيه ، لزم منه الخلل العظيم ، فلهذا وجب التشدد والمبالغة ، ولهذا السبب منع الله في ذلك اليوم من أخذ الفداء من الأسرى .

﴿ والقول الثاني ﴾ أن الحكم المذكور في هذه الآية كان عاما في جميع الحروب ، بدليل ان قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا) عام فيتناول جميع السور ، أقصى ما في الباب أنه نزل في واقعة بدر ، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ اختلفوا في أن جواز التحيز الى فئة هل يحظر إذا كان العسكر عظيما أو إنما يثبت إذا كان في العسكر خفة ؟ قال بعضهم : إذا عظم العسكر فليس لهم هذا التحيز . وقال بعضهم : بل الكل سواء . وهذا أليق بالظاهر لأنه لم يفصل .

قوله تعالى ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ﴾

فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال مجاهد : اختلفوا يوم بدر . فقال : هذا أنا قتلت . وقال : الآخر أنا قتلت فأنزل الله تعالى هذه الآية يعني ان هذه الكسرة الكبيرة لم تحصل منكم ، وإنما حصلت بمعونة الله روى أنه لما طلعت قريش ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش . قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك « اللهم اني اسألك ما وعدتني » فنزل جبريل . وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها ، فلما التقى الجمعان ، قال لعلى أعطني قبضة من التراب

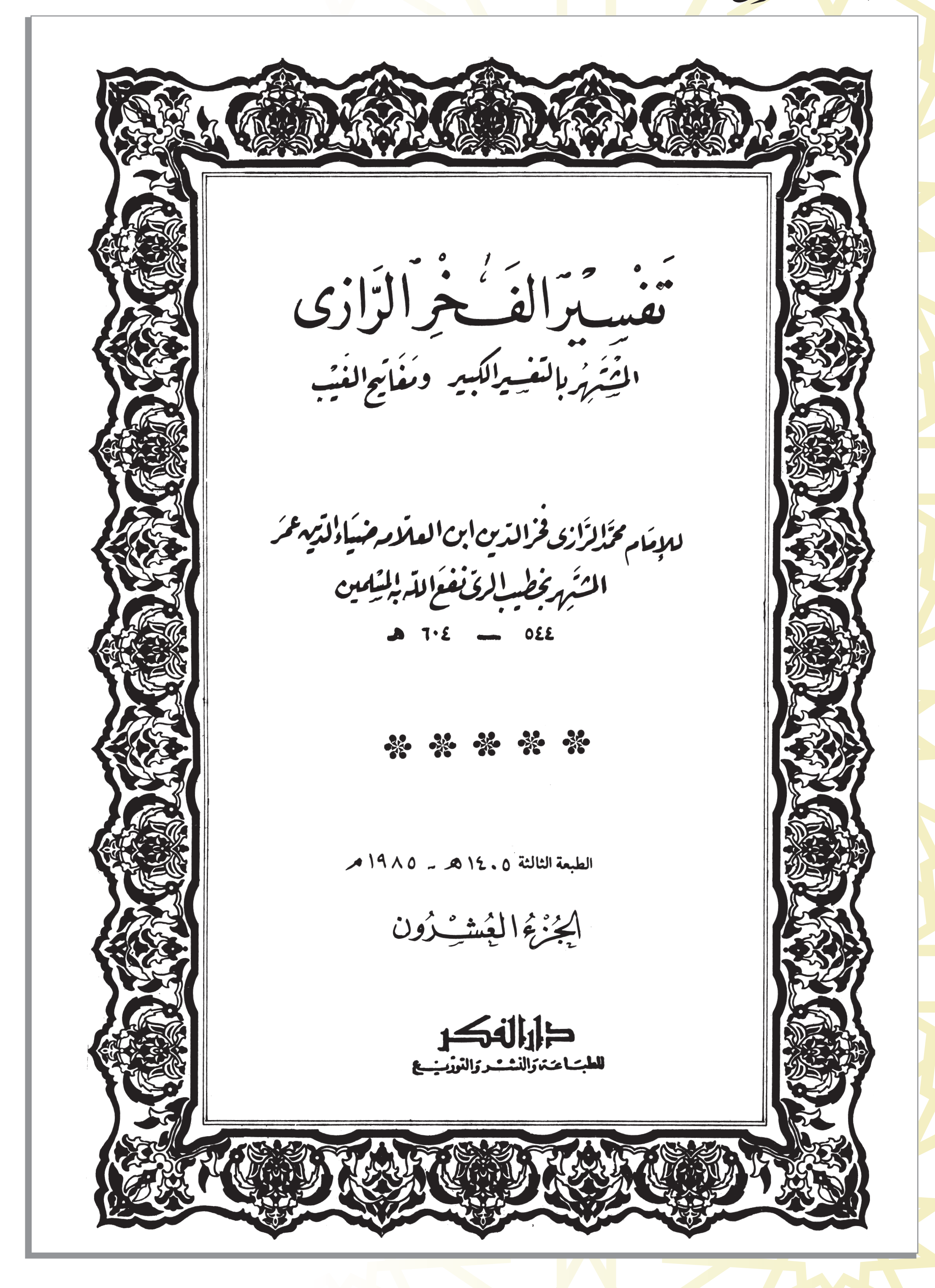
ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ

﴿ المسألة الرابعة ﴾ في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال : الأول : وهو قول أكثر المفسرين انها نزلت في يوم بدر . والمراد أنه عليه السلام أخذ قبضة من الحصباء ، ورمى بها وجوه القوم وقال شاهت الوجوه ، فلم يبق مشرك إلا ودخل في عينيه ومنخريه منها شيء ، فكانت تلك الرمية سببا للهزيمة ، وفيه نزلت هذه الآية : والثاني : أنها نزلت يوم خيبر روى انه عليه الصلاة والسلام اخذ قوساً وهو على باب خيبر فرمى سهماً . فأقبل السهم حتى قتل ابن ابي الحقيق ، وهو على فرسه ، فنزلت (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) والثالث: أنها نزلت في يوم أحد في قتل ابي بن خلف، وذلك أنه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم . وقال يا محمد من يحيى هذا وهو رميم؟ فقال عليه السلام يحييه الله ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار فأسر يوم بدر، فلما افتدى . قال لرسول الله إن عندى فرسا أعتلفها كل يوم فرقا من ذرة ، كي أقتلك عليها . فقال صلى الله عليه وسلم «بل أنا أقتلك إن شاء الله» فلما كان يوم أحد أقبل أبي يركض على ذلك الفرس حتى دنا من الرسول عليه الصلاة والسلام فاعترض له رجال المسلمين ليقتلوه . فقال عليه السلام «استأخروا » ورماه بحربة فكسر ضلعا من أضلاعه ، فحمل فمات ببعض الطريق ففي ذلك نزلت الآية والأصح أن هذه الآية نزلت في يوم بدر، وإلا لدخل في أثناء القصة كلام أجنبي عنها ، وذلك لا يليق بلا لا يبعد ان يدخل تحته سائر الوقائع ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

أما قوله تعالى ﴿ وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ فهذا معطوف على قوله (ولكن الله رمى) والمراد من هذا البلاء الانعام ، أى بنعم عليهم نعمة عظيمة بالنصرة والغنيمة والأجر والثواب ، قال القاضي : ولولا ان المفسرين اتفقوا على حمل الابتلاء ههنا على النعمة ، وإلا لكان يحتمل المحنة بالتكليف فيما بعده من الجهاد . حتى يقال : إن الذى فعله تعالى يوم بدر ، كان السبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات .

ثم إنه تعالى ختم هذا بقوله ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ أى سميع لكلامهم عليم بأحوال قلوبهم ، وهذا يجري مجرى التحذير الترهيب ، لئلا يغتر العبد بظواهر الأمور ، ويعلم ان الخالق تعالى مطلع على كل ما في الضمائر والقلوب .

قوله تعالى ﴿ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن



تفسير الفخر الرازي

المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين

٥٤٤ — ٦٠٤ هـ

* * * * *

الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

الجزء العشرون

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨

البشرية مختلفة بالماهية ، فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعليق بالجسمانيات كثيرة الانجذاب إلى عالم الروحانيات ، وبعضها مظلمة كدرة قوية التعلق بالجسمانيات عديمة الالتفات الى الروحانيات ، ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها ، لا جرم يمتنع انقلابها وزوالها، فلهذا قال تعالى: اشتغل أنت بالدعوة ولا تطمع في حصول الهداية للكل ، فانه تعالى هو العالم بضلال النفوس الضالة الجاهلة وباشراق النفوس المشرقة الصافية ، فلكل نفس فطرة مخصوصة وماهية مخصوصة ، كما قال (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) والله أعلم .

قوله تعالى ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾.

في الآية مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال الواحدي : هذه الآية فيها ثلاثة أقوال :

﴿ القول الأول ﴾ وهو الذي عليه العامة أن النبي ﷺ لما رأى حمزة وقد مثلوا به قال: « والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك » فنزل جبريل عليه السلام بخواتيم سورة النحل فكف رسول الله ﷺ وأمسك عما أراد . وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء وأبى بن كعب والشعبي،وعلى هذا قالوا إن سورة النحل كلها مكية إلا هذه الآيات الثلاث.

﴿ والقول الثاني ﴾ أن هذا كان قبل الأمر بالسيف والجهاد . حين كان المسلمون قد أمروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبدؤا بالقتال وهو قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) وفي هذه الآية أمر الله بأن يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا .

﴿ والقول الثالث ﴾ أن المقصود من هذه الآية نهي المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم ، وهذا قول مجاهد والنخعي وابن سيرين،قال ابن سيرين : إن أخذ منك رجل شيئا فخذ منه مثله ، وأقول : إن حمل هذه الآية على قصة لا تعلق لها بما قبلها يوجب حصول سوء

الترتيب في كلام الله تعالى وذلك يطرق الطعن اليه وهو في غاية البعد ، بل الأصوب عندي أن يقال : المراد أنه تعالى أمر محمداً ﷺ أن يدعو الخلق الى الدين الحق بأحد الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالطريق الأحسن ، ثم إن تلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آبائهم وأسلافهم ، وبالاعراض عنه والحكم عليه بالكفر والضلالة وذلك مما يشوش القلوب ويوحش الصدور ، ويحمل أكثر المستمعين على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة ، وبالضرب ثانيا وبالشتم ثالثا ، ثم إن ذلك المحق إذا شاهد تلك السفاهات ، وسمع تلك المشاغبات لا بد وأن يحمله طبعه على تأديب أولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب ، فعند هذا أمر المحقين في هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة ، فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الآية عليه .

فان قيل : فهل تقدحون فيما روي أنه عليه السلام ترك العزم على المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية ؟

قلنا : لا حاجة إلى القدح في تلك الرواية ، لأنا نقول : تلك الواقعة داخلة في عموم هذه الآية فيمكن التمسك في تلك الواقعة بعموم هذه الآية ، انما الذي ينازع فيه أنه لا يجوز قصر هذه الآية على هذه الواقعة ، لأن ذلك يوجب سوء الترتيب في كلام الله تعالى .

﴿ **المسألة الثانية** ﴾ اعلم أنه تعالى أمر برعاية العدل والانصاف في هذه الآية ورتب ذلك على أربع مراتب :

﴿ **المرتبة الأولى** ﴾ قوله (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) يعني إن رغبتم في استيفاء القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه ، فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله ورحمته وفي قوله (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) دليل على أن الأولى له أن لا يفعل ، كما أنك إذا قلت للمريض : إن كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح ، كان معناه أن الأولى بك أن لا تأكله ، فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض على أن الأولى تركه .

﴿ **المرتبة الثانية** ﴾ الانتقال من التعريض إلى التصريح وهو قوله (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وهذا تصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام، لأن الرحمة أفضل من القسوة والإنفاع أفضل من الايلام .

﴿ **المرتبة الثالثة** ﴾ وهو ورود الأمر بالجزم بالترك وهو قوله (واصبر) لأنه في المرتبة الثانية ذكر أن الترك خير وأولى ، وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالأمر بالصبر ، ولما كان الصبر في هذا المقام شاقا شديدا ذكر بعده ما يفيد سهولته فقال (وما صبرك إلا بالله) أي بتوفيقه

ومعونته وهذا هو السبب الكلي الأصلي المفيد في حصول الصبر وفي حصول جميع أنواع الطاعات . ولما ذكر هذا السبب الكلي الأصلي ذكر بعده ما هو السبب الجزئي القريب فقال: (ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) وذلك لأن إقدام الانسان على الانتقام وعلى إنزال الضرر بالغير،لا يكون إلا عند هيجان الغضب . وشدة الغضب لا تحصل إلا لأحد أمرين : أحدهما : فوات نفع كان حاصلا في الماضي واليه الاشارة بقوله (ولا تحزن عليهم) قيل معناه : ولا تحزن على قتلى أحد ، ومعناه لا تحزن بسبب فوت أولئك الأصدقاء . ويرجع حاصله الى فوت النفع . والسبب الثاني : لشدة الغضب توقع ضرر في المستقبل ، واليه الاشارة بقوله (ولا تك في ضيق مما يمكرون) ومن وقف على هذه اللطائف عرف أنه لا يمكن كلام أدخل في الحسن والضبط من هذا الكلام،بقي في لفظ الآية مباحث :

﴿ **البحث الأول** ﴾ قرأ ابن كثير (ولا تك في ضيق) بكسر الضاد ، وفي النمل مثله ، والباقون : بفتح الضاد في الحرفين . أما الوجه في القراءة المشهورة فأمور : قال أبو عبيدة : الضيق بالكسر في قلة المعاش والمساكن ، وما كان في القلب فانه الضيق . وقال أبو عمرو : الضيق بالكسر الشدة والضيق بفتح الضاد الغم ، وقال القتيبي : ضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولَين . وبهذا الطريق قلنا إنه تصح قراءة ابن كثير .

﴿ **البحث الثاني** ﴾ قرىء (ولا تكن في ضيق)

﴿ **البحث الثالث** ﴾ هذا من الكلام المقلوب ، لأن الضيق صفة ، والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة ، فكان المعنى فلا يكن الضيق فيك ، الا أن الفائدة في قوله (ولا تك في ضيق) هو أن الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالانسان من كل الجوانب وصار كالقميص المحيط به ، فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى والله أعلم .

﴿ **المرتبة الرابعة** ﴾ قوله (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وهذا يجري مجرى التهديد لأن في المرتبة الأولى رغب في ترك الانتقام على سبيل الرمز ، وفي المرتبة الثانية عدل عن الرمز الى التصريح وهو قوله (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وفي المرتبة الثالثة:أمرنا بالصبر على سبيل الجزم ، وفي هذه المرتبة الرابعة كأنه ذكر الوعيد في فعل الانتقام فقال (إن الله مع الذين اتقوا) عن استيفاء الزيادة (والذين هم محسنون) في ترك أصل الانتقام ، فان أردت أن أكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين . ومن وقف على هذا الترتيب عرف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون على سبيل الرفق واللطف مرتبة فمرتبة ، ولما

جَامِعُ البَيَانِ

عَن

تَأويلِ آيِ القُرآنِ

تأليف

أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري

المتوفى سنة ٣١٠هـ

الجزء الرابع عشر

دار الفكر

وقال آخرون : لم يُعْنَ بهاتين الآيتين شيء مما ذكر هؤلاء، وإنما عُنِي بهما أن من ظُلِم بظُلامة، فلا يحلّ له أن ينال ممن ظلمه أكثر مما نال الظالم منه ، وقالوا : الآية محكمة غير منسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن خالد ، عن ابن سيرين (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ به) يقول : إن أخذ منك رجل شيئا ، فخذ منه مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : إن أخذ منك شيئا فخذ منه مثله ؛ قال الحسن : قال عبد الرزاق : قال سفيان : ويقولون : إن أخذ منك دينارا فلا تأخذ منه إلا دينارا ، وإن أخذ منك شيئا فلا تأخذ منه إلا مثل ذلك الشيء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ) لا تعتدوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

❁ والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذى عوقب به ، إن اختار عقوبته ، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته ، على ما كان منه إليه خير وعزم على نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر ، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل ، والتأويلات التى ذكرناها عمن ذكروها عنه ، محتملتها الآية كلها . فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن في الآية دلالة على أيّ ذلك عنى بها من خبر ولا عقل كان الواجب علينا [1] الحكم بها إلى ناطق لا دلالة عليه ؛ وأن يقال : هى آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قِبَلَ غيرهم من حقّ من مال أو نفس ، الحقّ الذى جعله الله لهم إلى غيره ، وأنها غير منسوخة ، إذ كان لا دلالة على نسخها ، وأن للقول بأنها محكمة وجها صحيحا مفهوما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى فى الله ، (وَما صَبْرُكَ إلاّ بالله) يقول : وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله ، وتوفيقه إياك لذلك (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول : ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذّبونك ، وينكرون ما جئتهم به فى آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة (وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) يقول : ولا يضق صدرك

(١) لعله كان الواجب علينا تعميم الحكم بها ، لا تأويلها إلى خاص لا دلالة عليه . . . الخ .

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثاني عشر

دار الفكر

(ما نَشاءُ) ، فمن قرأ ذلك كذلك فلامؤنة فيه ، وكانت أن الثانية حينئذ معطوفة على أن الأولى .

وأما قولهم لشعيب : (إنَّكَ لأنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ) فإنهم أعداء الله ، قالوا ذلك له استهزاء به ، وإنما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام ، وبما قلنا من ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (إنَّكَ لأنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ) قال : يستهزءون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّكَ لأنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ) المستهزءون يستهزءون بأنك لأنت الحليم الرشيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربى فيما أدعوكم إليه من عبادة الله ، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال (وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقا حَسَنا) يعنى حلالا طيبا (وَما أُرِيدُ أنْ أُخالِفَكُمْ إلى ما أنهاكُمْ عَنْهُ) يقول : وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه ، بل لاأفعل إلا بما آمركم به ، ولا أنتهى إلا عما أنهاكم عنه .

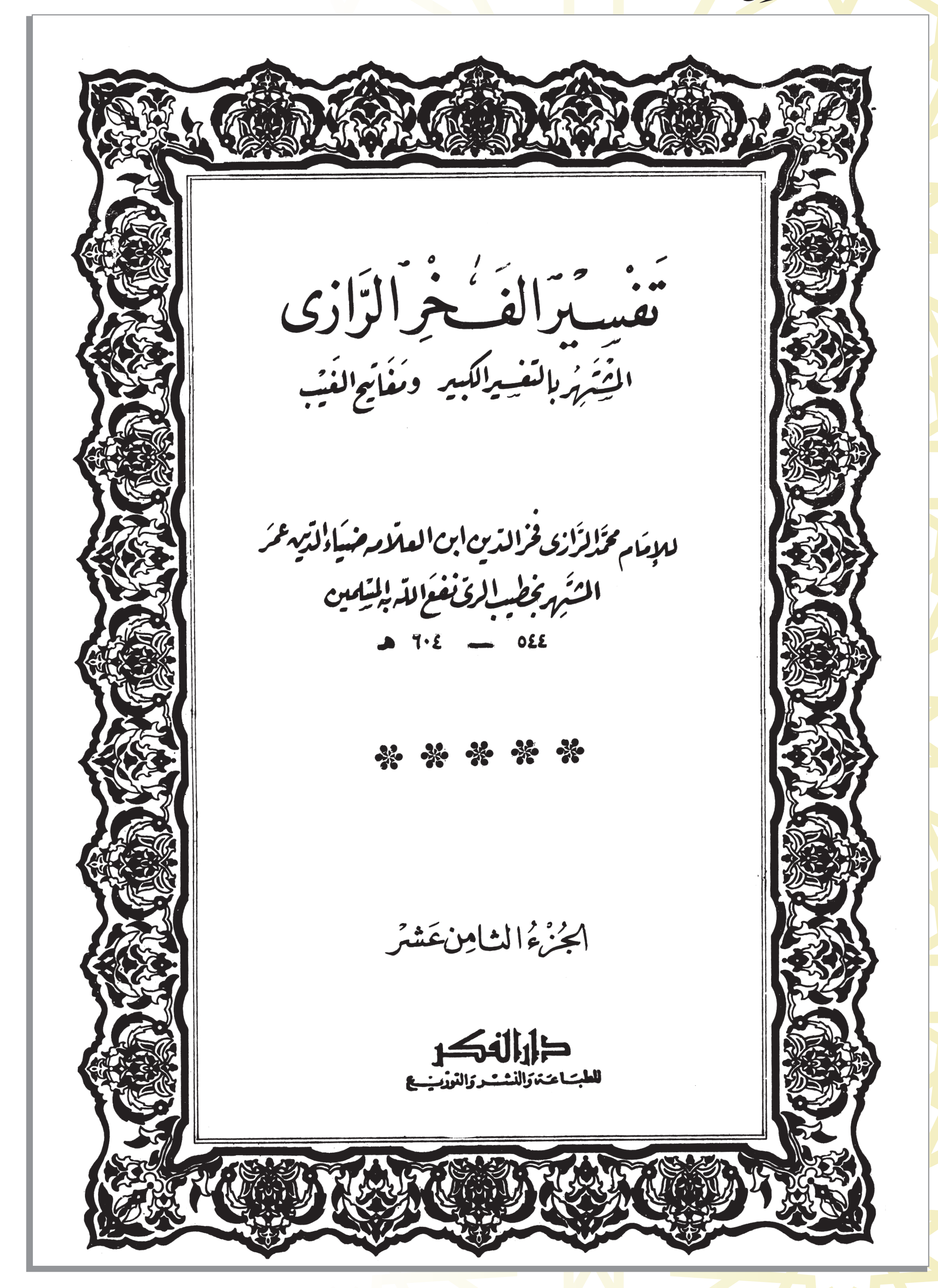
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة (وَما أُرِيدُ أنْ أُخالِفَكُمْ إلى ما أنهاكُم عَنْهُ) يقول : لم أكن لأنهاكم عن أمر أركبه ، أو آتيه (إنْ أُرِيدُ إلاَّ الإصْلاحَ) يقول : ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه ، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم (ما اسْتَطَعْتُ) يقول : ما قدرت على إصلاحه لئلا ينالكم من الله عقوبة منكلة ، بخلافكم أمره ، ومعصيتكم رسوله (وَما تَوْفِيقِى إلاَّ باللهِ) يقول : وما إصابتى الحقّ فى محاولتى إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله ، فإنه هو المعين على ذلك إن لايعنى عليه . لم أصب الحقّ فيه.

وقوله (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) يقول : إلى الله أفوّض آمرى ، فإنه ثقتى وعليه اعتمادى فى أمورى .

وقوله (وَإلَيْهِ أُنِيبُ) وإليه أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإلَيْهِ أُنِيبُ) قال : أرجع .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله.


تفسير الفخر الرازي
المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر
المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين
٥٤٤ — ٦٠٤ هـ

الجزء الثامن عشر

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

يذكر كلاماً فاسداً فيقال له : هذا من مطالعة تلك الكتب على سبيل الهزؤ والسخرية فكذا ههنا .

فان قيل : تقدير الآية : اصلواتك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء . وهم إنما ذكروا هذا الكلام على سبيل الانكار ، وهم ما كانوا ينكرون كونهم فاعلين في أموالهم ما يشاؤن ، فكيف وجه التأويل .

قلنا : فيه وجهان : الأول : التقدير : أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا . وأن نترك فعل ما نشاء ، وعلى هذا فقوله (أو أن نفعل) معطوف على ما في قوله (ما يعبد آباؤنا) والثاني : أن تجعل الصلاة آمرة ناهية والتقدير : أصلواتك تأمرك بأن نترك عبادة الأوثان وتنهاك أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، وقرأ ابن أبي عبلة (أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء) بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل وأنه خير من الحرام الكثير .

ثم قال تعالى حكاية عنهم ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ وفيه وجوه :

﴿ الوجه الأول ﴾ أن يكون المعنى إنك لأنت السفيه الجاهل إلا أنهم عكسوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية به ، كما يقال للبخيل الخسيس لو رآك حاتم لسجد لك .

﴿ والوجه الثاني ﴾ أن يكون المراد إنك موصوف عند نفسك وعند قومك بالحلم والرشد .

﴿ والوجه الثالث ﴾ أنه عليه السلام كان مشهوراً عندهم بأنه حليم رشيد ، فلما أمرهم بمفارقة طريقتهم . قالوا له : إنك لأنت الحليم الرشيد المعروف الطريقة في هذا الباب ، فكيف تنهانا عن دين ألفيناه من آبائنا وأسلافنا ، والمقصود استبعاد مثل هذا العمل ممن كان موصوفاً بالحلم والرشد وهذا الوجه أصوب الوجوه .

قوله تعالى ﴿ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

﴿ المسألة الثانية ﴾ قوله (ورزقني منه رزقاً حسناً) يدل على أن ذلك الرزق إنما حصل من عند الله تعالى وباعانته وأنه لامدخل للكسب فيه ، وفيه تنبيه على أن الاعزاز من الله تعالى والاذلال من الله تعالى ، واذا كان الكل من الله تعالى فأنا لا أبالي بمخالفتكم ولا أفرح بموافقتكم ، وإنما أكون على تقرير دين الله تعالى وايضاح شرائع الله تعالى .

﴿ وأما الوجه الثاني ﴾ من الأجوبة التي ذكرها شعيب عليه السلام فقوله (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) قال صاحب الكشاف : يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ، ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه . فيقول : خالفني إلى الماء ، يريد أنه قد ذهب اليه وارداً وأنا ذاهب عنه صادرا ، ومنه قوله (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم فهذا بيان اللغة ، وتحقيق الكلام فيه أن القوم اعترفوا بأنه حليم رشيد ، وذلك يدل على كمال العقل ، وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الأصوب الأصلح ، فكأنه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا أن الذي اختاره عقلي لنفسي لا بد وأن يكون أصوب الطرق وأصلحها والدعوة إلى توحيد الله تعالى وترك البخس والنقصان يرجع حاصلها إلى جزأين ، التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى وأنا مواظب عليهما غير تارك لها في شيء من الأحوال البتة فلما اعترفتم لي بالحلم والرشد وترون أني لا أترك هذه الطريقة ، فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق ، وأشرف الأديان والشرائع .

﴿ وأما الوجه الثالث ﴾ من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله (إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت) والمعنى ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي ، وقوله (ما استطعت) فيه وجوه : الأول : أنه ظرف . والتقدير : مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهداً . والثاني : أنه بدل من الاصلاح . أي المقدار الذي استطعت منه . والثالث : أن يكون مفعولا له أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت اصلاحه .

واعلم أن المقصود من هذا الكلام أن القوم كانوا قد أقروا بأنه حليم رشيد ، وإنما أقروا له بذلك لأنه كان مشهوراً فيما بين الخلق بهذه الصفة ، فكأنه عليه السلام قال لهم انكم تعرفون من حالي أني لا أسعى إلا في الاصلاح وازالة الفساد والخصومة ، فلما أمرتكم بالتوحيد وترك ايذاء الناس ، فاعلموا أنه دين حق وانه ليس غرضي منه إيقاع الخصومة واثارة الفتنة ، فانكم تعرفون أني أبغض ذلك الطريق ولا أدور إلا على ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتي ، وذلك هو الابلاغ والانذار ، وأما الاجبار على الطاعة فلا أقدر عليه ، ثم انه عليه السلام أكد

ذلك بقوله (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب) وبين بهذا أن توكله واعتماده في تنفيذ كل الأعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته .

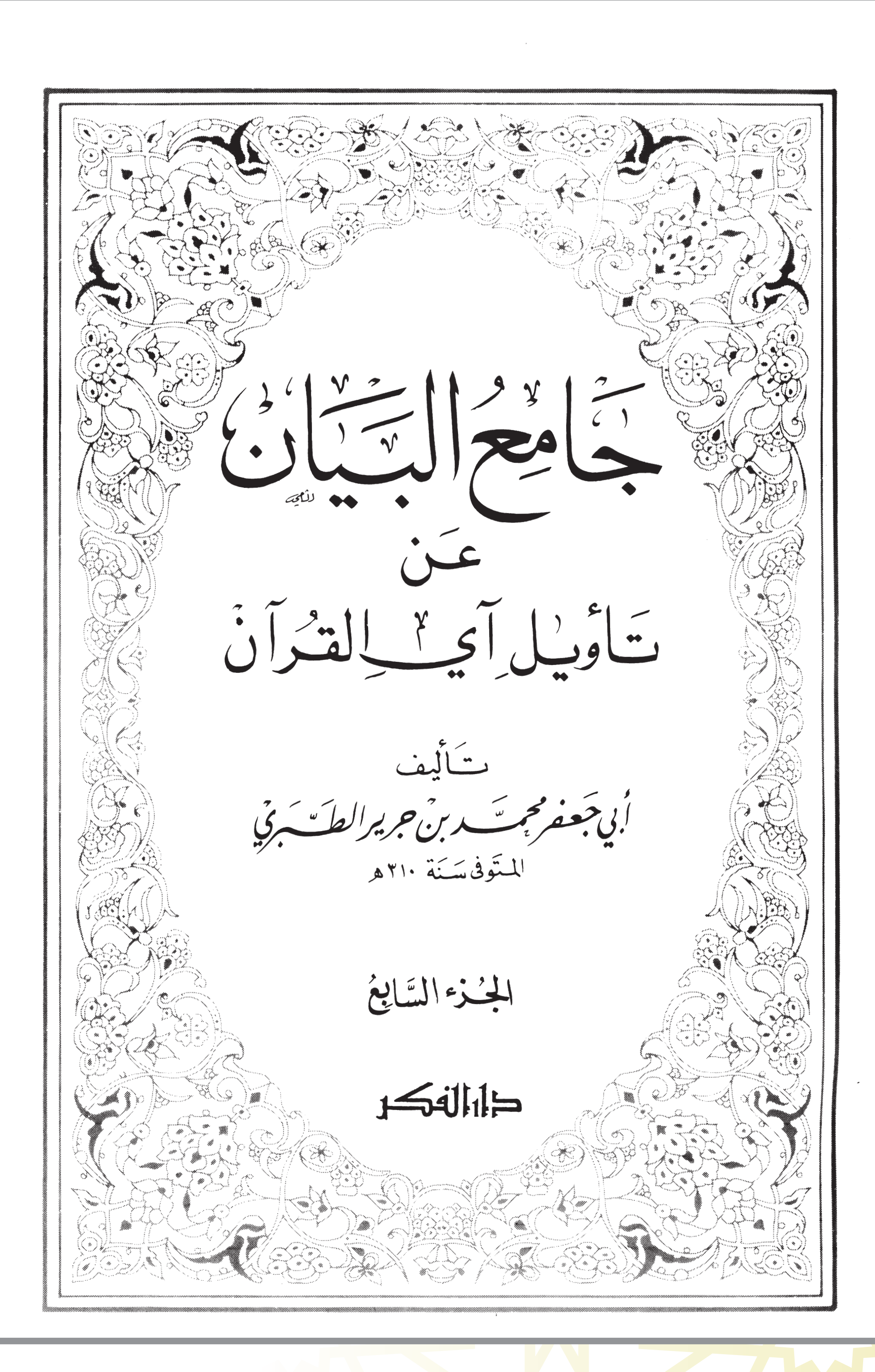
واعلم أن قوله عليه السلام توكلت إشارة الى محض التوحيد ، لأن قوله عليه السلام توكلت يفيد الحصر ، وهو أنه لا ينبغي للانسان أن يتوكل على أحد الا على الله تعالى وكيف وكل ما سوى الحق سبحانه ممكن لذاته ، فان بذاته ، ولا يحصل إلا بايجاده وتكوينه ، وإذا كان كذلك لم يجز التوكيل إلا على الله تعالى وأعظم مراتب معرفة المبدأ هو الذي ذكرناه ، وأما قوله (واليه أنيب) فهو إشارة إلى معرفة المعاد ، وهو أيضاً يفيد الحصر لأن قوله (واليه أنيب) يدل على أنه لا مرجع للخلق الا إلى الله تعالى وعن رسول الله ﷺ أنه كان إذا ذكر شعيب عليه السلام قال « ذاك خطيب الأنبياء » لحسن مراجعته في كلامه بين قومه .

﴿ وأما الوجه الرابع ﴾ من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله (ويا قوم لا يجر منكم شقائي أن يصيبكم) قال صاحب الكشاف : جرم مثل كسب في تعديته تارة إلى مفعول واحد وأخرى إلى مفعولين يقال جرم ذنبا وكسبه وجرمه ذنبا وكسبه اياه ، ومنه قوله تعالى (لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم) أي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب ، وقرأ أبن كثير (يجرمنكم) بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جار ما له أي كاسبا له . وهو منقول من جرم المعتدي الى مفعول واحد ، وعلى هذا فلا فرق بين جرمته ذنباً وأجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظا كما ان كسبه مالا أفصح من أكسبه .

إذا عرفت هذا فنقول : المراد من الآية لا تكسبنكم معاداتكم اياي أن يصيبكم عذاب الاستئصال في الدنيا مثل ما حصل لقوم نوح عليه السلام من الغرق ، ولقوم هود من الريح العقيم . ولقوم صالح من الرجفة ، ولقوم لوط من الخسف .

وأما قوله ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ ففيه وجهان : الأول : أن المراد نفى البعد في المكان لأن بلاد قوم لوط عليه السلام قريبة من مدين ، والثاني : أن المراد نفى البعد في الزمان لأن إهلاك قوم لوط عليه السلام أقرب الاهلاكات التي عرفها الناس في زمان شعيب عليه السلام ، وعلى هذين التقديرين فان القرب في المكان وفي الزمان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الأحوال فكأنه يقول اعتبروا بأحوالهم واحذروا من مخالفة الله تعالى ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب .

فان قيل : لم قال (وما قوم لوط منكم ببعيد) وكان الواجب أن يقال ببعيدين ؟


جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن
تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ
الجزء السابع
دار الفكر

وقال آخرون : معنى ذلك : قالوا لاعلم لنا ، إلا علم أنت أعلم به منا .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبدالله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس، قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ ؟ قالُوا لاعِلْمَ لَنا) إلا علم أنت أعلم به منا .

وقال آخرون : معنى ذلك (ماذَا أُجِبْتُمْ) : ماذا عملوا بعدكم ، وماذا أحدثوا :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ) : ماذا عملوا بعدكم ، وماذا أحدثوا بعدكم ؟ قالوا : (قالُوا لاعِلْمَ لَنا إلاَّ ماعَلَّمْتَنا إنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ) .

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : لاعلم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ، لأنه تعالى ذكره ، أخبر عنهم أنهم قالوا (لاعِلْمَ لَنا إلاَّ ماعَلَّمْتَنا إنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ) : أى أنك لايخفى عليك ماعندنا من علم ذلك ، ولا غيره ، من خفى العلوم وجليها ، فإنما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك ، علم لايعلمه هو تعالى ذكره ، لاأنهم نفوا أن يكونوا علموا ماشاهدوا ، كيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ، وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم ، وأنهم سيشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء ، فقال تعالى ذكره (وكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطا لِتَكُونُوا شُهَداءَ على النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) .

وأما الذى قاله ابن جريج : من أن معناه : ماذا عملت الأمم بعدكم ؟ وماذا أحدثوا ؟ فتأويل لامعنى له ، لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك ، وإذا سئلت عما عملت الأمم بعدها والأمر كذلك ، فإنما يقال لها : ماذا عرّفناك أنه كائن منهم بعدك ، وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسئلته إياهم يدلّ على غير ذلك

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

❊ يقول تعالى ذكره لعباده : احذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم : مذا أجابتكم أممكم فى الدنيا (إذ قالَ اللهُ ياعيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعلى وَالِدَتِكَ ، إِذْ أَيَّدتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ) فإذ من صلة أجبتم ، كأن معناها : ماذا أجابت عيسى الأمم التى أرسل إليها عيسى .

❊ فإن قال قائل : وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأمم إياها فى عهد عيسى ، ولم يكن فى عهد عيسى من الرسل إلا أقلّ من ذلكْ ؟ قيل : جائز أن يكون الله تعالى عنى بقوله : فيقول ماذا أجبتم الرسل الذين كانوا أرسلوا فى عهد عيسى ، فخرج الخبر مخرج الجميع ، والمراد منهم من كان فى عهد عيسى ، كما قال تعالى (الَّذِيْنَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) والمراد : واحد من الناس ، وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس .

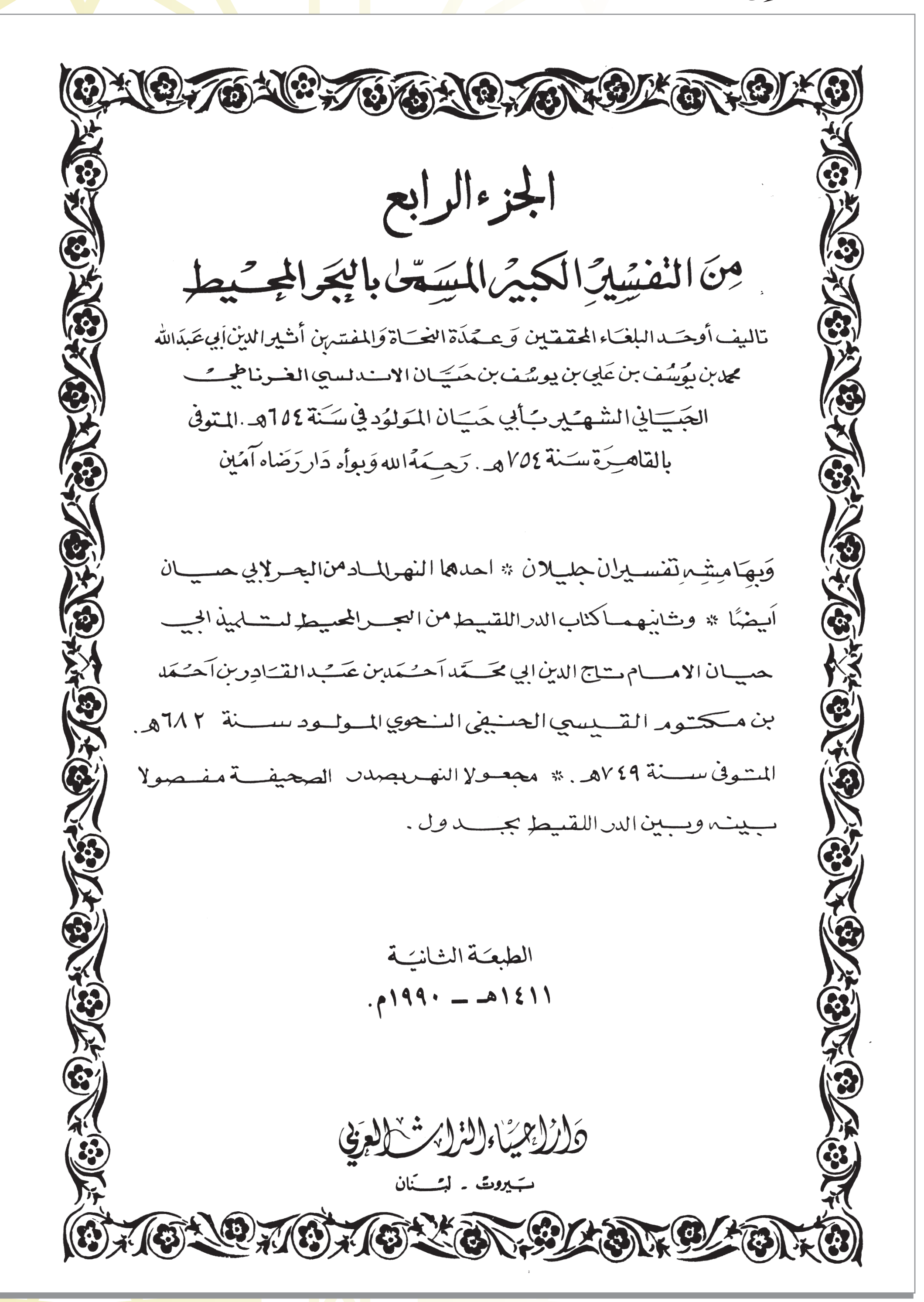
ومعنى الكلام : (إِذْ قالَ اللهُ) حين قال (يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ ، إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ) يقول : يا عيسى ، اذكر أياديّ عندك وعند والدتك ، إذ قوّيتك بروح القدس ، وأعنتك به .

وقد اختلف أهل العربية فى أيدتك ما هو من الفعل ، فقال بعضهم : هو فعلتك ، كما فى قولك : قوّيتك فعلت من القوّة .

وقال آخرون : بل هو فاعلتك من الأيد . ورُوِى عن مجاهد أنه قرأ (إِذْ آيَدْتُكَ) بمعنى : أفعلتك من القوّة والأيد ؛ وقوله (بِرُوحِ القُدُسِ) يعنى بجبريل ، يقول : إذ أعنتك بجبريل . وقد بينت معنى ذلك ، وما معنى القُدُس فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وكَهْلاً ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بإِذْنِي ، فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْرًا بإِذْنِي ، وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ بإِذْنِي ، وَإِذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بالبَيِّناتِ ، فقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قيله لعيسى (اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ) فى حال تكليمك الناس فى المهد وكهلا ، وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره ، أنه أيّده بروح القدس صغيرا فى المهد ، وكهلا كبيرا ، فردّ القول على قوله فى المهد ، لأن معنى ذلك صغيرا ، كما قال الله تعالى ذكره (دَعانا لِجَنْبِهِ ، أَوْ قاعِدًا أو قائما) . وقوله (وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ) يقول : واذكر أيضا نعمتى عليك ، إذ علمتك الكتاب : وهو الخط ، والحكمة : وهى الفهم بمعانى الكتاب الذى أنزلته إليك ، وهو الإنجيل (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) يقول : كصورة الطير (بإِذْنِي) يعنى بقوله (تَخْلُقُ) : تعمل وتصلح من الطين (كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بإِذْنِي) يقول : بعونى على ذلك ، وعلم منى (فَتَنْفُخُ فِيها) يقول : فتنفخ فى الهيئة ، فتكون الهيئة



الجزء الرابع

من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط

تاليف أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان المولود في سنة ٦٥٤ هـ. المتوفى بالقاهرة سنة ٧٥٤ هـ. رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسيران جليلان * احدهما النهر الماد من البحر لابي حيان ايضا * وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ ابي حيان الامام تاج الدين ابي محمد احمد بن عبد القادر بن احمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ هـ. المتوفى سنة ٧٤٩ هـ. * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول.

الطبعة الثانية

١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

والمعنى فيهما قويتك من الايد انتهى ولو كان أفعل لكان المضارع يؤيد كمضارع آمن يؤمن وأما من قرأ آيد فيحتاج الى نقل مضارعه من كلام العرب فان كان يؤايد فهو فاعل وان كان يؤيد فهو أفعل وأما قول ابن عطية في القراءتين يظهر أن وزنه أفعلتك ثم اختلف الاعلال فلا أفهم ما أراد ﴿ تكلم الناس في المهد وكهلا ﴾ تقدم تفسير نظير هذه الجمل والقراآت التي فيها والاعراب ومالم يتقدم ذكره نذكره فنقول جاء هنا كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طائرا قال مكي هو في آل عمران عائد على الطائر وفي المائدة عائد على الهيئة قال ويصح عكس هذا وقال غيره الضمير المذكر عائد على الطين قال ابن عطية ولا يصح عود هذا الضمير لا على الطير ولا على الطين ولا على الهيئة لأن الطير والطائر الذي يجئ الطين على هيئته لا نفخ فيه ألبتة وكذلك لا نفخ في هيئته الخاصة بجسده وهي المذكورة في الآية وكذلك الطين المذكور في الآية انما هو الطين العام ولا نفخ في ذلك انتهى وقال الزمخشري ولا يرجع يعني الضمير الى الهيئة المضاف (٥١) اليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شئ وكذلك الضمير في فتكون انتهى والذي ينبغي أن يحمل عليه كلام مكي انه لا يريد به ما فهم عنه بل يكون قوله عائد على الطائر لا يريد به الطائر المضاف اليه الهيئة بل الطائر الذي صوره عيسى ويكون التقدير واذ تخلق من الطين طائرا صورته مثل صورة الطائر الحقيقي فتنفخ فيه فيكون طائرا حقيقة باذن الله ويكون قوله عائد على الهيئة لا يريد به الهيئة المضافة الى الطائر بل الهيئة التي تكون الكاف صفة لها ويكون التقدير واذ تخلق من الطين هيئة مثل هيئة الطير فتنفخ فيها أي في الهيئة الموصوفة بالكاف المنسوب خلقها الى عيسى ﴿واذ تخرج الموتى﴾ أي تحيي الموتى فعبر بالاخراج عن الاحياء كقوله تعالى كذلك الخروج بعد قوله وأحيينا به بلدة ميتا أو يكون التقدير واذ تخرج الموتى من قبورهم احياء

الجمهور بتشديد الياء * وقرأ مجاهد وابن محيصن أيدتك على أفعلتك * وقال ابن عطية على وزن فاعلتك ثم قال ويظهر أن الأصل في القراءتين أيدتك على وزن أفعلتك ثم اختلف الاعلال والمعنى فيهما أيدتك من الأيد * وقال عبد المطلب

الحمد لله الأعز الأكرم * أيدنا يوم زحوف الأشرم

انتهى والذي يظهر ان أيد في قراءة الجمهور ليس وزنه أفعل لمجيء المضارع على يؤيد فالوزن فعل ولو كان أفعل لكان المضارع يؤيد كمضارع آمن يؤمن وأما من قرأ آيد فيحتاج الى نقل مضارعه من كلام العرب فان كان يؤايد فهو فاعل وان كان يؤيد فهو أفعل وأما قول ابن عطية انه في القراءتين يظهر أن وزنه أفعلتك ثم اختلف الاعلال فلا أفهم ما أراد وتقدم تفسير نظير هذه الجملة في قوله وأيدناه بروح القدس ﴿ تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الأكمه والأبرص باذني وإذ تخرج الموتى باذني ﴾ تقدم تفسير نظير هذه الجمل والقراآت التي فيها والاعراب ومالم يتقدم ذكره نذكره فنقول جاء هنالك كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون * وقرأ ابن عباس فتنفخها فتكون * وقرأ الجمهور فتكون بالتاء من فوق * وقرأ عيسى بن عمر فيها فيكون بالياء من تحت والضمير في فيها قال ابن عطية اضطرب المفسرون فيه قال مكي هو في آل عمران عائد على الطائر وفي المائدة عائد على الهيئة قال ويصح عكس هذا وقال غيره الضمير المذكور عائد على الطين * قال ابن عطية ولا يصح عود هذا الضمير لا على الطين ولا على الهيئة لان الطير أو الطائر الذي يجيء الطير على هيئته لا نفخ فيه ألبتة وكذلك لا نفخ في هيئته الخاصة به وكذلك الطين انما هو الطين العام ولا نفخ في ذلك انتهى * وقال الزمخشري ولا يرجع بعض الضمير الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شئ وكذلك الضمير في يكون انتهى والذي ينبغي أن يحمل عليه كلام مكي انه لا يريد به ما فهم عنه بل يكون قوله عائدا

(الدر) اذ أيدتك (ش) على أفعلتك (ع) على وزن فاعلتك ويظهر ان الاصل في القراءتين أأيدتك على وزن أفعلتك ثم اختلف الاعلال والمعنى فيهما قويتك من الايد انتهى (ح) الذي يظهر ان أيد في قراءة الجمهور ليس وزنه افعل لمجيء المضارع على يؤيد فالوزن فعل ولو كان أفعل لكان المضارع يؤيد كمضارع آمن يؤمن وأما من قرأ آيد فيحتاج الى نقل مضارعه من كلام العرب فان كان يؤايد فهو فاعل وان كان يؤيد فهو أفعل وأما قول (ع) انه يظهر في القراءتين ان وزنه أفعلتك ثم اختلف الاعلال فلا أفهم ما أراد

﴿ واذ كففت بنى اسرائيل عنك ﴾ أى منعتهم من قتلك حين (٥٢) هموا بك وأحاطوا بالبيت الذى أنت فيه ﴿ بالبينات ﴾ البينات هنا هى المعجزات التى تقدم ذكرها وظهرت على يديه ولما فصل تعالى نعمته ذكر ذلك منسوبا لعيسى عليه السلام دون امه لان من هذه النعم نعمة النبوة وظهور هذه الخوارق فنعمته عليه أعظم منها على امه نخص بالذكر أعظم النعمتين ولان جميع ماوصف به عيسى هو فخر لامه إذ ولدت مثل هذا النبى الكريم وقال الشاعر

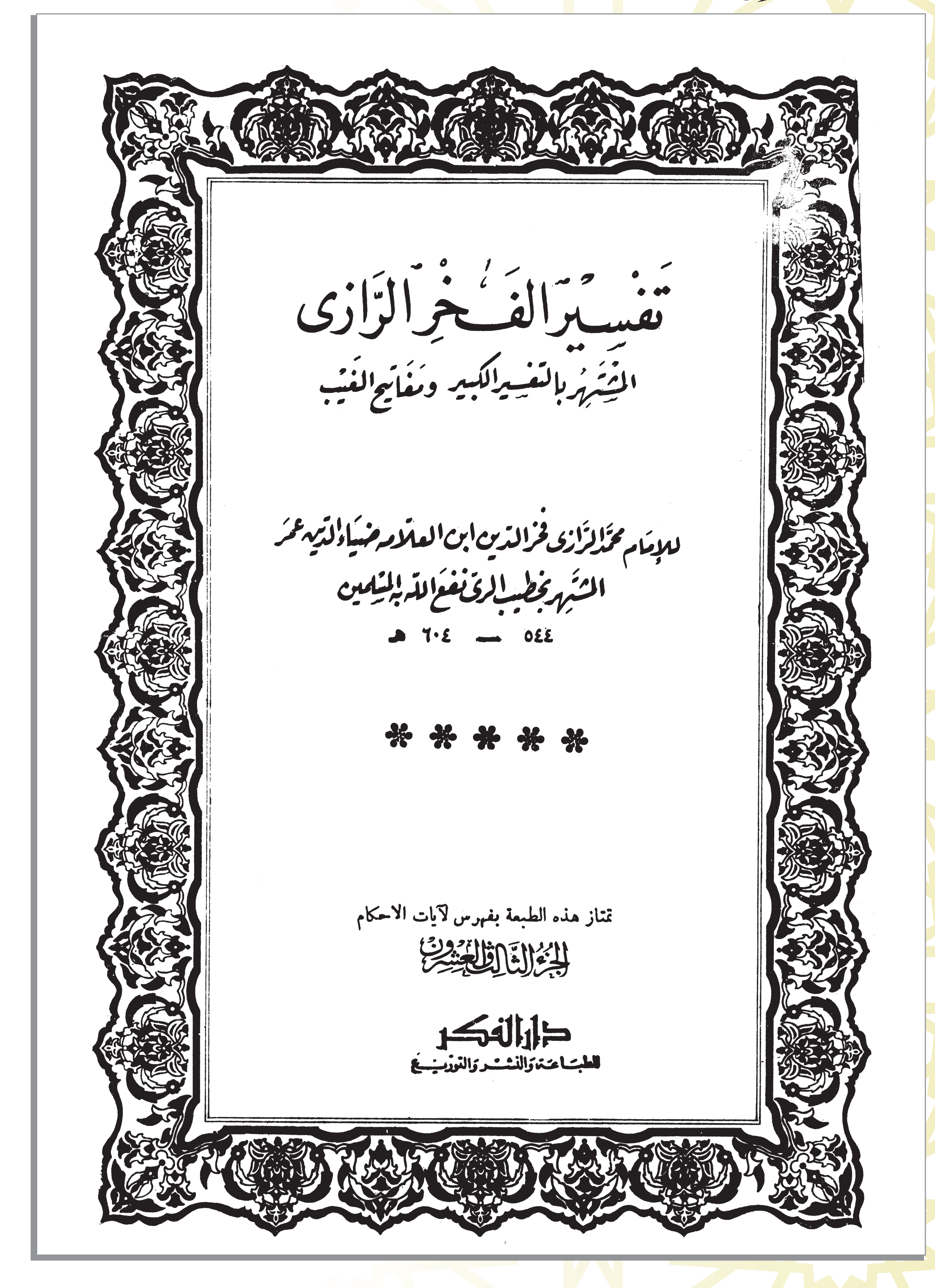
* شهد العوالم انها النفيسة بدليل ماولدت من النجباء *

﴿ فقال الذين كفروا منهم ان هذا إلا سحر مبين ﴾ قرىء ساحر بالالف هنا وفى هود والصف فهذا اشارة الى عيسى وقرىء سحر فهذا اشارة الى ماجاء به عيسى من البينات ويجوز أن يكون قوله هذا اشارة الى عيسى ويكون قوله سحر أى ذو سحر فيكون على حذف مضاف أو جعلوا عيسى سحرا على سبيل المبالغة ﴿ واذ أوحيت الى الحواريين ﴾ الظاهر ان الوحى على ألسنة الرسل والرسول هنا هو عيسى عليه السلام وهذا الايحاء هو الى الحواريين من نعم الله تعالى على عيسى بأن جعل له أتباعا يصدقونه و يعملون بما جاء به ﴿ أن آمنوا ﴾ أن تفسيرية بمعنى أى و يجوز أن تكون مصدرية أى بالايمان ﴿ قالوا آمنا ﴾ أى بك و برسولك ﴿ مسلمون ﴾ أى منقادون

على الطائر لا يريد به الطائر المضاف اليه الهيئة بل الطائر الذى صوره عيسى ويكون التقدير واذ يخلق من الطين طائرا صورة مثل صورة الطائر الحقيقى فينفخ فيه فيكون طائرا حقيقة باذن الله ويكون قوله عائدا على الهيئة لا يريد به الهيئة المضافة الى الطائر بل الهيئة التى تكون الكاف صفة لها و يكون التقدير و إذ تخلق من الطين هيئة مثل هيئة الطير فتنفخ فيها أى فى الهيئة الموصوفة بالكاف المنسوب خلقها الى عيسى وأما قول مكى و يصح عكس هذا وهو أن يكون الضمير المذكر عائدا على الهيئة والضمير المؤنث عائدا على الطائر فيمكن تخريجه على انه ذكر الضمير وان كان عائدا على مؤنث لانه لحظ فيها معنى الشكل كأنه قدر هيئة كهيئة الطير بقوله شكلا كهيئة الطير وانه أنث الضمير وان كان عائدا على مذكر لانه لحظ فيه معنى الهيئة * قال ابن عطية والوجه عود ضمير المؤنث على ماتقتضيه الآية ضرورة أى صورا أوأشكالا أواجساما وعود الضمير المذكر على المخلوق الذى يقتضيه تخلق ثم قال ولك أن تعيده على ماتدل عليه الكاف فى معنى المثل لان المعنى واذ تخلق من الطين مثل هيئة ولك أن تعيد الضمير على الكاف نفسه فيكون اسما فى غير الشعر فهو قول أبى الحسن وحده من البصريين وكذا قال الزمخشرى ان الضمير فى فيها للكاف قال لانها صفة الهيئة التى كان يخلقها عيسى و ينفخ فيها وجاء فى آل عمران باذن الله مرتين وجاء هنا باذنى أربع مرات عقيب أربع جمل لان هذا موضع ذكر النعمة والامتنان بها فناسب الاسهاب وهناك موضع اخبار لبنى اسرائيل فناسب الايجاز والتقدير فى واذ تخرج الموتى تحيي الموتى فعبر بالاخراج عن الاحياء كقوله تعالى كذلك الخروج بعد قوله وأحيينا به بلدة ميتا أو يكون التقدير واذ تخرج الموتى من قبورهم أحياء ﴿ واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات ﴾ أى منعتهم من قتلك حين هموا بك وأحاطوا بالبيت الذى أنت فيه * وقال عبيد بن عمير لما قال الله لعيسى اذكر نعمتى عليك كان يلبس الشعر و يأكل الشجر ولا يؤخر شيأ لغد و يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أين ما أمسى بات وهذا القول يظهر منه أن عيسى خوطب بذلك قبل الرفع والبينات هنا هى المعجزات التى تقدم ذكرها وظهرت على يديه ولما فصل تعالى نعمته ذكر ذلك منسوبا لعيسى دون أمه لان من هذه النعم نعمة النبوة وظهور هذه الخوارق فنعمته عليه أعظم منها على أمه اذ ولدت مثل هذا النبى الكريم * وقال الشاعر فيما يشبه هذا

شهد العوالم أنها لنفيسة * بدليل ماولدت من النجباء

﴿ فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ﴾ قرأ حمزة والكسائى ساحر بالألف هنا وفى هود والصف فهذا هنا اشارة الى عيسى * وقرأ باقى السبعة سحر فهذا اشارة الى ماجاء به عيسى من البينات ﴿ واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى و برسولى ﴾ أى أوحيت اليهم على ألسنة الرسل * وقال ابن عطية اما أن يكون وحى الهام أو وحى أمر والرسول هنا هو عيسى وهذا الايحاء الى الحواريين هو من نعم الله على عيسى بان جعل له اتباعا يصدقونه و يعملون بما جاء به و يحتمل أن تكون تفسيرية لانه تقدمها جملة فى معنى القول وأن تكون مصدرية ﴿ قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون ﴾ تقدم تفسير نظير هذه الجملة فى آل عمران الا أن هناك آمنا بالله لانه تقدم ذكر الله فقط فى قوله من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله وهنا جاء قالوا آمنا فلم يتقيد بلفظ الجلالة اذ قد تقدم



تفسير الفخر الرازي

المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب

للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر

المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين

٥٤٤ — ٦٠٤ هـ

* * * * *

تمتاز هذه الطبعة بفهرس لآيات الاحكام

الجزء الثالث والعشرون

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

لها تكلمى فقالت : قد أفلح المؤمنون » وقال كعب « خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده ، ثم قال لها تكلمى فقالت : قد أفلح المؤمنون » ، وروى أنه عليه السلام قال « إذا أحسن العبد الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حافظت على ، وشفعت لصاحبها . وإذا أضاعها قالت أضاعك الله كما ضيعتنى وتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » (الجواب) أما كلام الجنة فالمراد به أنها أعدت للمؤمنين فصار ذلك كالقول منها ، وهو كقوله تعالى (قالتا أتينا طائعين) وأما أنه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقها لا أنه وكله إلى غيره ، وأما أن الصلاة تثنى على من قام بحقها فهو فى الجواز أبعد من كلام الجنة ، لأن الصلاة حركات وسكنات ولا يصح عليها أن تتصور وتتكلم فالمراد منه ضرب المثل كما يقول القائل للمنعم إن إحسانك إلى ينطق بالشكر .

﴿ السؤال السابع ﴾ هل تدل الآية على أن الفردوس مخلوقة ؟ (الجواب) قال القاضى دل قوله تعالى (أكلها دائم) على أنها غير مخلوقة فوجب تأويل هذه الآية ، كأنه تعالى قال إذا كان يوم القيامة يخلق الله الجنة ميراثاً للمؤمنين أو وإذا خلقها تقول على مثال ماتأولنا عليه قوله تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) وهذا ضعيف لأنه ليس إضمار ما ذكره فى هذه الآية أولى من أن يضمر فى قوله (أكلها دائم) ثم إن أكلها دائم : يوم القيامة ، وإذا تعارض هذان الظاهران فنحن نتمسك فى أن الجنة مخلوقة بقوله تعالى (أعدت للمتقين) .

قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾

اعلم أنه سبحانه لما أمر بالعبادات فى الآية المتقدمة ، والاشتغال بعبادة الله لايصح إلا بعد معرفة الإله الخالق ، لاجرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر من الدلائل أنواعا :

ما أبعدها حيث جعله حيواناً وكان جماداً ، وناطقاً وكان أبكم ، وسميعاً وكان أصم ، وبصيراً وكان أكمه ، وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف الواصفين ، ولا شرح الشارحين ، وروى العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : هو تصريف الله إياه بعد الولادة فى أطواره فى زمن الطفولية وما بعدها إلى استواء الشباب ، وخلق الفهم والعقل وما بعده إلى أن يموت ، ودليل هذا القول أنه عقبه بقوله (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) وهذا المعنى مروى أيضاً عن ابن عباس وابن عمر ، وإنما قال (أنشأناه) لأنه جعل إنشاء الروح فيه ، وإتمام خلقه إنشاء له قالوا فى الآية دلالة على بطلان قول النظام فى أن الإنسان هو الروح لا البدن فانه سبحانه بين أن الإنسان هو المركب من هذه الصفات ، وفيها دلالة أيضاً على بطلان قول الفلاسفة الذين يقولون إن الإنسان شيء لا ينقسم ، وإنه ليس بجسم .

أما قوله (فتبارك الله) أى فتعالى الله فان البركة يرجع معناها إلى الإمتداد والزيادة ، وكل مازاد على الشيء فقد علاه ، ويجوز أن يكون المعنى ، والبركات والخيرات كلها من الله تعالى ، وقيل أصله من البروك وهو الثبات ، فكأنه قال والبقاء والدوام والبركات كلها منه فهو المستحق للتعظيم والثناء ، وقوله (أحسن الخالقين) أى أحسن المقدرين تقديراً فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه وههنا مسائل :

﴿ **المسألة الأولى** ﴾ قالت المعتزلة لولا أن الله تعالى قد يكون خالقاً لفعله إذا قدره لما جاز القول بأنه أحسن الخالقين ، كما لو لم يكن فى عباده من يحكم ويرحم لم يجز أن يقال فيه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ، والخلق فى اللغة هو كل فعل وجد من فاعله مقدراً لا على سهو وغفلة ، والعباد قد يفعلون ذلك على هذا الوجه ، قال الكعبى هذه الآية ، وإن دلت على أن العبد خالق إلا أن اسم الخالق لا يطلق على العبد إلا مع القيد كما أنه يجوز أن يقال رب الدار ، ولا يجوز أن يقال رب بلا إضافة ، ولا يقول العبد لسيده هو ربى ، ولا يقال إنما قال الله تعالى ذلك لأنه سبحانه وصف عيسى عليه السلام بأنه يخلق من الطين كهيئة الطير لأنا نجيب عنه من وجهين : (أحدهما) أن ظاهر الآية يقتضي أنه سبحانه (أحسن الخالقين) الذين هم جمع فحمله على عيسى خاصة لا يصح (الثانى) أنه إذا صح وصف عيسى بأنه يخلق صح وصف غيره من المصورين أيضاً بأنه يخلق ؟ وأجاب أصحابنا بأن هذه الآية معارضة بقول الله تعالى (الله خالق كل شيء) فوجب حمل هذه الآية على أنه (أحسن الخالقين) فى اعتقادكم وظنكم ، كقوله تعالى (وهو أهون عليه) أى هو أهون عليه فى اعتقادكم وظنكم (والجواب الثانى) هو أن الخالق هو المقدر لأن الخلق هو التقدير والآية تدل على أنه سبحانه أحسن المقدرين ، والتقدير يرجع معناه إلى الظن والحسبان ، وذلك فى حق الله سبحانه محال ، فتكون الآية من المتشابهات (والجواب الثالث) أن الآية تقتضي

كون العبد خالقاً بمعنى كونه مقدراً . لكن لم قلت بأنه خالق بمعنى كونه موجداً .

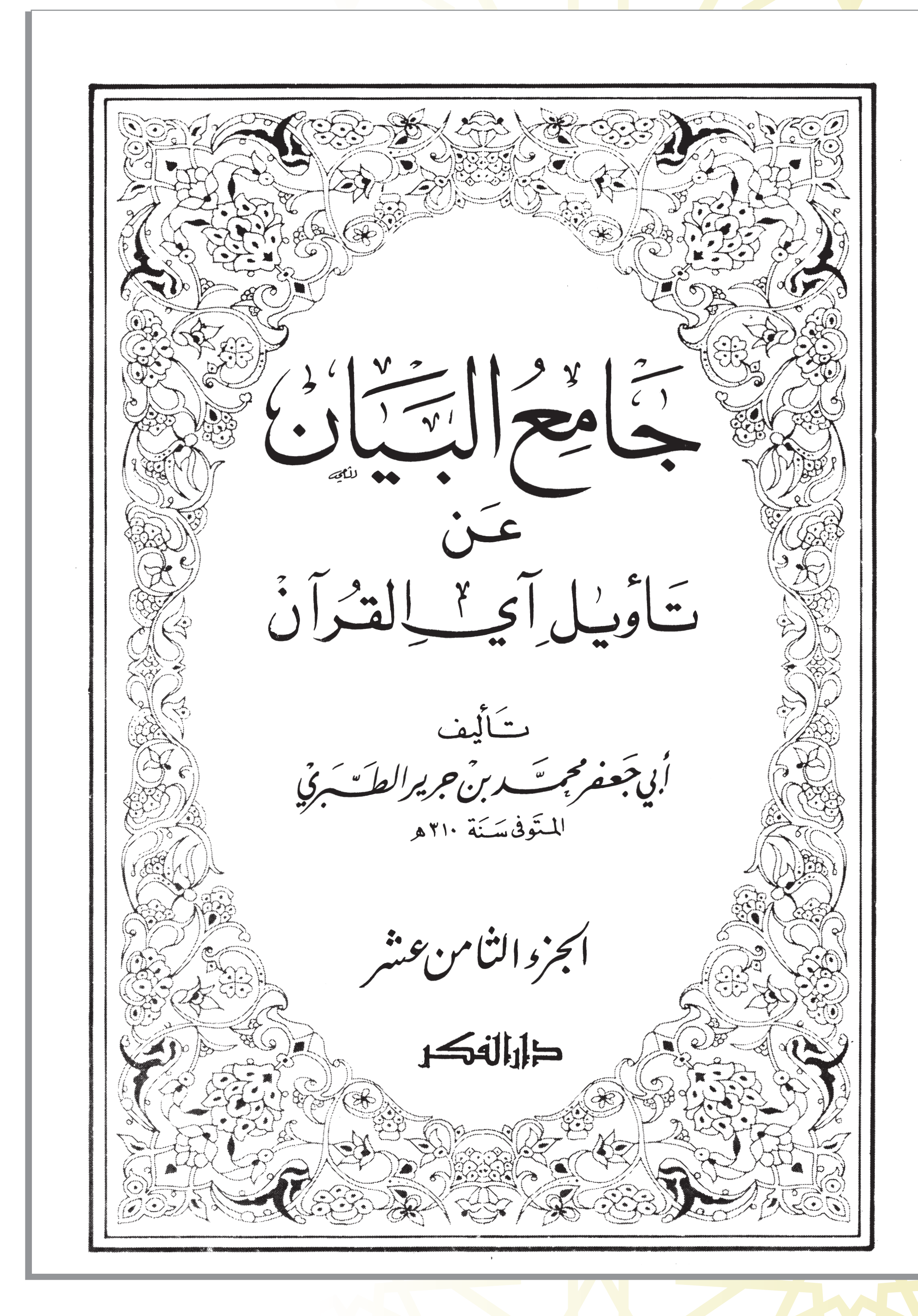
﴿ المسألة الثانية ﴾ قالت المعتزلة الآية تدل على أن كل ما خلقه حسن وحكمة وصواب وإلا لما جاز وصفه بأنه أحسن الخالقين ، وإذا كان كذلك وجب أن لا يكون خالقاً للكفر والمعصية فوجب أن يكون العبد هو الموجد لهما ؟ (والجواب) من الناس من حمل الحسن على الإحكام والاتقان فى التركيب والتأليف . ثم لو حملناه على ما قالوه فعندنا أنه يحسن من الله تعالى كل الأشياء لأنه ليس فوقه أمر ونهى حتى يكون ذلك مانعاً له عن فعل شىء .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ روى الكلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب هذه الآيات لرسول الله ﷺ فلما انتهى إلى قوله تعالى (خلقاً آخر) عجب من ذلك فقال (فتبارك الله أحسن الخالقين) فقال رسول الله ﷺ « اكتب فهكذا نزلت » فشك عبد الله وقال إن كان محمد صادقاً فيما يقول فانه يوحى إلى كما يوحى إليه ، وإن كان كاذباً فلا خير فى دينه فهرب إلى مكة فقيل إنه مات على الكفر ، وقيل إنه أسلم يوم الفتح ، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب (فتبارك الله أحسن الخالقين) فقال رسول الله ﷺ هكذا نزلت ياعمر . وكان عمر يقول : وافقنى ربى فى أربع ، فى الصلاة خلف المقام ، وفى ضرب الحجاب على النسوة ، وقولى لهن : لتنتهن أو ليبدلنه الله خيراً منكن ، فنزل قوله تعالى (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن) والرابع قلت (فتبارك الله أحسن الخالقين) فقال هكذا نزلت . قال العارفون هذه الواقعة كانت سبب السعادة لعمر ، وسبب الشقاوة لعبد الله كما قال تعالى (يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً) فان قيل فعلى كل الروايات قد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن ، وذلك يقدح فى كونه معجزاً كما ظنه عبد الله (والجواب) هذا غير مستبعد إذا كان قدره القدر الذى لا يظهر فيه الاعجاز فسقطت شبهة عبد الله .

﴿ المرتبة الثامنة ﴾ قوله (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) قرأ ابن أبى عبلة وابن محيصن (لمائتون) والفرق بين الميت والمائت ، أن الميت كالحى صفة ثابتة ، وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد ميت الآن ومائت غداً ، وكقولك يموت ونحوهما ضيق وضائق فى قوله (وضائق به صدرك) .

﴿ المرتبة التاسعة ﴾ قوله (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) فالله سبحانه جعل الإماتة التى هى إعدام الحياة والبعث الذى هو إعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضاً على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع وههنا سؤالات :

﴿السؤال الأول﴾ ما الحكمة فى الموت ، وهلا وصل نعيم الآخرة وثوابها بنعيم الدنيا فيكون ذلك فى الانعام أبلغ ؟ (والجواب) هذا كالمفسدة فى حق المكلفين لأنه متى عجل للمرء الثواب فيما يتحمله من المشقة فى الطاعات صار إتيانه بالطاعات لأجل تلك المنافع لا لأجل طاعة الله ، يبين ذلك أنه لو قيل لمن يصلي ويصوم إذا فعلت ذلك أدخلناك الجنة في الحال ،فانه لا يأتى بذلك الفعل


جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن
تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ
الجزء الثامن عشر
دار الفكر

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) ثم جعلنا الإنسان الذى جعلناه من سلالة من طين ، نطفة فى قرار مكين ، وهو حيث استقرّت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ، ووصفه بأنه مكين ، لأنه مكن لذلك ، وهيئ له ليستقرّ فيه إلى بلوغ أمره الذى جعله له قرارا . وقوله (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) يقول : ثم صيرنا النطفة التى جعلناها فى قرار مكين علقة ، وهى القطعة من الدم ، (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) يقول : فجعلنا ذلك الدم مضغة ، وهى القطعة من اللحم . وقوله (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا) يقول : فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق سوى عاصم (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا) على الجماع ، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك (عَظْمًا) فى الحرفين على التوحيد جميعا .

والقراءة التى نختار فى ذلك الجماع ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

وقوله (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) يقول : فألبسنا العظام لحما . وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَظْمًا) وعصبا ، فكسوناه لحما . وقوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) يقول : ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر ، وهذه الهاء التى فى (أَنْشَأْنَاهُ) عائدة على الإنسان فى قوله . (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة ، جعل ذلك كله كالشيء الواحد ، فقيل : ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) فقال بعضهم : إنشاؤه إياه خلقا آخر : نفخه الروح فيه ، فيصير حينئذ إنسانا ، وكان قبل ذلك صورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى قوله (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : نفخ الروح فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن قال : ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) قال : الروح .

= والوصائل : الثياب الحمر المخططة . والمراد أن الأسلاب كانت موشحة بالدم ، وانظر البيت فى (اللسان : شحط) وفى المخصص لابن سيده (١ : ١٧) ومختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا (طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ص ٢١١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال مجاهد : حين استوى به الشباب .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : قول من قال : عنى بذلك نفخ الروح فيه ، وذلك أنه بنفخ الروح فيه ، يتحوّل خلقا آخر إنسانا ، وكان قبل ذلك بالأحوال التى وصفه الله أنه كان بها ، من نطفة وعلقه ومضغة وعظم ، وبنفخ الروح فيه ، يتحوّل عن تلك المعانى كلها إلى معنى الإنسانية ، كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح فى الطينة التى خلق منها إنسانا ، وخلقا آخر غير الطين الدى خلق منه .

وقوله (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه فتبارك الله أحسن الصانعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ) قال : يصنعون ويصنع الله ، والله خير الصانعين .

وقال آخرون : إنما قيل (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ) لأن عيسى بن مريم كان يخلق ، فأخبر جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، فى قوله (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِينَ) قال : عيسى بن مريم يخلق .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول مجاهد ، لأن العرب تسمى كل صانع خالقا ؛ ومنه قول زهير :

وَلأَنْتَ تَفْرِى ما خَلَقْتَ وبَعْـ　ضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِى[1]

ويروى :

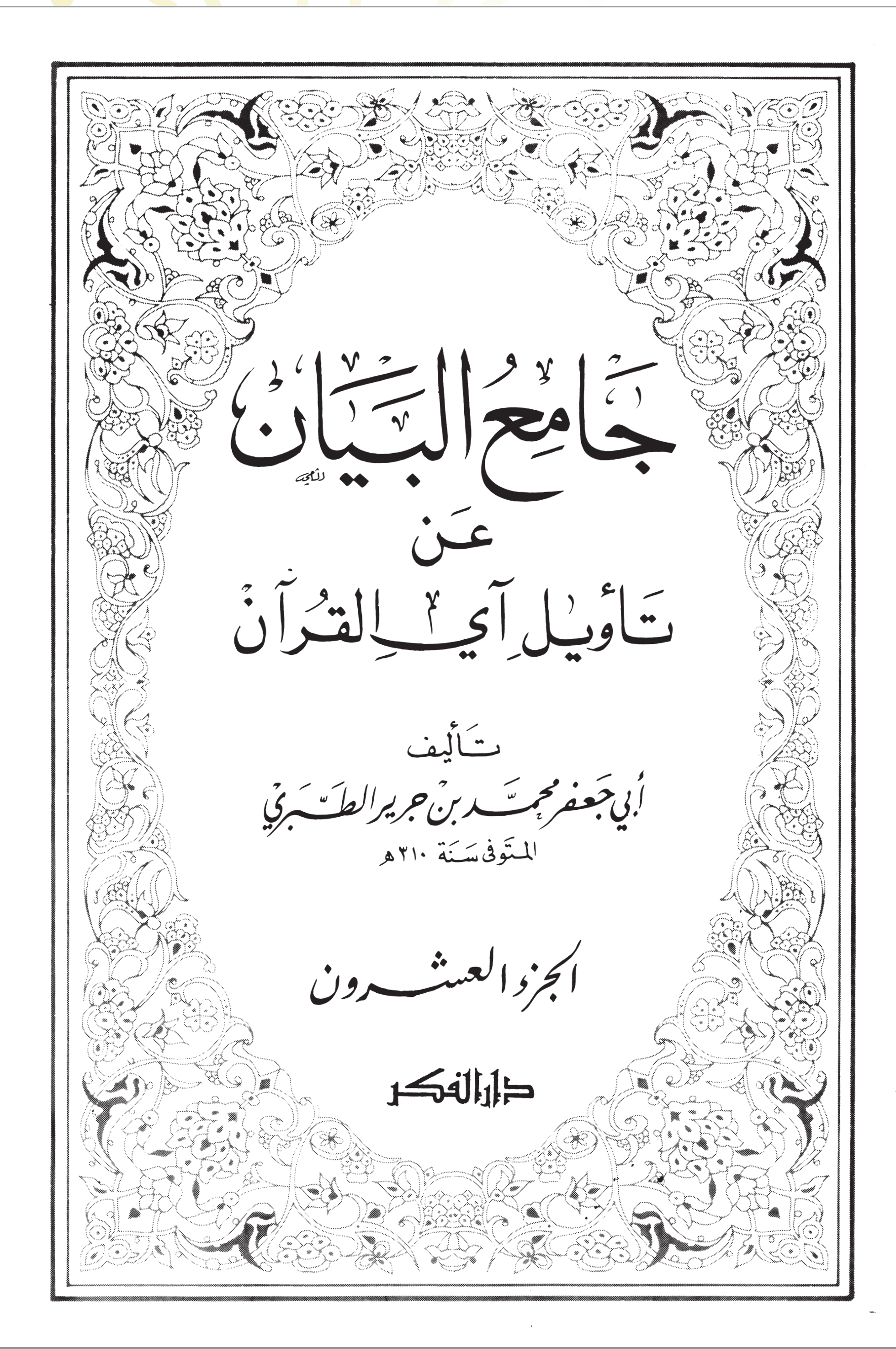
وَلأَنْتَ تَخْلُقُ ما فَرَيْتَ وبَعْـ　ضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لايَفْـرِي

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا ، كما بدأناكم أوّل مرّة . وإنما قيل (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلكَ لَمَيِّتُونَ) لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن . وكذلك تقول

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى يمدح رجلا (اللسان : خلق) يقول : أنت إذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه ، لأنه ليس بماض العزم وأنت مضاء على ما عزمت عليه . والخلق : التقدير ، يقال : خلق الأديم يخلقه خلقا : قدره لما يريد قبل القطع ، وقاسه ليقطع منه مزادة أوقربة أوخفا . ولذلك سمت العرب كل صانع كالنجار والخياط ونحوهما خالقا ، لأنه يقيس الخشب ويقدره على ما يريده له . والفرى القطع بعد التقدير ، وقد يكون قبله ، بأن يقطع قطعة من جلد أوثوب قطعا مقاربا ، ثم يصلحها ويسويها بالحساب والتقدير على ما يريده . ولذلك جاءت رواية أخرى فى البيت : ولأنت تخلق ما فريت . . . الخ البيت .



جَامِعُ البَيَان
عَن
تَأويلِ آيِ القُرآن

تأليف
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء العشرون

دار الفكر

واتقوا سخطه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ماهو خير لكم مما هو شرّ لكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله إبراهيم لقومه : إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا ، يعنى مُثُلاً كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا) أصناما .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) فقال بعضهم : معناه : وتصنعون كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : تصنعون كذبا .

وقال آخرون : وتقولون كذبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : وتقولون إفكا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول : تقولون كذبا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتنحتون إفكا .

ذكر من قال ذلك

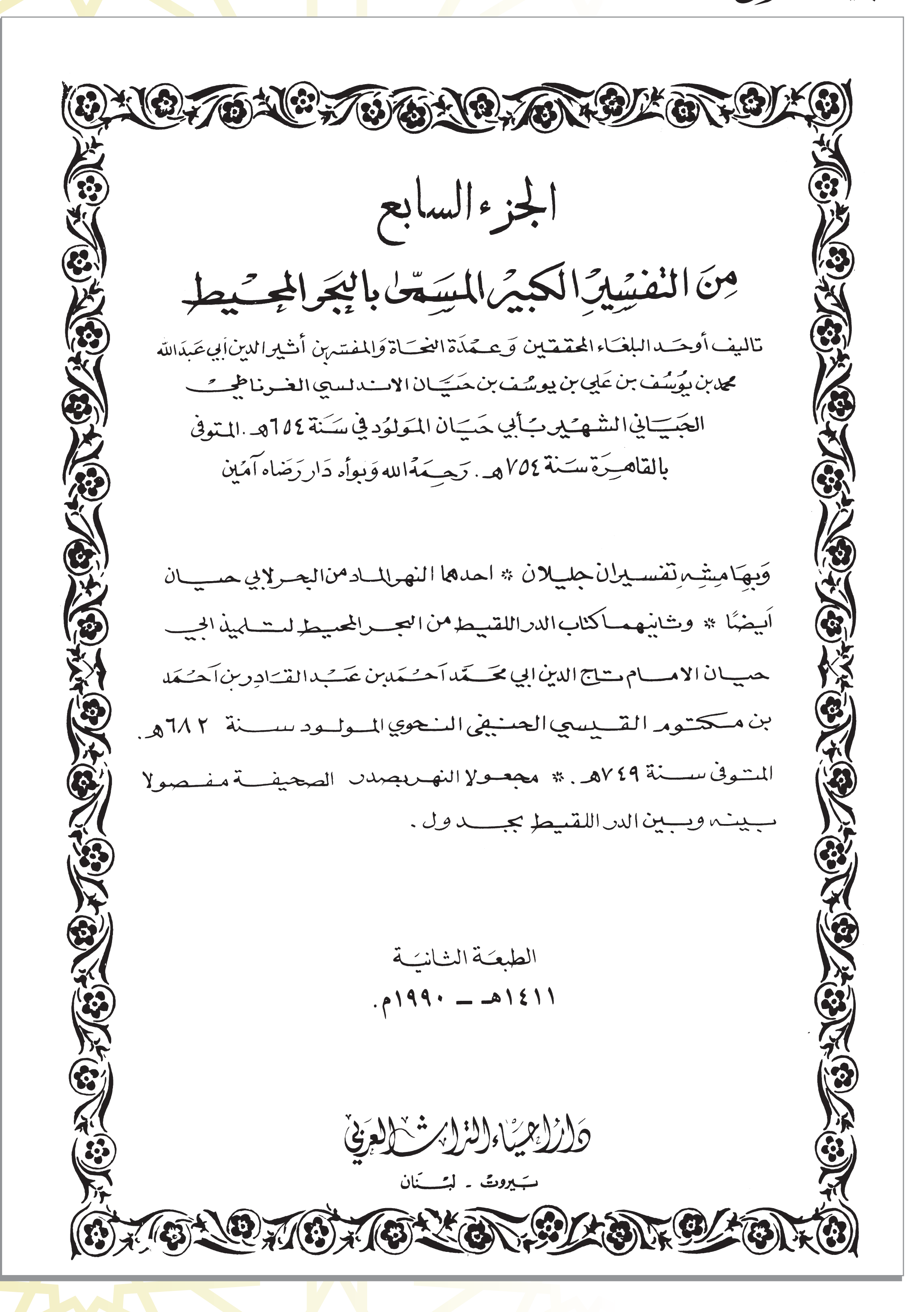
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) قال : تنحتون تصوّرون إفكا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) : أى تصنعون أصناما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) الأوثان التى ينحتونها بأيديهم .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معناه : وتصنعون كذبا . وقد بيّنا معنى الخلق فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . فتأويل الكلام إذن : إنما تعبدون من دون الله أوثانا ، وتصنعون كذبا وباطلا . وإنما فى قوله [1] (إفكا) مردود على إنما ، كقول القائل : إنما تفعلون كذا ، وإنما تفعلون كذا .

(١) لعل مراده : وإنما المقدرة فى قوله إفكا : مردود . . . الخ ، والمقصود منه واضح .



الجزء السابع

من التفسير الكبير المسمّى بالبحر المحيط

تاليف أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان المولود في سنة ٦٥٤هـ. المتوفى بالقاهرة سنة ٧٥٤هـ. رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسيران جليلان * احدهما النهر الماد من البحر لابي حيان ايضا * وثانيهما كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ ابي حيان الامام تاج الدين ابي محمد احمد بن عبد القادر بن احمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢هـ. المتوفى سنة ٧٤٩هـ. * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول.

الطبعة الثانية
١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه﴾ ذكر هذه القصة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يلقى من أذى الكفار فذكر مالقى أول الرسل نوح عليه السلام من أذى قومه المدد المتطاولة تسلية لخاتم الرسل صلوات الله عليه وسلم والواو فى ولقد واو عطف عطفت جملة على جملة والاستثناء من الالف استدل به على جواز الاستثناء من العدد وفى كونه ثابتا من لسان العرب خلاف مذكور فى النحو واختلف فى مقدار عمره حين بعث وحين مات اختلافا كثيرا قال ابن عطية وقد

(١٤٤)

يحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة إقامته من لدن مولده الى غرق قومه انتهى ليس عندى يحتمل لأن اللبث تعقب بالفاء الدالة على التعقيب والضمير فى وجعلناها يحتمل أن يعود على السفينة وأفرد آية وجاءت الفاصلة للعالمين لان انجاء السفن أمر معهود فالآية انجاؤه تعالى أصحاب السفينة وقت الحاجة ولأنها بقيت أعواما حتى مر عليها الناس ورأوها فحصل لهم العلم بها فناسب ذلك قوله للعالمين وانتصب ابراهيم عطفا على نوحا ﴿انما تعبدون﴾ هذه القصة تمثيل لقريش وتذكير لهم بحال أبيهم ابراهيم عليه السلام من رفض الأصنام والدعوى الى عبادة الله تعالى ﴿وتخلقون افكا﴾ قال ابن عباس هو نحت الأصنام وخلقها سماها إفكا توسعا من حيث يفترون بها الافك فى أنها آلهة وقال مجاهد هو اختلاق الكذب فى أمر الأوثان وغير ذلك ثم يعيده ثم الله ينشئ هاتان جملتان مستأنفتان اخبار من الله تعالى بالاعادة بعد الموت وقدم ماقبل هاتين الجملتين على سبيل الدلالة على امكان ذلك واذا أمكن ذلك وأخبر الصادق بوقوعه صار واجبا مقطوعا بعلمه لاشك فيه ﴿واليه تقلبون﴾ أى تردون ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أى فائتين ما أراد الله بكم والظاهر ان قوله وان يكذبوا من كلام الله تعالى حكاية عن ابراهيم الى قوله عذاب أليم وقيل هذه الآيات اعتراض من كلام الله تعالى بين كلام ابراهيم والاخبار عن جواب قومه أى وان يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم

الجمهور من خطاياهم * وقرأ داود بن أبى هند فيما ذكر أبو الفضل الرازى من خطيئتهم على التوحيد * قال ومعناه الجنس ودل على ذلك اتصافه بضمير الجماعة وذكر ابن خالويه وأبو عمرو الدانى ان داود هذا قرأ من خطيآتهم بجمع خطيئة جمع السلامة بالألف والتاء وذكر ابن عطية عنه انه قرأ من خطئهم بفتح الطاء وكسر الياء و ينبغى أن يحمل كسر الياء على انها همزة سهلت بين بين فأشبهت الياء لان قياس تسهيلها هو ذلك * قال الزمخشرى (فان قلت) كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيأ علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به ومن ضمن شيأ لا يقدر على الوفاء به لا يسمى كاذبا لاحين ضمن ولا حين عجز لانه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذبين وهو المخبر عن الشئ لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ماضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يصدقون الشئ وفى قلوبهم فيه الخلف انتهى وتقدم من قول ابن عطية ان قوله ولنحمل خبر يعنى أمرا ومعناه الخبر وهذان الأمران منزلان منزلة الشرط والجزاء اذ المعنى ان تتبعوا سبيلنا ولحقكم فى ذلك اثم على ما تزعمون فنحن نحمل خطاياكم واذا كان المعنى على هذا كان إخبارا فى الجزاء بما لا يطابق وكان كذبا * وليحملن أثقالهم أثقال أنفسهم من كفرهم ومعاصيهم وأثقالا أى أخر وهى أثقال الذين أغروهم فكانوا اسبابا فى كفرهم ولم يبين من الذين يحملون أثقاله فأمكن اندراج أثقال المظلوم يحملها الظالم كما جاء فى الحديث انه يقتص من الظالم للمظلوم بان يعطى من حسنات ظالمه فان لم يبق للظالم حسنة أخذ من سيآت المظلوم فطرح عليه وفى صحيح مسلم مامعناه أيما داع دعا الى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها بعده فعليه أوزار من عمل بها ممن اتبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيأ * وليسئلن يوم القيامة أى سؤال توبيخ وتقريع ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء و يرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا

من رحمتى وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ﴾ ذكر هذه القصة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يلقى من أذى الكفار فذكر ما لقى أول الرسل وهو نوح من أذى قومه المدد المتطاولة تسلية لخاتم الرسل صلوات الله عليه والواو فى ولقد واو عطف عطفت جملة على جملة * قال ابن عطية والقسم فيها بعيد يعنى أن يكون المقسم به قد حذف وبقى حرفه وجوابه وفيه حذف المجرور وابقاء حرف الجار وحرف الجر لا يعلق عن عمله بل لا بد له من ذكره والظاهر أنه أقام فى قومه هذه المدة المذكورة يدعوهم الى الله وقال ابن عطية يحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة اقامته فى قومه من لدن مولده الى غرق قومه انتهى وليس عندى محتملا لان اللبث متعقب بالفاء الداله على التعقيب واختلف فى مقدار عمره حين كان بعث وحين مات اختلافا مضطربا متكاذبا تركنا حكايته فى كتابنا وهو فى كتب التفسير والاستثناء من الألف استدل به على جواز الاستثناء من العدد وفى كونه ثابتا من لسان العرب خلاف مذكور فى النحو وقد عمل الفقهاء المسائل على جواز ذلك وغاير بين تمييز المستثنى منه وتمييز المستثنى لأن التكرار فى الكلام الواحد مجتنب فى البلاغة الا اذا كان لغرض من تفخيم أو تهويل أو تنويه ولأن التعبير عن المدة المذكورة بما عبر به لأن ذكر رأس العدد الذى لا رأس أكبر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره ولازالة التوهم الذى يجىء مع قوله تسعمائة وخمسون عاما بأن ذلك على سبيل المبالغة لا التمام والاستثناء يرفع ذلك التوهم المجازى وتقدمت وقعة نوح بأكمل مما هنا والخلاف فى عدد من آمن ودخل السفينة * والضمير فى وجعلناها يحتمل أن يعود على السفينة وأن يعود على الحادثة والقصة وأفرد آية وجاء بالفاصلة للعالمين لأن انجاء السفن أمر معهود فالآية انجاؤه تعالى أصحاب السفينة وقت الحاجة ولأنها بقيت أعواما حتى مر عليها الناس ورأوها فحصل العلم بها لهم فناسب ذلك قوله للعالمين وانتصب ابراهيم عطفا على نوحا * قال ابن عطية أو على الضمير فى فأنجيناه وقال هو والزمخشرى بتقدير اذكر وابدل منه اذ بدل اشتمال منه لأن الاحيان تشتمل على ما فيها وقد تقدّم لنا أن اذ ظرف لا يتطرف فلا يكون مفعولا به وقد كثر تمثيل المعربين اذ فى القرآن بأن العامل فيها اذكر واذا كانت ظرفا لماضى فهو لو كان منصرفا لم يجز أن يكون معمولا لاذكر لأن المستقبل لا يقع فى الماضى لا يجوز ثم أمس فان كان خلع من الظرفية الماضية وتصرف فيه جاز أن يكون مفعولا به ومعمولا لاذكر * وقرأ النخعى وأبو جعفر وأبو حنيفة وابراهيم بالرفع أى ومن المرسلين ابراهيم وهذه القصة تمثيل لقريش وتذكير لحال أبيهم ابراهيم من رفض الاصنام والدعوى الى عبادة الله وكان نمروذ وأهل مدينته عباد أصنام * وقرأ الجمهور وتخلقون مضارع خلق افكا بكسر الهمزة وسكون الفاء * وقرأ على والسلمى وعون العقيلى وعبادة وابن أبى ليلى وزيد بن على بفتح التاء والخاء واللام مشددة * قال ابن مجاهد ورويت عن ابن الزبير أصله تتخلقون بتاءين فحذفت احداهما على الخلاف الذى فى المحذوفة * وقرأ زيد بن على أيضا فيما ذكر الاهوازى تخلقون من خلق المشدد وقرأ ابن الزبير وفضيل بن زرقان أفكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو مصدر مثل الكذب * قال ابن عباس وتخلقون افكا هو نحت الاصنام وخلقها سماها افكا توسعا من حيث يفترون بها الافك فى أنها آلهة * وقال مجاهد هو اختلاق الكذب فى أمر

(الدر)

(ع) وقد يحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة اقامته فى قومه من لدن مولده الى غرق قومه انتهى (ح) ليس عندى بمحتمل لان اللبث متعقب بالفاء الداله على التعقيب

الاوثان وغير ذلك * وقال الزمخشرى افكا فيه وجهان أحدهما أن تكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن تكون صفة على فعل أى خلقا افكا ذا افك و باطل واختلاقهم الافك تسمية الاوثان آلهة وشركاء لله وشفعاء اليه أوسمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك انتهى وهذا الترديد منه فى نحو وتخلقون افكا قولان لابن عباس ومجاهد وقد تقدم لنا نقلهما عنهما ونفيهم بقوله لا يملكون لكم رزقا على جهة الاحتجاج بأمر يفهمه عامّتهم وخاصتهم فقرر ان الاصنام لا ترزق والرزق يحتمل أنّ يريد به المصدر لا يملكون أن يرزقوكم شيأ من الرزق واحتمل أن يكون اسم المرزوق أى لا يملكون لكم ايتاء رزق ولا تحصيله وخص الرزق لمكانته من الخلق ثم أمرهم بابتغاء الرزق ممن هو يملكه و يؤتيه وذكر الرزق لان المقصود انهم لا يقدرون على شئ منه وعرفه بعد لدلالته على العموم لانه تعالى عنده الارزاق كلها * واشكروا له على نعمه السابغة من الرزق وغيره * واليه ترجعون أى الى جزائه أخبر بالمعاد والحشر ثم قال وان تكذبوا أى ليس هذا مبتكرا منكم وقد سبق ذلك من أمم الرسل قبل قوم شيث وادريس وغيرهم * وروى ان ادريس عليه السلام عاش فى قومه ألف سنة فآمن به ألف انسان على عدد سنيه و باقيهم على التكذيب * وما على الرسول الا البلاغ المبين تقدم الكلام على مثل هذه الجملة وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بخلاف عنه تروا بتاء الخطاب و باقى السبعة بالياء والجمهور يبدئ مضارع أبدأ والزبير وعيسى وأبو عمرو بخلاف عنه يبدأ مضارع بدأ * وقرأ الزهرى كيف بدأ الخلق بتخفيف الهمزة بابدالها ألفا فذهبت فى الوصل وهو تخفيف غير قياسى كما قال الشاعر

* فارعى فزارة لاهناك المرتع * وقياس تخفيف هذا التسهيل بين بين وتقريرهم على رؤية بدء الخلق فى قوله أولم يروا وفى فانظروا كيف بدأ الخلق انما هو لمشاهدتهم احياء الارض بالنبات واخراج أشياء من العدم الى الوجود وقوله ثم يعيده وقوله ثم الله ينشئ ليس داخلا تحت الرؤية ولا تحت النظر فليس ثم يعيده معطوفا على يبدئ ولا ثم ينشئ داخلا تحت كيفية النظر فى البدء بل هما جملتان مستأنفتان اخبارا من الله تعالى بالاعادة بعد الموت وقدم ماقبل هاتين الجملتين على سبيل الدلالة على امكان ذلك فاذا أمكن ذلك وأخبر الصادق بوقوعه صار واجبا مقطوعا بعله ولا شك فيه * وقال قتادة أولم يروا بالدلائل والنظر كيف يجوز أن يعيد الله الاجسام بعد الموت * وقال الربيع بن أنس المعنى كيف يبدأ خلق الانسان ثم يعيده الى أحوال أخر حتى الى التراب * وقال مقاتل الخلق هنا الليل والنهار * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة هنا وفى النجم والواقعة على وزن فعالة و باقى السبعة النشأة على وزن فعلة وهما كالرآفة والرأفة وهما لغتان والقصر أشهر وانتصابه على المصدر اما على غير المصدر قام مقام الانشاء واما على اضمار فعله أى فتنشئون النشأة وفى الآية الاولى صرح باسمه تعالى فى قوله كيف يبدئ الله الخلق ثم أضمر فى قوله ثم يعيده وهنا عكس أضمر فى بدأ ثم أبرزه فى قوله ثم الله ينشئ حتى لا تخلو الجملتان من صريح اسمه ودل ابرازه هنا على تفخيم النشأة الآخرة وتعظيم أمرها وتقرير وجودها اذ كان نزاع الكفار فيها فكانه قيل ثم ذلك الذى بدأ الخلق هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فكان التصريح باسمه أفخم فى إسناد النشأة اليه والآخرة صفة للنشأة فهما نشأتان نشأة اختراع من العدم ونشأة اعادة ثم ذكر الصفة التى النشأة هى بعض مقدوراتها ثم أخبر بأنه يعذب من يشاء أى تعذيبه و يرحم من يشاء رحمته و بدأ بالعذاب لان الكلام هو مع الكفار مكذبى الرسل * واليه تقلبون أى تردّون * وقال الزمخشرى ومتعلق

الفهرس